مركز تحقيق التراث

نزهة النفوس والأبدان

فى تواريخ الزمان

للخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى

الجزء الرابع

(٨٤٢ - ٨٤٩ هـ)

تحقيق وتعليق وتقديم

أ. د. حسن حبشى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

مركز تحقيق التراث

نزهة النفوس والأبدان
في تواريخ الزمان

للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي

الجزء الرابع

(٨٤٢ — ٨٤٩ هـ)

تحقيق وتعليق وتقديم

أ . د . حسن حبشي





الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤



شاركت فى تحقيق هـذا الجـــزء

السـيدة / ايزيس زكا قرياقص

الباحث الأول بمركز تحقيق التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

أما بعد فهذا هو الجزء الرابع والأخير من كتاب "نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان" لعلى بن داود الصيرفى الجوهرى، يصدر بعد فترة من الجزء الثالث طالت سنوات عدة، كان معدا أثناءها للطبع لولا أننى كنت خلالها خارج مصر، كذلك لظروف أخرى لم يكن ثم قدرة على دفعها. والآن إذ يصدر هذا الجزء فإنما يصدر ليكون ختام الفترة التى أرخ لها الصيرفى لتنتهى فى سنة ٨٤٩ هـ، حسبما يوجد فى متن هذا السفر الذى يغلب على ظننا أن له ما يليه، يؤكد ذلك أن المؤلف انتهى فيه إلى أحداث شهر ذى القعدة من تلك السنة، بل إنه لم يكملها مما يدل على ضياع باقيها، لكن أين هذه البقية؟، وإلى متى تنتهى، (أى الوفيات التى جرى على أن يختم بها أحداث كل سنة؟) ذلك ما لا ندريه.

وأكبر الظن أن هذه البقية مازالت رهن خطية ربما كانت مطوية فى زوايا مكتبة هنا أو هناك، وربما امتد تاريخه الذى كتبه إلى أبعد من ذلك الوقت الذى انتهت عنده هذه النسخة الحالية، إذ المعروف أنه أراد أن يؤرخ للاسلام جاعلا نقطة البداية الهجرة النبوية، واستغرق ذلك عدة كتب يكمل كل لاحق منها سابقه، ثم جعل «مصر» منطلق تاريخه بعد ذلك، إذ هى المركز الذى تصدر عنه الأحداث، والذى يؤثر فى مجريات الأمور داخليا وعالميا فى يومها: سلبا وإيجابا، ولعله كان مقتديا فى ذلك بأفذاذ المؤرخين المصريين فى عصره وقرنه، وفى طليعتهم المقريزى وأبو المحاسن والعينى وابن حجر العسقلانى والسيوطى

والسخاوى وغيرهم، على اختلاف فى منهج كل منهم عن الآخر من حيث العرض والتسلسل، ولكنهم جميعا على اتفاق فى اعتبارهم « مصر » وسلاطينها المختلفين ودولها الواحدة تلو الأخرى « محور » أحداث مؤلفاتهم .

ولم يكن الصيرفى فى كتابه هذا مجددا ولا مبدعا من حيث الطريقة والعرض، بل كان فى سمته العام مقلدا من ذكرنا من أقطاب مصره وعصره، ومقتبسا منهم ما طاب له اقتباسه . ويتضح هذا التقليد فى تسميته أحد كتبه « إنباء الهصر بأنباء العصر » الذى سبق لنا نشره، فقد سار فيه إلى حد بعيد على نهج شيخه وشيخ الكثيرين من مؤرخى وقته « ابن حجر العسقلانى »، حتى العنوان « إنباء الهصر » قد نظر فيه إلى « إنباء الغمر بأنباء العمر » لأمير المؤمنين فى الحديث ابن حجر، سواء من حيث العرض أو الطريقة، وإن كان لكل منهما أسلوبه الخاص به .

وليس من شك فى أن الصيرفى قد طالع كتب هؤلاء المؤرخين، بل إنه نظر فى بعضها نظرة لم تطمئن نفسه إلى بعض ما فيها، فلم يخف ذلك بل صرح به، مما نطالعه فى ثنايا الكتاب الحالى بأجزائه الأربعة، كما يدل على ذلك إشاراته المتكررة إلى هذه المؤلفات، سواء بالأخذ عنها أو نقدها .

* * *

على أن للصيرفى ميزة انفرد بها عن هؤلاء جميعا وإن اقتبس منهم، تلك هى ما يمكن أن نسميه « بمصرية التعبير والعبارة »، فقارئ كتابيه « إنباء الهصر » و « نزهة النفوس والأبدان » يحس أن الكاتب من أبناء العامة المصريين الأقحاح، لكثرة استعماله ألفاظا وعبارات — دارجة — لا تزال حية إلى اليوم — إلى درجة ما — على ألسنة العامة وفى نداءات الباعة وكلام أصحاب الحرف وأربابها والفلاحين، ولو أغمض الإنسان عينيه وانصت إلى بعض ما يكتبه الصيرفى لخيل

إليه أنه يستمع إلى « بلدّى مصرى » من أهـل القرن العشرين، ولظنّ نفسه يسير فى بعض أزقة القاهرة التى توشك اليوم أن تتخلى عن مكانها لهجمة « العصرانية الحديثة » ، وعلى ذلك فكتابه هذا يعتبر من ناحية معينة سجلا لأساليب الحديث والكلام فى مصر المملوكيـة التى كانت تقف على أبواب ما عرف فى التاريخ الحديث بعصر النهضة الأوربيـة . وإذا كان المؤرخون الغربيون — وتبعهم فى ذلك المسلمون المحـدثون — قد اعتبروا سـنة ١٤٥٣ م (= ٨٤٨هـ) مولد عصر جديد فى تاريخ العالم عامة وأوربا خاصة فإن الصيرفى فى هذا الجزء الرابـع من نزهة النفـوس انتهى فيه — أو انتهى ما بقى من كتابه — إلى قرب هذه السنة التى سقطت فيها القسطنطينية فى يد السلطان العثمانى محمد الفاتح، وكانت تلك الأيام — من ناحية أخرى — إيذانا بتراخى قبضة مصر على مسالك البحرين الأحمر والأبيض المتوسط ، وكانت بدء انتقال ميزان الثقل التجارى والسياسى والاقتصادى والحربى إلى دول أخرى ناشـئة لم يكن لهـا شأن أو أهمية قبـل ذلك، لكنها ما لبثت أن أحست بالحياة حارة تتدفق فى عروقها كتركيا : دولة بنى عثمان واسبانيا والبرتغـال، ويكون بين بعضها والبعض الآخر، وبين بعضها وبين مصر التحامات دامية غيرت مجرى التـاريخ ورسمت صـورة جديدة لعـالم جديد فى مدى لم يتجاوز ستين عاما، كما هو معروف لدارسى التـاريخ من امتداد النفوذ لبعـض القوى الأوربية كالبرتغال واسـبانيا إلى الشرق حيث تجاوزت البحرالأحمر إلى الهند موطن التوابل ، كما امتد النفوذ العثمانى على مصر فى مطالع القـرن السادس عشر، وهنا تكون النقـلة التاريخيـة الكبرى فى هـذه المنطقة الإسلامية ، على أننا للأسف لا نرى انعكاسا لهذه الأحداث فى كتابات مؤرخى النصف الثانى للقرن الخامس عشر بل إنهم مروا عليها كأن لم تكن وكأنها أحداث تافهة رغم أنها هزت الدنيا هزا عنيفا .

* * *

وأعود للحديث عن مؤرخنا الصيرفى وكتابه الذى بين يدى القارئ الآن فأقول إنه أرخ فى هذا الجزء لعصر السلطان جقمق — أو لبعض منه — من ناحية الأحداث والأعلام، سواء فى مصر أو خارجها، وإن لم يكمل تدوين أخبار عصر هذا السلطان كلها ، وما أحسبه قد قصّر عن قصد فى ذلك ، ولكن أغلب الظن — كما قلت — أن يكون ما كتبه بعد شهر ذى القعدة سنة ٨٤٩ قد ضاع، ولعل الأيام تبرز لنا فى القريب أو البعيد هذا القسم المفقود لنعرف إلى أين انتهى.

* * *

ولقد كان اعتمادى فى نشر هذا القسم على المخطوطة التى كتبها بخط يده والتى صارت فى حوزة أكثر من واحد بعد موته، وتداولتها الأيدى وأثنى عليه وعليها مطالعوها ومن آلت إليهم فى المشرق والمغرب العربيين .

وإذ كانت هذه النسخة هى الأم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى لدى المشتغلين بنشر المخطوطات فقد بذلت غاية جهدى فى إخراجها صادقة كما كتبها الصيرفى ، وقارنتها — حين تنبغى المقارنة — بمخطوطات هذه الفترة الزمنية، كما رجعت إلى المراجع الحديثة : عربية وغير عربية .

وإننى لأرجو أن أكون قد وفقت فى نشر الكتاب كاملا بأجزائه الأربعة .

* * *

وختاما فإننى أشكر من عاوننى فى إخراج هذا الجزء الأخير من نزهة النفوس، وهم الأستاذ إبراهيم أبو الفضل مدير عام مركز تحقيق التراث ، والأستاذ أحمد صلاح زكريا كبير الباحثين بالمركز .

* * *

والحمد لله أولا وأخيرا ومنه التوفيق .

أول يناير ١٩٩٤ — ا . د . حسن حبشى

الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحة عليها تقريظات عربية وتركية بخطوط مختلفة وعنوان الكتاب

[illegible]

وغفر له ولوالديه ومشايخه والمسلمين آمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله

إنما نزهة النفوس كتاب منهج عن محاسن الأخلاق

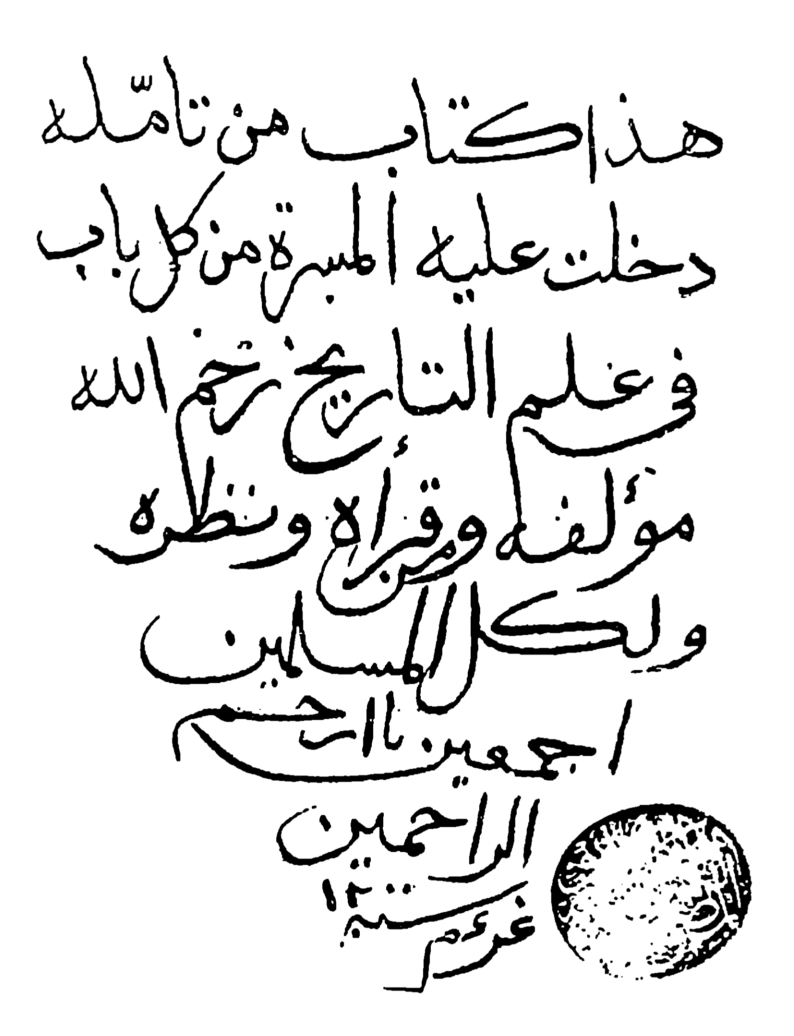
في عيون الأخبار جل سناه كمقبل العيون في الأحداق

مطلق الحسن تبتدا الفكر وصفا لا يرى مثله على الإطلاق

كتبه ناظمه [illegible] محمد أبو بكر القادري [illegible] له ولوالديه ولجميع المسلمين

صفحة أخرى عليها تقريظات بخطوط مختلفة

صفحة من نزهة النفوس بخط المؤلف


هذا كتاب من تأمله
دخلت عليه المسرة من كل باب
في علم التاريخ رحم الله
مؤلفه ومن قراه ونظره
ولكل المسلمين
اجمعين يا ارحم
الراحمين
غرة صفر سنة ١٢٠٠

صورة زنكوغرافية كتبها أحدهم تقريظا للكتاب وعليها
خاتم دار الكتب المصرية بباب الخلق بالقاهرة

السلطان الملك

الملك الظاهر ابو سعيد جقمق

العلائى الجاركسى

هو الثـانى عشر من ملوك الترك خاصة ، وهو الخامس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم ، وهذا السلطان سُبِىَ من جركس وهو صـغير، ثم جلب[1] إلى القاهرة فتربى فى بيت الأمير إينال اليوسفى ، ثم انتقل إلى السلطان الملك الظاهر برقوق بعد إينال من ولده على ، وتنقل فى الخدم والوظائف شيئا فشيئا إلى أن وصل إلى المملكة باستحقاقه لترقيه له فى وظائف نقل إليها كالحجوبية[2] والأمير

(١) كان الذى جلبه الى القاهرة تاجر يعرف بخواجا كزلك (بفتح الكاف الأولى واللام وسكون الزاى) حيث باعه — فى رواية — لإينال اليوسفى ، وفى رواية أخرى لعـلى بن إينال . انظر ما ورد عنـه فى كتب التراجم ؛ وراجع أيضا ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور (طبعة القاهرة سنة ١٨٩٦م) ٢/ ١٦ ، ١٨ ،

Herz: Catalogue sommaire des monuments exposés dans le musée nationa'e de L' art arabe, le Caire, 1906, P 92 .

أما إينال بن عبد الله اليوسفى فكان ممن وصلوا إلى الأتابكية الكبرى فى الشام ومصر ، ويستدل من الأحداث الواردة فى كل من النجوم لابن تغرى بردى ١٢ / ١٢٨ ؛ وابن حجر : إنباء الغمر بأنباء العمر تحقيق د / حسن حبشى ١/ ٤٤١ ترجمة رقم ٥ ؛ والدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة ١/ ١٣٥ ؛ والصيرفى : نزهـة النفوس ١/ ٣٥١ ، والطباخ : إعـلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢ / ٤٥٦ ، ٤٦٥ ؛ أنه كان متقلبا مع الحكام ؛ وكانت وفاته سنة ٧٩٤ .

(٢) فيما يتعلق بوظيفة الحاجب فى الدولة المملوكية وحدها راجع القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ٥/ ٤٤٩ — ٤٥٠ ؛ حيث عرفه بأنه الشخص الواقف بين يدى السلطان ونحوه فى المواكب ليبلغه حاجات الرعية ، وكان يركب أمامه حاملا فى يده عصا ويتصدى لفصل المظالم ، انظر أيضا —

آخورية وأمير سلاح وأمير آخور وأمير كبير إلى أن جعله الأشرف برسباى وصيّا على ولده ونظـام ملكه كما سردنا ذلك فى موضعه . إلى أن كان يـوم الاربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول هذا المذكور وثب جقمق واستدعى الخليفة والقضاة الأربعة وجميع الأمراء وأعيان المماليك وأرباب الدولة إلى الحراقـة (١) بالإصطبل (٢)

Van Berchem: Corpus Inscriptionum Arabicarum, T. I, (Egypte, = No. 567. (Le Caire, 1894).
وأما الأمير آخور فقد عرف بأنه المتحدث على إصطبل السلطان أو الأمير ، و يتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها ، وهو لفظ مركب من كلمتين الأولى عربية وهى « أمير » والثانية فارسية وهى آخور ، ومعناها « المعلف » انظر فى ذلك صبح الأعشى ٥ / ٤٦١ أما الأمير سلاح فيعرفه المقريزى بأنه المتولى لحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة ويكون من أمراء المائة ، راجع الخطط للمقريزى ٢ /٢٢٢ وصبح الأعشى ٥ / ٤٦٢ وابن خليل الظاهرى : زبدة كشف الممالك (من مطبوعات مدرسة اللغات الشرقية بباريس) ص ١١٤ ، ١١٦ ، وراجع أيضا
Van Berchem : op. cit. t. II, no 195
أما « نظام الملك » . فهو تعبير يرد كمصطلح مملوكى للدولة فى العادة و يطلق على من يوكل إليه تصريف شئون الدولة فى غيبة السلطان أو فى حالة وجود قاصر فى الحكم أو خلو السلطة من حاكم ، ولا تكون له صـفة الدوام بل تنتهى صلاحياته باختيار المماليك للسلطان الجـديد أو بلوغ القاصر سن الرشـد أو ترشيدهم إياه إن قاربها وكانت لهم فى إبقائه فائدة .

(١) نستدل مما أورده المقريزى فى خططه على أن الحراقة كانت تطلق على ضرب من السفن أشـبه بالبيوت تستعمل فى النيل للأمراء وكبار أعيان المملكة فى المواسم والأعياد كفتح الخليج وما شابهه . والحراقة نوعان أحدهما حربى وثانيهما مما كان يستعمله السلطان . أما الأول فكان يستعمل لرمى النار الإغريقية و إلقاء النفط على سفن العدو أو أسواره . أما ما كان يستعمل للنزهة فقد كثر منذ بداية العصر المملوكى وكان يستعمل فى النيل ، وقد ذكر المقـريزى فى السلوك (تحقيق زيادة) ٢/ ٢٤٠ أن السلطان فى سنة ٧٢٣ عاد من الصعيد إلى الجيزة واستدعى الحريم إليه من القلعة فعدت إليه خوند طغاى فى الحراقة . هـذا وقد ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى ٥/ ٤٦٧ أنه كان للحراقة رئيس هو الذى يحكم على رجالها و يتولى أمرها وذلك فى العصر المملوكى .

(٢) عرف المقريزى الاصطبل السلطانى (و يكتب بالسين والصاد) بأنه هو المناخ الذى يجمع =

السلطانى وتكلم معهم فى عدم أهلية السلطان الملك العزيز يوسف ، لأنه حصل بتوليته الفساد فى البر والبحر ، وأطمع — فى البلاد والعباد — المفسدين لعدم تصرفه وتدبره ، وأثبت ذلك على المذكورين من القضاة ، فبادر الخليفة[1] واستخار الله تعالى فى خلعه ، وفوض السلطنة وأمر البلاد والعباد للأمير نظام الملك جقمق فى آخر الساعة الثانية من النهار ، ولقبه بالملك الظاهر ابى سعيد ، وأفيضت عليه خلعة الخلافة ، وقلد السيف البداوى ، وركب من الحراقة وقد دقت البشائر ، والأمير قرقماس [الشعبانى الناصر المعروف بأهرام ضاغ] — حامل القبة والطير —

= فيه الخيول السلطانية خاصة وأنواع الجمال من البخاتى والهجن ، وكان نظر الاصطبلات السلطانية من الوظائف الهامة فى المملكة ، وهى تتناول الحديث « فى أموال الاصطبلات والمناخات وعليقها وأرزاق من فيها من المستخدمين وما بها من الاستعمالات » ، راجع ذلك بالتفصيل فى المقريزى : الخطط والآثار ٢/٢٢٤ .

(١) وكان الخليفة العباسى بمصر اذ ذاك هو المعتضد بالله داود ، هذا وقد جرت العادة عند اعتلاء السلطان المملوكى العرش أن يخلع عليه الخليفة العباسى خلعة سوداء ويقلده السيف العربى المذهب الذى يعرف بالسيف البداوى ، فاذا انتهى الموكب أفيضت التشاريف على الخليفة الذى يجلس مع السلطان على التخت على حد قول المقريزى فى الخطط ٢/٢٠٩ ، على أنه ورد فى السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق زيادة) ١/٥٢٤ ، س ٨ أن السلطان سيف الدين قطز لما تولى السلطنة « دخل خيمة وأفيضت عليه الخلع الخليفتية وهى عمامة سوداء مذهبة مزركشة ، ودراعة بنفسجية اللون وطوق ذهب وقيد من ذهب وعدة سيوف ، تقلد واحدا منها ولواءان منشوران على رأسه وعمومان كبيران وترس » ، وعلى هذا فالخلعة الخليفتية هى العمامة السوداء المذهبة المزركشة . أما فيما يتعلق بالقبة فقد وردت فى القلقشندى : صبح الأعشى ٤/٧ — ٨ باسم « المظلة » ، وقال عنها إنها قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، وبأعلاها طائر من فضة ، وتكون مطلية بالذهب ، وكانت تحمل على رأس السلطان فى العيدين .

فى خدمته ماش وكذلك جميع الأمراء حتى وصل إلى القصر السلطانى فجلس على سرير الملك [١]، وقبّل الأمراء الأرض بين يديه وانصرفوا إلى منازلهم .

وأما الملك العزيز فسجن ببعض دور القلعة ، وعلى باب الدار عدة من المماليك والخاسكية يحفظونه ، وعنده دادته [٢] سر النديم الحبشية وعدة من سراريه وجواريه وخدمه وطواشيه [٣] صندل الهندى ومرضعته ، وصارت تبيت عنده بالقلعة وتارة فى المدينة ، ورتب له ولمن فى خدمته ما يليق بهم ويكفيهم من الأوز والدجاج واللحم فى كل يوم على قدر كفاياتهم وزيادة ، ومن المبلغ فى كل يوم عشرة آلاف درهم فلوسا من قوت والده ، ونودى فى شوارع مصر والقاهرة وظواهرها بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك الظاهر ، وأن النفقة لكل مملوك من الذهب مائة دينار .

---

(١) أشار أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة (طبعة بوبر) ٧ / ٣٢٢م، إلى هذه الجلسة التاريخية فذكر أن الذى افتتح المجلس هو قرقماس الشعبانى الناصرى بالكلام مع الخليفة والقضاة ببيان ضياع الأحوال ولعدم اجتماع الكلمة فى واحد بعينه ولا بد من سلطان ينظر فى مصالح المسلمين ويتفرد بالكلمة ، ولم يكن يصلح لهذا الأمر سوى الأمير الكبير جقمق ، فقال جقمق « هذا لا يتم إلا برضاء الأمراء والجماعة » ، فصاح الجميع « نحن راضون بالأمير الكبير » وعند ذلك مدّ الخليفة يده وبايعه بالسلطنة وتتابع من بعده الأمراء ، ويلاحظ أن إقدام قرقماس على هذا الموقف لم يكن عن محبة فى جقمق بل كان غرضه نفع نفسه « فنفع غيره » كما يقول أبو المحاسن ، وانظر أيضا :

Wiet: les Biographies du Manhal Safi No. 1855.

(٢) الدادة هى المربية والحاضنة للغلام .

(٣) الطواشى لفظ يطلق على من يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام والخصيان ، ومهمته حفظ حريم السلطان على وجه الخصوص ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٥ / ٤٥٩ — ٤٦٠ ،

Van Berchem : Materiaux Pour un Corpus inscriptionum. (Egypte) T. 1. No 310.

ثم في هذا اليوم قبض على الأمير جوهر[(١)] الزمام اللالا[(٢)]، خشداش[(٣)] جوهر الخازندار القنقباى، وأودع في برج القلعة وهو في غاية الألم من أمرين، الأمر الأول ما حصل على ابن أستاذه من زوال ملكه وخراب بيته، والأمر الثاني ضعف يديه وشدة ألمه، واستدعى فيروز[(٤)] الطواشي الساقي الجركسي فخلع عليه

(١) هو جوهر اللالا عتيق أحمد بن جلبان، وقد قرره الأشرف برسباى لالا لولده محمد ثم من بعده لولده الآخر يوسف، ولما ولي العزيز بن برسباى، «شمخت نفس جوهر وظن الأمور تدور عليه فانعكس عليه الأمر»، وقد لقى أسوأ معاملة من جانب الظاهر جقمق حين آلت إليه السلطنة إذ زج به في برج القلعة سجينا فترة من الوقت، حتى إذا أطلقه كان إطلاقه إياه بسبب القولنج، كما لازمه الصرع حتى مات، وقد وصفه السخاوى بأنه كان محبا «في العلماء والصالحين محسنا اليهم مكرما لهم»، وقال عنه أبو المحاسن «إنه كان من رءوس الخدام حشمة وعقلا ودينا وكرما». أما جوهر الآخر فمنسوب الى قنقباى الجركسي الطواشي الحبشي الزمام بالباب السلطاني كما سيأتي حالا في المتن وكان محبا لأهل القرآن وقد قربه رفيقه وخشداشه جوهر اللالا الى برسباى الذى ما لبث أن ولاه الخازندارية «فصار يقضي حاجات الناس وعظم أمره»، راجع سيرتيهما بالتفصيل في السخاوى: الضوء اللامع ٣ / ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) اللالا هو مربى ابن السلطان وأطفاله، انظر الحاشية رقم ٣ التى كتبها الدكتور مصطفى زيادة في تعليقه على السلوك ٤ / ١٨ .

(٣) الخشداش لفظ فارسي ومعنى الرفيق والخدن والزميل، ويكون الخشداشية في العادة متساوين في جميع الحقوق والواجبات وإن أمروا أحيانا أحدهم بعد موت سيدهم، نستدل على هذا بما رواه بعضهم من النفرة التى حدثت بين جماعة من مماليك السلطان عز الدين أيبك التركماني وبين السلطان نفسه وفروا على أثرها إلى سلطان سلاجقة الروم، فكتب إليه عز الدين يحذره منهم، فلما سألهم السلطان السلجوقي عما بينهم وبين «أستاذهم» تصدى له الأمير علم الدين سنجر الهاشقردى وقال له: يحفظ الله مولانا السلطان إن كان المعز قال في كتابه إنه أستاذنا فقد أخطأ إنما هو خشداشنا، ونحن وليناه علينا، وكان فينا من هو أكبر منه سنا وقدرا وأفرس وأحق بالملكة» وهذا نص صريح على تساوى الخشداشية حتى وإن تسلطن أحدهم.

(٤) لم يكن هذا الطواشي جركسيا كما يتبادر إلى الذهن من مطالعة لقبه الملقب به، وإنما النسبة فيه إلى جاركس القاسمي المصارع، ونضيف إلى ما أوردناه من قبل أنه ترقي في بداية سلطنة الأشرف =

واستقر زمام الأدر الشريفة عوضا عن جوهر المذكور ، وكان فيروز له مدة أعوام وشهور لازما داره مغضوبا عليه من قبل الملك الأشرف ، وهو ينتظر موته وهدأ اليوم ، وسلم إليه الملك العزيز ورفع الترسيم من بابه .

وفيه خلع على سودون[1] أخى إينال الجكمى نائب الشام وتوجه إليه بالبشارة ولنواب البلاد الشامية ، وخلع على دمرداش[2] العلائى ورسم له أن يتوجه بالقبض على خجا سودون أحد المقدمين الألوف الذين كانوا بتجريدة أرزنكان[3] وأن يحمله إلى القدس بطالا .

= برسباى ثم ما لبث أن نفاه إلى المدينة المنورة وكثرت مرات غضبه عليه ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله قربه جقمق إليه وأعلا مكانته وجعل له من السلطة ما لم يطمع فيه ، بعد أيام سوداء مر بها ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٥٩٧ ، والتبر المسبوك ، ص ١١ ، وابن إياس : بدائع الزهور ٢ / ٢٥ ، وعلى مبارك ، الخطط التوفيقية ٥ / ٦٨ .

Van Berchem : Op. Cit. T. II. No. 249.

(١) هو سودون الجكمى وقد تأمر فى عهد جقمق وأرسله إلى أخيه إينال الجكمى بالخلعة فلما عاد إلى القاهرة أقام ساكنا ، لكن اتهمه جقمق بمواطأة أخيه فى العصيان عليه وتأليبه العسكر ضده فحبسه حبسا طال عشر سنوات ثم أطلقه على إقطاع بسيط منفيا إلى القدس فأقام هناك ، ثم عاد بطالا ، ومات فى سنة ٨٥٨ ، راجع الضوء اللامع ٣ / ١٠٥٦ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة أنه دمرداش الحسنى الظاهرى برقوق ، ولم أجد له ترجمة من بين الاثنين الذين ترجم لهما السخاوى فى الضوء اللامع جزء ٣ رقم ٨٢١ ، ٨٢٢ .

(٣) ارزنكان من البلاد الواقعة فى أرمينية ، وقد يقال لها أيضا ارزنجان ، ذكر ذلك ياقوت الحموى فى معجمه ١ / ٢٠٥ ، وتقع على ضفة الفرات اليمنى ، وأغلب أهلها من جماعات الأرمن وإن وجد إلى جانبهم طائفة من المسلمين ، ولسان الجميع التركية ، انظر أيضا لى سترانج بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥ .

وفى يوم الخميس عشرينه : خلع على الأمير قرقماس الشعبانى واستقر أميرا كبيرا أتابكيا، وأنعم عليه بإقطاع نظام الملك[1] وزيادة إمرة عشرة بدمشق ، وأضيف إليه الحكم، وصار على بابه رأس نوبة ونقباء وحكام وهو فى غاية الخفة والطيش والحماقة المنغصة للعيش، وأحواله فى ارتجاج وحِدّة مفرطة وأخلاق سيئة تؤذن بهلاكه ، ولقد صدق المثل « كان تدميره فى تدبيره » .

وخُلع على الأمير آقبغا التمرازى[2] أمير مجلس واستقر أمير سلاح [عوضا] عن الأتابك قرقماس [الشعبانى] بحكم انتقاله إلى الإمرة الكبرى .

وخُلع على الأمير يشبك الظاهرى[3] ططر حاجب الحجاب واستقر أمير مجلس عوضا عن الأمير آقبغا التمرازى بحكم انتقاله إلى أمير سلاح .

---

(١) المقصود بنظام الملك هنا السلطان جقمق نفسه .

(٢) هو آقبغا التمرازى العلائى الذى ترقى فى الخدم السلطانية فكان أمير مجلس ثم نائب اسكندرية ثم أتابك العساكر بمصر ثم نائب الشام . وكان موته وهو يلعب الرمح مع مماليكه فى الميدان بدمشق إذ مال رأسه وهو على فرسه فلحقه مماليكه قبل سقوطه إلى الأرض وحملوه ميتا ؛ ذكر ذلك السخاوى فى الضوء اللامع ٢/١٢ ـ ١ ؛ وتقاربه رواية أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ؛ وقد وصفه الأخير بمعرفته بأنواع الفروسية كلعب الرمح وضرب الكرة وسوق المحمل والبرجاس وركوب الخيول « ولم تكن شجاعته فى الحروب بقدر معرفته لأنواع الملاعب والفروسية » وكان قريبا لأبى المحاسن .

(٣) الواقع أن اسمه الصحيح هو يشبك السودونى المعروف بالمشد؛ وقد ذكر السخاوى حين ترجم له فى الضوء اللامع ١٠/١٠٨٩ أنه كان لسودون الجلب نائب حلب فاستولى عليه نائب قلعتها يشبك الأعرج (نفس المرجع ٤/٢٢) الذى جعله حين تراوته السلطنة على قصرها أمير طبلخاناه : فلما كان عهد جقمق اشتراه وجعله حاجب الحجاب فأمير مجلس فأمير سلاح؛ ثم مرض ومات سنة ٨٤٩ ؛ « ولم يثن عليه أحد بخير » كما أنه « كان عاريا من كل علم وفن . . . وعنده من الطمع وقلة الدين مالا يقبح ذكره، مع حدة زائدة وشراسة خلق وظلم زائد » .

وخلع على الأمير أركماس الظاهرى[1] واستقر على عادته دوادارا كبيرا .

وخلع على الأمير تانى بك[2] [البردبكى] نائب القلعة فوقانى ، وعلى الأمير قراجا[3] [الأشرفى] نظيره ، وخلع على الأمير تمراز القرمشى[4] واستقر أمير آخور كبيرا عوضا عن جانم بحكم القبض عليه وسجنه .

(١) هو أركماس الظاهرى برقوق وكانت له خدمة سابقة عند هذا العهد فى الوظائف المملوكية ، إذ كان نائب قلعة دمشق زمن السلطان ططر ، وطالت أيامه دويدارا كبيرا فأبقاه جقمق على ما هو عليه . ثم لما تبين له جهله بالتركية والعربية أعفاه من الدويدارية ، فأقام فى دمياط ثم عاد إلى القاهرة ، وقد وصفه أبو المحاسن بأنه كان « ساكتا عاقلا قليل الكلام فيما يعنيه وفيما لا يعنيه ، لا يعبل لخير ولا لشر ، وفى لسانه فتمة باللغة التركية ، فلعمرى كيف يكون كلامه بالعربية » ، راجع النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) ١٥/٥٥٥ والضوء اللامع ٢/٨٣٦ .

(٢) اختلف من ترجموا له فى رسم اسمه ، فقد أورده الصيرفى فيما بعد باسم « تانى بك من برد بك » وأورده السخاوى فى الضوء اللامع ٣/١٧٣ باسم « تنبك » ، ثم سماه « تنبك البردبكى الظاهرى برقوق وذكر أنه صار خاصكيا زمن المؤيد شيخ ورأس نوبة الجمدارية ، وأخذ يتدرج و ينتقل فى الوظائف المملوكية زمن الأشرف برسباى حتى أضيفت إليه نيابة القلعة زمن جقمق الذى جعله حاجب الحجاب ، وأمره على الحاج غير مرة ، ومات سنة ٨٦٤ وقد قارب التسعين ووصفه بأنه « كان شيخا وقورا هينا لينا متدينا » .

(٣) هو قراجا الأشرف برسباى الذى جعله برسباى خاصكيا وخازندارا ثم أمير عشرة ثم شاد الشرب خاناه ثم أمير طبلخاناه ثم مقدم ألف ، وحين خلع عليه جقمق الفوقانى كان على حد قول أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة (دار الكتب) ١٥/٦٢ « آخر من بقى من مقدمى الألوف ، وقد انضم فى بداية الأمر إلى قرقماس الشعبانى لكن مالبث أن خرج عليه ورجع إلى جقمق الذى ولاه كشف الجسور بالغربية ، واتهم هنا مرة أخرى بالعصيان فسلم نفسه لعسكر السلطان فسجن بالاسكندرية ، وأنعم جقمق بإقطاعه على ولده الناصرى محمد ثم أطلقه جقمق فى جمادى الأولى من السنة التالية من حبس اسكندرية وخلع عليه باستقراره أتابك حلب ، انظر الضوء اللامع ٦/٧١٤ .

(٤) فى الأصل « الدقاقى » ، ولم نجد بين أيدينا من المراجع التى ورد فيها اسمه ما يتضمن هذا اللقب ، وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة كل من النجوم الزاهرة والضوء اللامع ، والواقع أنه هو تمراز =

وفيه أيضا خلع على الأمير قراجا الحسنى واستقر رأس نوبة النّوب بحكم انتقاله إلى أمير آخور[1] .

يوم السبت ثاني عشرينه : خلع على الأمير قانباى[2] الجركسى أحد رءوس النوب واستقر شاد الشراب خاناه عوضا عن على باى[3] الأشرفى بحكم حبسه وقيده .

= القرمشى الظاهرى كان نائب قلعة الروم زمن برسباى وتقلب فى المناصب المملوكية الكبرى : أمير سلاح ثم أمير آخور ثم رأس نوبة النوب ، وحج وهو أمير سلاح سنة ٨٤٤ ، ثم لما مات تقلد هذه الوظيفة جرباش الكريمى الظاهرى قاشق ، وكان موته بالطاعون سنة ٨٥٣ انظر النجوم الزاهرة (طبعة طرخان) ١٥/٥٣٦ ، والضوء اللامع ٣/٥٣ .

(١) هو قراقجا الحسنى الظاهرى عند السخاوى (الضوء اللامع ٦/٧٢٢) ، وهو قراخجا عند أبى المحاسن (النجوم ٣٦٢ ، ٥٤١) واستمر أمير آخور كبيرا مدة طويلة اقتنى فيها كثيرا من الأملاك التى حبسها على مدرسته الواقعة بالقرب من قنطرة طقزدمر ، وقد اتفق من كتبوا عنه أنه كان دينا متواضعا شجاعا عارفا بأنواع الفروسية ، ومات بالطاعون سنة ٨٥٣ هـ .

(٢) كان فى الأصل من مماليك يشبك الشعبانى ثم لازم جقمق منذ كان نظاما للملك بجعله أمير عشرة فرأس نوبة فشاد الشربخاناه فشدا فدودارا كبيرا فأمير آخور كبيرا ، وكان كثير الاعتداد بنفسه حتى ليأخذ عليه السخاوى أنه قال ذات مرة لابن حجر : « أنت شيخ الاسلام وأنا فارس الاسلام » . وكانت بينهما مودة ، ومات به مهاط بطالا ثم حمل منها إلى القاهرة ، ودفن بتربة قرب دار الضيافة ، قال السخاوى عنها (الضوء ٦ / ٦٥٧) إنها تربته التى جددها ، ولكن أبو المحاسن (النجوم الزاهرة طرخان ١٥ / ٥٠٢ س ١٢ — ١٣) نص صراحة على أنها كانت لجركس القاسمى المصارع ولكن مملوكه قانى باى الجركسى جددها .

(٣) هو علىباى من دولات العلائى الأشرفى برسباى الساقى ، ولى فى عهد أستاذه برسباى وفى سلطنة جقمق خازندارا وأمير عشرة وشاد الشربخاناه (انظر الضوء اللامع ٥/٥٢٩) ومات سنة ٨٥٤ ، وكان مليح الشكل طوالا عاقلا عارفا بأنواع الفروسية . انظر فى ذلك النجوم الزاهرة ١٥ / ٥٤٨ .

وخلع على قانى بك [الأبو بكرى الأشرف][1] الساقى واستقر خازندارا عوضا عن جكم خال السلطان الملك العزيز .

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة[2] ثمانى عشرة ذراعا وعشرين اصبعا ، وهو سادس عشر توت ، وأصبح يوم الأحد الذى هو ثالث عشرينه وسابع عشر توت ، وتسمى القبط بمصر هذا اليوم عيد الصليب[3] فنقص ماء النيل نقصا فاحشا ، ومن ثم شرع فى النقصان ، ولم يكمل به الرى فى الأقطار والبلدان .

وكان فى يوم الأربعاء تاسع عشره - عند تولية السلطان الملك الظاهر جقمق - قامت ريح شديدة عاصفة حارة شديدة الحرارة ، فأثارت غبارا ملأ الجو والآفاق حتى كادت الشمس تخفي - من شدة الغبار - عن الأنظار ، ثم سكنت وعادت لعنتها يوم الخميس وسكنت يوم الجمعة مع شدة الحر وطول النهار ، فلما أقبل الليل طبق السحاب الجو والآفاق فأمطرت السماء مطرا يسيرا متفرقا فى عدة مرار ، حتى أصبح يوم السبت فحصل عند الناس من ذلك تطير وتفاؤل ، وزعم من له خبرة بعلم النجوم والأفلاك أن هبوب هذه الرياح يدل على فتن ومحن ،

---

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة جـ ١٥ ص ٢٦٢ س ٢٠ .

(٢) انظر النجوم الزاهرة (طرخان) ١٥ / ٤٧٤ س ١٥ .

(٣) ذكر المقريزى فى خططه ١ / ٢٦٤ وما بعدها أن لقبط مصر أربعة عشر عيدا منها سبعة يسمونها بالأعياد الكبار ومثلها فى العدد تسمى بالأعياد الصغار ، فى الأولى عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خميس الاربعين وعيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد الخميس ، وأما الأعياد الصغرى فعيد الختان وعيد الأربعين وخميس العهد وسبت النور وأحد الحدود والتجلى وعيد الصليب .

و يعمل القبط عيد الصليب يوم السابع عشر من توت ، وهو من الأعياد التي استحدثوها حيث قالوا إن الصليب ظهر على يد هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين .

وأن المطر في هـذا الوقت يخشى على ذهاب البحر منـه فكان كما قال ، ونقص البحر من يومه وخافوا[١] الناس من ذلك وأرجفوا ، والله المستعان فى كل الأحوال .

يوم الاثنـين رابع عشرينه : كان ابتـداء النفقة على المماليك السلطانية بالحوش السلطاني بحضرة الأمراء والعساكر ، فأنفق فى كل مملوك مائة دينار .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينـه : حضر الأمير جرباش[٢] قاشق من ثغر دمياط بعد أن أفرج عنه السلطان ، وكان له سنينا منسيا بها وأنعم عليه بتقدمة ألف وإمرة مئة [بالقاهرة] .

يوم الخميس سادس[٣] عشرينه : عمل السلطان المولد النبوى على العادة فى الحوش السلطانى ، وكان يوما عظيما مشهودا ، وقـد حف بالقضاة والأمراء وأرباب الوظائف والأعيان ، وعمل فيـه السماط الزايد فى التناهى والإمعان من أحسن الألوان وأطيب الطعوم ، وانفض المجلس بعد صلاة المغرب .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينـه : كسف من الشمس ما يقـرب من ثلثى جرمها بعد نصف النهار ، وحصل من الكسوف اصفرار بالأرض وما عليها حتى

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) هو جرباش الكريمى الظاهرى برقوق قاشق ، يعرف أيضا بجرباش عاشق وقد تولى الحجوبية الكبرى زمن الأشرف برسباى الذى جعله أمير مجلس فنائب طرابلس ثم أعاده أمير مجلس ونفاه إلى دمياط فبقى فيها حتى استدعاه جقمق كما هو بالمتن ، لكنه جعله — كما جاء فى الضوء اللامع ٣ / ٢٧٢ — أمير مجلس ثم أمير سلاح حتى صرفه المنصور ، « وكان رأسا فى رمى البندق » ، ويلاحظ أن الوارد بالمتن مطابق لما جاء فى النجوم الزاهرة (طرخان) ٥ : / ٢٦٢ س ١٢ — ١٣ .

(٣) هكذا فى الأصل ، لكن الوارد فى النجوم الزاهرة ١٥ / ٢٦٣ « سابع عشرينه » .

انجلى الكسوف ، كل ذلك ولم يطلع أحد من الناس لصلاة الكسوف ، وزعم من له معرفة بعلم الحدثان أن ذلك يدل على خروج أهل الشام وأهل صعيد مصر عن طاعة ملكهم .

يوم السبت تاسع عشرينه[1] : اجتمعوا مماليك الأمراء وعدتهم نحو الألف فارس وهم يرومون إثارة فتنة بسبب أن السلطان أنفق فى المماليك السلطانية ولم ينفق فيهم[2] ، والعادة لم تكن لهم نفقة ، فسألوه أن ينفق عليهم ، فأنفق فيهم .

• • •

شهر ربيع الآخر

أهل بيوم الأحد .

لما كان يوم الثلاثاء ثالثه : خلع على القاضى[3] محب الدين بن الأشقر شيخ الشيوخ واستقر فى نظر المارستان المنصورى عوضا عن نور الدين بن مفلح نديم عظيم الدولة عبد الباسط ، وهى[4] شاغرة من حين وفاته[5] .

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) أى لم ينفق فى مماليك الأمراء .

(٣) هو محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول المعروف بابن الأشقر ، ولد سنة ٧٨٠ هـ بالقاهرة وسمع على بعض كبار رجال عصره كالزين العراقى ، وصار إماما ليشبك الناصرى الكبير ، وناب فى القضاء واستقر فى مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس حيث باشرها « برياسة وحشمة وتودد وعقل » ، كما شغل وظيفة كاتب السر بمصر ، ثم أصبح ناظر البيمارستان المنصورى بعد وفاة ابن مفلح ، كما ولى ناظر الجيوش بدلا من الزين عبد الباسط ومات سنة ٨٦٣ ، وقد وصفه السخاوى بأنه كان « رئيسا هينا معظما فى الدول مع السكون والعقل والحشمة والوقار والاحتمال والمداراة ، موصوفا بالإمساك مع الثروة وقلة البضاعة فى العلم مع اشتغاله — حتى بعد رياسته — على الأئمة » ، راجع الضوء اللامع ٨/ ٢٣٥ .

(٤) أى وظيفة نظر البيمارستان المنصورى .

(٥) أى منذ وفاة نور الدين بن مفلح .

وفيه: قبض على الصاحب تاج الدين [عبد الوهاب الأسلمى] الخطير[1] ناظر الإصطبل، وعلى ولده[2]، وأخذت خيولهما من دورهما، وألزما بحمل عشرين ألف دينار. وسبب ذلك أن السلطان [لما] كان أميرآخور كان الخطير ناظر الاصطبل يترفع عليه ولا يلتفت إليه، فإنه كان من مباشرين[3] الأشرف [برسباى] القدماء.

• * •

وفيه: تجمع عدة من المماليك القرانصة الذين قاموا بأمر السلطان وساعدوه حتى بلغ أقصى مناه، وفعلوا بالأشرفية[4] مافعلوا من أسر وقيد وسجن ونفى وقتل وذل وهوان، وهم يطلبون الزيادة فى جوامكهم وفى لحمهم وعليقهم وكسوتهم وأضحيتهم، ثم تفرقوا، وأصبحوا يوم الأربعاء على ما أمسوا، لكنهم كثر عددهم وانتظروا الأمراء حتى نزلوا من عند السلطان فصاروا يهرعون ويهجمون على الأمراء واحدا بعد واحد، ويذكرون مرادهم، حتى نزل الأمير قرقماس الأتابكى فاجتمعوا عليه واحتاطوا به وذكروا له مرادهم، فوعدهم أن يتكلم لهم مع السلطان، فأبوا أن يمكنوه من العود إلى القلعة وأرادوه، وتدخلوا عليه فى موافقتهم على محاربة

---

(١) هو عبد الوهاب بن نصر الله بن توما، الوزير تاج الدين القبطى الأسلمى، المعروف بالشيخ الخطير وهو لقب أبيه، وقد كان قبطيا ثم أكره على الاسلام وشغل نظر الاصطبل زمن برسباى ثم مباشرة ديوان الخاص، وقد صودر ثم أطلق فاستمر خاملا حتى مات سنة ٨٦٥، ووصفه السخاوى بأنه «لم يكن عليه نور الاسلام»، انظر الضوء اللامع ٥/٤٠٨، وراجع أيضا Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No.1498 والمراجع الواردة عند هناك، وانظر فيما بعد ص ٤٢، سطر ١١

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ٥/٢٦٤ «ولديه»، ثم تلا ذلك بقوله: «والثلاثة أشكال عجيبة» أى الأب وولداه.

(٣) هكذا فى الأصل.

(٤) أى بالأمراء الأشرفية أمراء برسباى.

السلطان، وساروا فى خدمته بأجمعهم إلى داره ، ولم يزالوا به حتى وافقهم على ما راموه بعد إباء كبير وامتناع ، ثم لبس سلاحه، ففى الحال لبسوا الحاضرين، ثم انضم إليه جمع كبير من الأشرفية لكنهم مختلفو الآراء ، فمنهم من يقول «الله ينصر الملك العزيز» ، فإذا سمع قرقماس ذلك منهم قال: «الله ينصر الحق» ، ولم يزالوا معه سائرين حتى وصلوا إلى الرميلة فوقفوا على باب قوصون مقابل باب السلسلة وهم فى عدد كثير وعدد لا تحصى ، غير أن الأشرفية فى ظنهم أن قرقماس إذا أخذ السلطنة قتلوه وسلطنوا الملك العزيز، وفى ظن قرقماس أن تكون السلطنة له .

ووقع منه أنه لما صار خارج زويلة — وهو بين العوام فى الأسواق — سمع طائفة ينوهون بالملك العزيز ، فكشف رأسه وقال «الله ينصر الحق» ، فأجمع من له خبرة وعرفان بخذلانه وزوال عزه لكشف رأسه فى الشارع الأعظم بين العوام ، وكان كذلك ، وأظلم الكون فى عينيه .

وعند وصوله إلى الرميلة وقعت درقته من كتفه إلى الأرض فتفاءل له الناس وتطيروا بزواله وسقوط عزه وعماه عن الرشد وكشف رأسه فى هذه الحالة ، وعندما وقف بباب قوصون أمر أتباعه أن ينادوا فى الشوارع بالقاهرة على لسانه بحضور المماليك إليه، وأنه ينفق فيهم مائتى دينار لكل نفر منهم، ولكل أزعر عشرين دينارا ، وأنضم إليه عدد كبير بحيث توهم غالب الناس أن الأمر له ، كل ذلك والسلطان فى عدد قليل فإنه فارقه بعد لعبه الكره معه ، وصار الناس

أفواجا يهرعون إلى السلطان و يعلموه[1] أن قرقماس ركب وهو لا يصدق، إلى أن عاين الرميلة وما بها من الرجال الأبطال، فبادر مسرعا إلى المقعد المطل على الرميلة بجلس به واستدعى المماليك فرموا، وصار بباب السلسلة ركب عليه عدة من المماليك يحمونه، وخرجت جماعة من عند السلطان للحرب والقتال، فبرز إليهم جماعة وكان بينهم وقعة شديدة وعادوا كذلك مرات، بجرح من الفريقين وقتل [كثيرون]، وبان الغلب لقرقماس والذين معه، إلا أن الله تعالى أخذله[2] بفرار جماعة من الأمراء من عنده إلى باب السلسلة فصعدوا الإصطبل وتمثلوا بين يدى السلطان، فأكرمهم وأدناهم وأنعم عليهم، وصار الذهب والفضة مثل الفلوس تعطى لمن سأل ولمن لم يسأل.

ثم إن جماعة من الأمراء حضروا من ناحية الصليبة ووقفوا تجاه قرقماس يظهرون له أنهم معه مقاتلين[3]، ثم إنهم دكسوا خيولهم إلى باب السلسلة فدخلوها، وصاروا من حزب السلطان، فقويت شوكته ولاحت سعادته، وزاد تبسيطا لهم، هذا والكوسات[4] تدق حربى بالطبلخاناة من القلعة، وثلاثة مشاعلية على

(١) هكذا فى الأصل.

(٢) هكذا فى الأصل ويقصد بها « خذله ».

(٣) هكذا فى الأصل وصحتها « مقاتلون ».

(٤) الكوسات هى صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ومعها طبول وشبابة، وكان يدق بها مرتين كل ليلة بالقلعة، وإذا كان السلطان فى السفر تدور حول خيامه. هكذا عرفها القلقشندى فى صبح الأعشى ٤ / ٩، وذكر أن الشخص الذى يضرب بالصنوج يسمى بالكوسى (نفس المرجع والجزء، ص ١٣). وكان ينعم بها فى بعض الأحيان على الكبراء خارج مصر، نستدل على هذا من نص فرمان إيلخان غازان بتقليد الأمير قبجق بلاد الشام. راجع السلوك طبعة زيادة ١ / ٤ ١٤ نقلا عن مخطوطة بيبرس البندقدارى: زبدة كشف الممالك حيث ورد فيها قوله « وقد أنعم عليه بالسيف والسنجق الشريف والكوسى ».

سور القلعة ينادون: «من كان[١] طايع للسلطان يحضر، وله من النفقة كذا وكذا»، والدنانير والدراهم تنثر على العوام والزعر، وصار السلطان على قدميه ولسانه مايدخل فاه وهو يعد[٢] الناس ويحرضهم على الحرب والقتال، فهرعت الناس إليه شيئا فشيئا داخلين فى طاعته وفروا من قرقماس. هذا جميعه والحرب قائمة على ساق بين الفريقين ضربا[٣] بالسيوف وطعنا بالذبل الخطية ورميا بالسهام، إلا أن أهل القلعة [كانوا] متسلطين بالرمى على قرقماس ومن معه بالنشاب، والحجارة من الزعر والعوام لبغضهم فيه وفى أفعاله الذميمة، فصار جمعه ينقص وجمع السلطان يزيد إلى أن قرب العصر توجه جماعة من الأشرفية إلى مدرسة[٤] السلطان

(١) أبقينا هذه العبارة على صورتها الأصلية لأنها نداء عام للعامة.

(٢) فى الأصل «فيه».

(٣) فى الأصل «ضرب بالسيوف».

(٤) مدرسة السلطان حسن، وقد يقال لها أيضا جامع السلطان حسن الواقع تجاه قلعة الجبل بالقاهرة فيما بين القلعة وبركة الفيل حاليا، والمدرسة ملحقة بالجامع الذى بدىء فى عمارته سنة ٧٥٧هـ، وعمله السلطان «فى أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل، فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع» على حد قول المقريزى فى الخطط ٢ / ٣١٦ — ٣١٧، وقد ظل العمل موصولا فيه ثلاثة أعوام سويا، وكلف السلطان كثيرا من الأموال والنفقة التى لم تكن مقدرة فى الحسبان حتى لقد هم ذات مرة بالتوقف لولا الخشية من قالة السوء فيه أو أن يقال إنه عجز عن إتمامه. ومن أعظم ما فى هذا الجامع «قبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والغرب واليمن مثلها» وكذلك المنبر الرخام والبوابة والمدارس الأربعة، وقد أوقف السلطان عليها أوقافا كثيرة. على أنه نظرا لوجودها أمام قلعة الجبل فطالما اتخذت مكانا للرمى منه عليها فى أوقات الفتن والاضطرابات بين المماليك الأمراء وما أكثرها، فلما كانت أيام برقوق لم يحتمل برقوق ذلك «وأمر فهدم الدرج التى كان يصعد منها إلى المنارتين والبيوت التى كان يسكنها الفقهاء ويتوصل من هذه الدرج إلى السطح الذى كان يرمى منه إلى القلعة، وهدمت البسطة العظيمة والدرج التى كانت بجانبى هذه البسطة التى كانت قدام باب الجامع حتى لا يمكن الصعود إلى الجامع وسد من وراء الباب النحاس» وكان ذلك فى صفر سنة ٧٩٣، ذكر ـــ

حسن ليرموا على باب السلسلة منها، فوجدوا الباب مغلقا فأحرقوه ودخلوا المدرسة فنهبوا بعض دور فيها ، فلم يثبت قرقماس بسبب جرح حصل له وولى هاربا ، والأشرفية ثابتون ، وعلى الحرب صابرون .

وقُتل [كثير] من الفريقين ، وجرح من السلطانية الأمير تغرى بردى البكلمش المؤذى، طُعن برمح فى شدقه، والأمير أسنبغا الطيارى طعن فى جسده، وكانت هذه الوقعة من الحروب الهائلة العظام .

وأما قرقماس فإنه استعجل كما هى عادته ولم يتفق مع غالب الأمراء ، إذ لو أنه حين قدومه الرميلة دكس باب السلسلة لكان ملكه ، لأنه ما كان فيه من إنسان، إلا أنه فاته التدبير والحزم من وجوه شتى، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، وكان ذلك فى الكتاب مسطورا .

وعند فرار قرقماس انتخب السلطان الأمير آقبغا التمرازى ومعه جماعة من المماليك السلطانية ليتبع آثارهم ، فوصل إلى سرياقوس خشية أن يتوجه إلى الشام وهم أقل من ذلك، ولم يجد أحدا فرجع .

• • •

يوم الخميس خامسه : كانت الخدمة بالقصر وجلس السلطان على سرير الملك فهنأه المسلمون بالنصر والظفر على عدوه، هذا وقد رسم السلطان لجماعة من القرانصة أن يقفوا بالقلعة لمنع من يدخل الخدمة من الأشرفية، فكان المملوك من الأشرفية

= هذا ابن حجر فى إنباء الغمر بأنباء العمر (تحقيق حسن حبشى) ١/٤١٤ — ٤١٥ حيث أضاف إلى ذلك ما ترتب على هذا من إبطال الأذان على المنارتين ، وأرجع السبب إلى ما حدث من منطاش ومن بعده من اتخاذهم مدرسة السلطان حسن « عدة لمن يحاصر القلعة » ، ثم أعيد فتح الباب والسلم والبسطة زمن الأشرف برسباى قبل سنة ٨٣٠ هـ .

إذا أراد الدخول مُنع ، فإنْ لم ينتبه ضُرب على رأسه حتى يرجع ناكصا على أعقابه من حيث جاء ، ورُسم للوزير بعدم صرف لحمهم فى كل يوم .

• • •

وفى هذا اليوم : صعد قضاة القضاة واجتمعوا بجامع القلعة ، وحكم قاضى القضاة شمس الدين البساطى[1] المالكى أن تهدم سلالم المنارتين بمدرسة السلطان ، وهى سلالم سطح المدرسة ، وألزم الناظر بهدم ذلك ، فقام مسرعا فهدم ما حكم به قاضى القضاة ، قال الشيخ تقى الدين المقريزى فى تاريخه : « وكان هذا الحكم أيضا من الأحكام التى لم يُعهد من القضاة مثلها » .

• • •

وفيه خلع على علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى وأعيد إلى ولاية القاهرة بعد أن كان له سنين ميتا من الجوع والفاقة ، فأحياه الله تعالى .

---

(١) هو الشمس محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم (بالفتح ثم بالكسر) ، « عالم العصر » ، ولد فى بساط من قرى الغربية بمصر فى سنة ٧٦٠ وإن اختلف فى الشهر ، فقيل فى محرم ، وقيل فى صفر ، وقيل بل فى جمادى الأولى ، ثم انتقل إلى القاهرة طالبا العلم على شيوخه وأكثر من الاطلاع فى الفقه والعقليات ، وترجم له ابن حجر فذكر أنه لم يطلب الحديث أصلا « ولا اشتغل به وإنما وقع له ذلك اتفاقا » وكان فى أثناء ذلك فقيرا « ليس معه الدرهم بحيث يضطر لبيع بعض نفائس كتبه » واشتغل بالتدريس حتى إذا كانت سنة ٨٢٣ تولى قضاء المالكية بالديار المصرية بعد موت الجمال عبد الله بن مقداد الأقفهسى ، وجاور بمكة وانتفع به الناس هناك مدة عام ، ولما رجع إلى مصر أخذ فى التأليف ، وكان معظم ما ألفه فى الفقه ، ومن ذلك المغنى فى الفقه وشفاء الغليل على كلام الشيخ خليل وله حاشية على المطول للتفتازانى ، ويقال إنه شرح تائية ابن الفارض ، والظاهر أنه كان ممن يميل إليه ، ومعنى هذا أنه دخل معركة التصوف والمقارعة التى كان البرهان البقاعى أحد أطرافها بل من أشد المهاجمين لابن الفارض ، وقد أوصى أن لا يعلم قبره بأحجار ، وتظهر مكانته مما نقله السخاوى عن ابن حجر حين جلس بين قبره وقبر العز بن جماعة قوله « أنا الآن بين بحرين » ومات سنة ٨٤٢ ، راجع السخاوى الضوء اللامع ٧/٧ ، المقريزى : الخطط والآثار (طبعة بولاق) ٢ / ٤٠٢ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ١ / ٢١٣ .

يوم الجمعة سادسه : قبض على الأمير قرقماس الشعبانى من غيطه الذى بالقرب من الميدان المجاور للبحر (١)، وسبب ذلك أنه لما فرّ آوى إلى هذا الغيط بقية نهاره وليلة الخميس، ثم أصبح فأرسل إلى القاضى زين الدين عبد الباسط (٢) يعلمه بمكانه وأن يسأل له السلطان فى الأمان، فبادر القاضى عبد الباسط وأعلم السلطان بذلك فأعطاه المنديل (٣)، ووجّه معه المقام الناصرى محمد بن السلطان. فحين عاينهما قام على أقدامه وصار يقبل قدمى ابن السلطان ويد عبد الباسط، و[كان] كاتبه (٤) حاضرا كذلك فإنى توجهت مع جماعة من بيت القاضى

(١) يقصد بذلك نهر النيل.

(٢) هو زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقى الأصل والمولد، المصرى الدار والوفاة، وقال السخاوى عنه فى الضوء اللامع ٤ / ٨١ « إنه أول من تسمى بعبد الباسط »، وكان مولده سنة ٧٨٤ بدمشق، وتعرف على المؤيد شيخ حين كان نائب دمشق، ثم أصبح ناظر الخزانة بمصر وكاتب السر بها للمؤيد الذى كان شديد التقريب له مما أبطره فكرهته العامة لترفعه الشديد، ثم بدّل مسلكه معهم حين نالوه بألسنة حداد، وقد أسس القيسارية الباسطية بباب زويلة، وعرف كيف يسترد مكانته عند الأشرف إذ « فتح له أبوابا فى جمع الأموال ». فلما تسلطن جقمق قبض عليه وحبسه بالقلعة وأراد المبالغة فى عقوبته لولا تدخل ابن البارزى، ثم سفر إلى مكة هو وعياله وحواشيه، ثم رجع بعد الحج سنة ٨٤٤ إلى دمشق وعاد إلى القاهرة بعد سنين، وكانت وفاته فى شوال سنة ٨٥٤، وقد عرفه أبو المحاسن فقيرا مملقا، ثم سأل أبا المحاسن السكن فى بعض دوره فأجابه إلى ما طلب، وقد وصفته النجوم الزاهرة (طرخان ١٥ / ٥٥٤ س ١٠) بأنه « كانت فيه شراسة خلق وحدة مع طيش وخفة وجبروت وظلم على مماليكه وأتباعه مع بذاءة لسان، وسفه زائد وجهل مفرط »، أنظر أيضا:
Wiet : op. cit. No 1346.

(٣) أى منديل الأمان وهو رمز لإدخال الطمأنينة على نفس الشخص.

(٤) يقصد ابن الصيرفى بذلك نفسه ويفهم مما جاء بالمتن أنه كان حاضرا هذا المجلس، فإن صدق فى هذا فلأنه كان من أتباع عبد الباسط.

عبد الباسط ، فوضعا في عنقه[1] منديل الأمان وأركبوه إكديشا[2] قصيرا ، فلما ركبه وُجد تحت فخذه دبوس[3] نرمي به للأرض ، ومر من أول قناطر السباع وقد اجتمع الجمع العظيم لرؤيته من الرجال والنساء والولدان ، وصار بعضهم يلعنه ، وبعضهم يسبه ، وبعضهم يدعو عليه ، حتى صعد القلعة وتمثل لدى السلطان ، [ثم] بادر فقبل الأرض وصار وجهه على الأرض وهو يبكى ، ثم مشى قليلا وخر يقبل الأرض ثم قام ومشى ، ثم خر ثالثا يقبل الأرض وقد قرب من السلطان فوعده بخير يصنعه معه ، وأمر به فأدخل إلى مكان [بالحوش] قُيِّد بالحديد وهو يشكو من الجراح والجوع والعطش ، فأطعم وسقى ، هذا وقد أطلقت أهل مصر لسانها فيه بالقالة ، ومن جملة قولهم « الفقر والإفلاس ولا دولتك[4] يا قرقماس » .

---

(١) أى عبد الباسط والمقام الناصرى محمد بن السلطان جقمق .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦ / ٥٠ أنهم أركبوه فرسا من جنائب ابن السلطان كما ذكر ذلك المقام الناصرى محمد بن جقمق نفسه لابن تغرى بردى ، أما الإكديش فقد عرفه دوزى : تكملة المعاجم العربية Supp. aux Dictionnaires Arabes. بأنه الحيوان المهجن الذى ليس أبواه من جنس واحد ، وهو لفظ يراد به فى العصر المملوكى الحصان غير الأصيل ، ومن ثم لم يكن من مراكب الأمراء احتراما لمكانتهم بل كان مخصصا لمن كان دونهم ، وقد أشار المقريزى فى السلوك ٢ / ٢١١ إلى أن الإكديش كان من بين مجموعة من الهدايا التى أرسلها السلطان بوسعيد حين طلب مصاهرة الناصر محمد بن قلاوون على إحدى بناته حيث أرسل « اثنى عشر إكديشا بجلال جوخ » ، ونعود مرة أخرى إلى تعريف دوزى فنقول (أنظر السلوك ٢ / ٤٣ — ٤٣١) إن الإكديش كان يعادل الجياد الخاصة فى البلاد الواقعة شرقى مصر ، فقد ذكر المقريزى أن أحد هم وعد نائب الشام أن يسوق إليه ألفى إكديش إذا توسط له لدى سلطان مصر بولاية أبلستين .

(٣) الدبوس هو هراوة طويلة مدملكة الرأس مستديرتها من الحديد والنحاس ، وقد تصل إلى قدمين طولا ، وكانت تستعمل أيضا فى القتال حيث كانت تستعمل هى والسيوف بدلا من الرماح وأنظر السلوك (زيادة) ١ / ٨٨٦ ، و Dozy: op. cit.

(٤) فى النجوم الزاهرة ٦ / ٥١ « زلتك » وانظر فيما بعد ص ٣٧ ، س ١١ .

وفيه قبض على جماعة من المماليك الأشرفية بعد ما أخذت خيولهم و بغالهم وقماشهم ، وأودعوا بالسجن ببرج القلعة .

وفي يوم السبت سابعه : أخرج قرقماس في الحديد ونزل راكبا في هيئة قبيحة ، والناس لا يرحموه[1] ولا يرقوا له ، فإنه فعل بغالب الأشرفية الشجعان والأبطال نظير ما هو فيه الآن ، وتوجهوا به إلى النيل وركب الحراقة ليسجن بثغر سكندرية ، ولقد سمع من العوام — وهو راكب إلى أن وصل النيل — شيئا قبيحا جديدا ، وصار ذليلا حقيرا بعد أن كان جبارا عنيدا ، وحل به نكال[2] شديد وخزى كبير بعد جبروته وإعجابه وزهوه ورقاعته وحماقته وعدم رحمته ورأفته بالمسلمين ، فإنه كان إذا ضرب لا يرحم ، يضرب الألف وأكثر وهو لا يرحم المضروب ، فذاك ذنب عقابه فيه ، واستمر العوام مدة في الأسواق يقولون لمن يدعون عليه : « عليك ذلة قرقماس » فلقى سوء صنيعه ، ولا يظلم ربك أحدا .

وفيه أخلع على الأمير آقبغا التمرازى واستقر أمير أتابك العساكر عوضا عن قرقماس [الشعبانى] ، وأخلع على الأمير يشبك [السودونى المشد] واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير آقبغا التمرازى الأتابكى ، وخلع على الأمير جرباش قاشق واستقر أمير مجلس عوضا عن الأمير يشبك [السودونى] أمير سلاح .

• • •

يوم الاثنين تاسعه : عملت الخدمة بالقصر فصعد الأمراء والأكابر والأصاغر والمباشرون والأعيان وقضاة القضاة ، وتقدم الصاحب بدر الدين

(١) هكذا في الأصل والصواب « يرحمونه ولا يرقون له » .

(٢) في الأصل « نكالا شديدا وخزيا كبيرا » .

ابن نصر الله[١] كاتب السر فقرأ عهد السلطان من أمير المؤمنين المعتضد بالله ، ومنشيه القاضى شرف الدين أبو بكر بن الأشقر نائب كاتب السر ، وخلع على الخليفة وقضاة القضاة الأربع وكاتب السر ونائبه بعد أن وقع بين يدى شيخى الاسلام — وهما[٢] شيخنا قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر[٣] الشافعى وشيخنا قاضى القضاة سعد[٤] الدين الحنفى — كلام أفضى إلى أن عزل شيخ

(١) هو حسن بن نصر الله بن حسن الأدكوى الأصل ، الفوّى القاهرى ، كان مولده سنة ٧٦٦ بفوة ثم قدم القاهرة وهو فى غاية الفقر سنة ٧٩٠ ، ثم أخذت أحواله فى التحسن فكان من بين ما وليه الحسبة ونظار الجيش بمصر والوزارة بها ونظار الخاص ، كما عمل الأستادارية ثلاث مرات ، كان فى كل مرة يخرج منها مفصولا ثم يعود ، إلا فى الأخيرة فقد لزم بعدها داره ، وتوالت عليه الأمراض واختلط عقله حتى مات سنة ٨٤٦ هـ . وقد وصفه أبو المحاسن بقوله « إنه كان شيخا طوالا ضخما ، حسن الشكالة ، مدوّر اللحية ، واسع النفس على الطعام » وهى نفس العبارات التى استعملها السخاوى فى وصفه ولكنه زاد على ذلك بأن قال إنه بنى مدرسة حسنة على البحر فيها خطبة وتدريس ، انظر أيضا ابن حجر : إنباء الغمر (تحقيق حسن حبشى) ٣/١٠ — ١١ .

(٢) فى الأصل « هم » .

(٣) هو أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى ، صاحب كتاب إنباء الغمر بأنباء العمر الذى يقوم محقق هذا الكتاب بنشره وقام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بنشر ثلاثة أجزاء منه حتى الآن .

(٤) هو شيخ المذهب الحنفى وحامل لواء التفسير سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد النابلسى الأصل المقدسى ، المعروف بابن الديرى نسبة إلى الدير الذى بإحدى حارات بيت المقدس ، ولد فى رجب سنة ٧٦٨ بالقدس وعرف من صغره بحدّة الذكاء وسرعة الحفظ ، فاهتم به أبوه غاية الاهتمام من حيث تعليمه ، وكثر تردداه إلى القاهرة وولى بها مشيخة المؤيدية ، ودرس بالمدرسة الفخرية و بجامع المارداني ، وولى قضاء الحنفية عند البدر العينى فباشره بمهابة وصرامة وعفة ، وأحبه الناس سيما إذ شرط على نفسه إبطال الرشاوى ، انظر السخاوى الضوء اللامع ٣/٢٤٩ ، وكانت منزلته سامية عند الحكام والسلاطين والأمراء والعلماء على اختلاف مذاهبهم ، وظل — مع تقدم السن به — صحيحا معافى ، لكنه كان قليل التأليف رغم سعة علمه وكثرة اطلاعه وحفظه ، ومات سنة ٨٦٧ بمنزله بمصر القديمة ، وصلى عليه المحب بن الشحنة فى مصلى المؤمنى ، وحضر الصلاة عليه السلطان والقضاة والأمراء والأعيان ، وقد ترجم له السخاوى فى كتابه الذيل على رفع الإصر ، ١٢٧ — ١٤٠ .

الاسلام ابن حجر نفسه فى المجلس من القضاء ، فاعتذر إليه السلطان وأعاد ولايته ، واسترجع له جميع ما خرج من أوقاف القضاء فى الأيام الأشرفية ، وهو : نظر الأوقاف ، ونظر وقف قراقوش ، ونظر وقف يلبغا التركمانى ، ونظر وقف المدرسة الطيبرسية (١) ، وأمره وألح عليه لا يقبل رسالة من متجوّه ، ولا يُوَجِّه وقفا لصاحب جاه ، فما أحسن هذا لو دام .

* * *

وفيه جُهز توقيع برهان الدين الباعونى (٢) بقضاء دمشق عوضا عن المقر الكمالى

(١) المدرسة الطيبرسية هى من إنشاء الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى نقيب الجيوش وهى بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة ، ولقد كان هذا الأمير من أجل الأمراء وأقدمهم ، وطالت أيامه فى وظيفته فأقام فيها أربعا وعشرين سنة « لم يقبل لأحد هدية . وإنما كان شأنه عمارة إقطاعه وزرعه » ، انظر النجوم الزاهرة ٢٤٦/٩ ، وكان طيبرس فى الأصل مملوكا لأحد نواب السلطنة وتقلبت به الأحوال حتى صار نائب الغيبة ، فلما تولى المنصور لاجين السلطنة ولاه نقابة الجيش بمصر سنة ٦٩٧ هـ فظل بها حتى موته سنة ٧١٩ ، وقد جاء فى تعليق المرحوم محمد رمزى على النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) ١٩٩/٩ حاشية رقم (أن المدرسة التى أنشأها الأمير عبد الرحمن كتخدا القازوغلى تقع على يمين الداخل من الباب الكبير الغربى لجامع الأزهر تجاه المدرسة الأقبغاوية » وهذه المدرسة الطيبرسية غير جامع الطيبرسى الذى ذهب أثره ، راجع المقريزى : الخطط ٣٨٣/٢ .

(٢) هو برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة الشافعى المقدسى الباعونى ، نسبة إلى باعون وهى قرية صغيرة من قرى حوران ، ولد بصفد سنة ٧٧٧ وكان دخوله مصر حوالى سنة ٨٠٥ حيث أخذ العلم عن السراج البلقينى والكمال الدميرى ، وكثر سماعه على علماء عصره فى مصر والشام ، وتولى بعض وظائف المتعممين كالخطابة بجامع بنى أمية ومشيخة الشيوخ بالصمساطية ، وقد وصفه السخاوى (الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧) بأنه كان « جميل الهيئة منور الشيبة طوالا مهابا ، ذا فصاحة وطلاقة وحشمة ورياسة ومكارم وتواضع وتودد وعدم تدنس بما يحط من مقداره » مع اقتدار على النظم والنثر » وأورد له بعضا من نظمه (نفس المرجع والجزء ، ص ٢٨ — ٢٩) وإن كان يغلب على شعره الصنعة ، كما ذكره فى كتابه الذيل على رفع الإصر ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ، أبياتا فى المقبسنة منها قوله :

محمد بن البارزى[(١)]، وحمل إليه التشريف بمساعدة القاضى زين الدين عبد الباسط.

• • •

وفى يوم السبت رابع عشره: أنعم على إينال [الأبو بكرى الأشرفى] الدوادار بإقطاع إحدى تقدمتى قرقماس [الشعبانى]، وأنعم بإقطاع إينال [الأبو بكرى] على الأمير أسنبغا الطيارى، وأنعم على الأمير الطنبغا المرقبى بإقطاع الأمير قراجا [الأشرفى] واستقر أحد مقدمى الألوف بعد أن كان له مدة سنين — بعد موت الملك المؤيد شيخ — وهو يجر أذيال الخمول، وأنعم على الأمير قراجا [الأشرفى] بإقطاع الأمير آقبغا التمرازى.

• • •

يوم الثلاثاء سابع عشره: خلع على المقر الكمالى محمد بن البارزى واستقر فى كتابة السر عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وقد قدم من الشام. وهذه ثالث ولاية له فى كتابة السر، وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاملية بسمور، ونزل إلى والده بطالا. وأما المقر الكمالى

= أثبت صفات العلا وانف الشبيه فقد ... أخطا الذين على ما قد بدا جحدوا
وضل قوم على التأويل قد عكفوا ... فعطلوا، وطريق الحق مقتصد
الله حى، سميع، مبصر، وله ... علم محيط، مريد، قادر، صمد
له كلام قديم قائم أبدا ... بذاته، وهو فرد واحد أحد

ولم يترجم له ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ٧/٢٠٩ — ٢١٠ إلا ترجمة مختصر فيها على ذكر اسمه وسنة وفاته، انظر أيضا البقاعى: عنوان الزمان ترجمة رقم ١٠٠ أ.

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن عثمان: ولد بحماه سنة ٧٩٦، ولما انتقل مع أبيه إلى القاهرة سنة ٨١٥ درس الفقه والحديث والمعانى والبيان، وصحب العلاء البخارى، وبرع فى الترسل والأدبيات والإنشاء، وولى كتابة الإنشاء استقلالا بعد أبيه سنة ٨٢٣ بمصر، ثم عاد الى مصر مرة أخرى زمن جقمق وكان موته سنة ٨٥٦، هذا وقد وصفه ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ٧/٢٩٠ بأنه «أوحد الرؤساء».

فأركب فرسا بسرج ذهب وكنبوش[1] زركش ، وركب معه غالب الأمراء والأعيان والمباشرين وكان له موكب جسيم إلى الغاية .

• • •

وفيه خلع على الأمير أسنبغا الطيارى واستقر دوادارا ثانيا عوضا عن إينال الأشرف [الأبو بكرى] بحكم انتقاله إلى التقدمة[2] .

• • •

وفيه — أى فى سابع عشره — : خلع على الأمير يلبغا[3] البهائى [الظاهرى برقوق] أحد الأمراء العشرات ، واستقر حاجبا ثانيا عوضا عن أسنبغا الطيارى ، وذكر شيخنا البدرى العينى فى تاريخه أن تولية يلبغا البهائى [كانت] يوم الاثنين التاسع عشر من رجب ، والظاهر أنه وَهْم دخل عليه .

---

(١) الكنبوش هو البرذعة تجعل تحت سرج الفرس (انظر محيط المحيط) وقد ضبطها Dozy : Supplement Aux Dictionnaires Arabes بفتح الكاف وقال إنه يستعمله أهل المغرب لرد هواء الصباح ، وذكر زيادة فى تعليقه على السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ص ٤٥٢ حاشية رقم ٥ أنه يقابلها ما يقصد به غاشية الفرس ، وهذا وَهْم لأن الغاشية — كما أشار هو نفسه نقلا عن القلقشندى فى صبح الأعشى ، ٧/٤ كانت تحمل بين يدى السلطان عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين وفى الأعياد ، وكان يحملها أحد الركابدارية رافعا إياها يلتفت بها يمينا وشمالا .

(٢) أى تقدمة ألف .

(٣) ويعرف أيضا بيلبغا قراجا وقد اكتفى الضوء اللامع ١٠ / ١١٣٢ حين ترجم له بأن قال إنه « نائب الاسكندرية مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين ، وكان جيدا واستقر بعده أسنبغا الطيارى » على حين أن أبا المحاسن ذكر أنه كان فى الأصل من مماليك الظاهر برقوق ، وأشار إلى أن تسميته بيلبغا قراجا راجعة إلى أنه كان أسمر اللون وإن كان تركى الجنس ، كما ذكر نفس المؤلف ما ذكره السخاوى من أنه تولى الحجوبية الثانية وليس نيابة اسكندرية عوضا عن أسنبغا الطيارى ، ولذلك فقد جاء فى ترجمة أسنبغا الطيارى بالضوء اللامع ٢ / ٩٨٤ إن يلبغا قراجا صار حاجبا ثانيا فى أيام الأشرف ، فلما جاء جقمق عمله رأس نوبة النوب . هذا وقد أثنى عليه أبو المحاسن حين ترجم له فقال عنه إنه كان « من خيار الناس عقلا ودينا وسكونا وعفة . مع مشاركة فى الفقه ، وكان فصيحا فى اللغة العربية » .

يوم الخميس تاسع عشر شهر ربيع الآخر: خلع على الأمير إينال [الأبو بكرى الأشرف] أحد المقدمين الألوف واستقر أمير الحاج ، وأنعم عليه بعشرة آلاف دينار .

وفيه قدّم المقر الكمالى للمقام الشريف تقدمة سنية ما بين صوف وسمور وقاقم وخيول .

• • •

يوم الاربعاء خامس عشرينه : رسم بنفى جمع كثير من المماليك الأشرفية الى الواحات ، فتوجهوا بهم من فورهم .

وفيه رسم بنفى عز الدين عبدالعزيز البغدادى الحنبلى (١) قاضى القضاة بدمشق ، وكان قدم منها بعد عزله بابن مفلح ، فصعد للسلطان وتكلم معه بكلام يشبه الكلام ، فرسم بنفيه بعد غضب شديد عليه ، فنفى الى الشام أو غيرها .

• • •

وفى أواخر هذا الشهر أطلق الخطير (٢) بعد أن قُرر عليه من المال ما يحمله الى الخزائن الشريفة ، ولم يبق عنده لا خادم ولا خادمة ولا فرس ولا شىء يركبه ولا درهم يلّوح به .

• • •

(١) هو عز الدين عبد العزيز بن على بن عبد العزيز البغدادى الحنبلى المعروف بقاضى الأقاليم لأنه ولى قضاء بغداد والعراق وبيت المقدس ومصر والشام ، كما أنه أول حنبلى ولى القدس بعد فتنة التنك ، انظر الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٢٢ ، وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧/٢٥٩ ، جدا وقد كانت وفاته سنة ٨٤٦ هـ .

(٢) راجع ماسبق ص ٢٩ ، والحاشية رقم ١ من نفس الصفحة .

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم الثلاثاء .

في الخامس منه الذى هو السبت : شفع الأمراء وأعيان الدولة في الأمير خشقدم الطواشي اليشبكي الذى كان مقدم المماليك وفي نائبه فيروز[1] الركني أن يطلقوا[2] من سجن اسكندرية إلى دمياط ، فرسم بإطلاقهما بعد أن قُرر عليهما خمسة عشر ألف دينار .

* * *

وفيه وصل كتاب الأمير [حسين بن أحمد المدعو] تغرى برمش نائب حلب بأنه مملوك السلطان وتحت طاعته ، وأنه لبس تشريف السلطان المجهز على العادة وباس الأرض ، وكل ذلك في الظاهر خوفا من الملك الظاهر ، وهو آخذ — أعنى السلطان — في الحيلة في القبض عليه ، وكتب إلى أمراء حلب وأعيانهم في الباطن بذلك خيفة من أن يبلغ إليه الخبر ، مع أنه[3] تنبه لهذا الأمر وسلك طريق من هو عاص على السلطان ، فإنه استخدم الرجال والعشران ، واستمال طوائف التركمان بالإنعام والإحسان ، ومع هذا فكل ما قدر كان .

---

(١) الواقع أن فيروز الرومى الركني هذا كان في الأصل من خدام الأتابك يبرس وقد بلغ مكانة كبرى زمن الأشرف برسباى وظل على هذه الحال حتى بداية عهد جقمق حيث سجنه هو وخشقدم الطواشي ، ويلاحظ في ترجمته الواردة في الضوء اللامع ٦/٩٧ أن السخاوى لم يذكر سبب غضب الظاهر عليهما ، كما أهمل الإشارة إلى أنه فرض عليهما مالا يحملانه إليه ، وهو ما يذكره الصيرفي في [illegible] أعلاه وكذلك النجوم الزاهرة ٧/٥٤ ص ١ — ٢ .

(٢) هكذا في الأصل والمقصود بذلك خشقدم الطواشي اليشبكي ونائبه فيروز الركني ومن ثم فالصحيح أن يقال فيها « يطلقا » .

(٣) الضمير هنا عائد على تغرى برمش نائب حلب .

يوم الاثنين سابعه : خلع على ولى[1] الدين محمد السفطى مفتى دار العدل الذى هو من خواص السلطان الأعيان، واستقر وكيل بيت المال عوضا عن أحمد بن النسخة[2] شاهد الغيبة بحكم عزله .

• • •

[وفى] ثامنه[3] : خلع على الشريف صخرة بن مقبل بن نخبار واستقر فى إمرة ينبع عوضا عن الشريف عقيل بن وبير بن نخبار .

• • •

يوم الخميس عاشره : خلع على زين الدين يحيى[4] الذى هو من أقارب ابن

(١) هو محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج المعروف بولى الدين السفطى نسبة إلى سفط الحنا من الشرقية بمصر ، وقد ولد سنة ٧٩٠ فى رواية ، وفى سنة ٧٩٦ فى رواية أخرى ، ودرس علوم عصره ، وعرف « بمداخلة الكبار والحرص على الادخار والاستكثار » حسب قول السخاوى ، على أننا إنصافا للولى السفطى نقول إن السخاوى كان مدفوعا فى هجومه عليه بسبب تعرضه لشيخه ، وقد زاد أبو المحاسن على ذلك فقال إنه كان كلما كثر ماله عظم حرصه إلى أن جاوز الحد فى زيادة المال وعظم البخل حتى على نفسه وأولاده » ، وقد تولى الولى السفطى كثيرا من مناصب المتعممين فى الدولة ، وانتهى به الأمر أن لقى الإهانة والعزل والمصادرة والحبس ، وكانت وفاته سنة ٨٥٤ ، راجع السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، ص ٣٢٤ — ٣٣٧ وذيل رفع الإصر ٢٤٥ — ٢٥٥ .

(٢) كان أحمد بن محمد بن أحمد بن النسخة من أكثر من شهدهم القرن التاسع الهجرى إقداما على حل الأوقاف « وتصييرها ملكا بضروب من الحيل ومهارة شهر بها » ، والظاهر أن هذه الصفة فيه هى التى قربته إلى الأشرف برسباى لما هو معروف عنه من الطمع الشديد فى الأموال يحتال عليها من كل باب ويحاول أن يجد لذلك مبررا شرعيا ، ثم ولى وكالة بيت المال وبقى بها حتى عزله جقمق كما فى المتن بالولى السفطى ، وكانت وفاته سنه ٨٤٩ هـ بذات الجنب ، راجع عنه الضوء اللامع ٢/٨٤ .

(٣) هذه العبارة منقولة بالنص من النجوم الزاهرة ٧/٤٤ ص ٧ — ٨ ، وقد ورد فى الضوء اللامع ٥/٢٠ أنه كان أمير الينبوع فى هذه السنة حيث صرف منها فيها .

(٤) سماه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧/٤٥ ص ٩ « يحيى بن كاتب حلوان الأشقر » ، على أنه لم يرد فى ترجمته بالضوء اللامع ١٠/٩٨٣ سوى قوله « يحيى عبد الرزاق القبطى ويعرف =

أبي الفرج وصهر ابن المقسمي[1] واستقر ناظـر الاصطبلخانات الشريفة ، وهو أحد مباشرين أعيان الديوان المفرد[2] ، ووعد بمـال يقوم به للسلطان .

• • •

وفيه خلع على محمـد الصغير[3] أحد أصحاب السلطان وخواصه واستقر في ولاية دميـاط عوضا عن ناصر الدين محمـد بن أبي الفرج ، وكان له أيام قـلائل في ولايتها .

• • •

يوم السبت ثاني عشره : قُبض على عمر أخي التاج والي القاهرة ورسم بنفيه إلى قوص[4] ، ثم قرر عليه مال ولزم بيته .

= بالأشقر وبقريب أبي الفرج » ، ويشير نفس المرجع إلى أنه كان يسعى في نظر الاصطبل السلطاني بمال وعد به بدلا من فرج بن ماجد بن النحال القبطي كاتب المماليك ، انظر عنه الضوء اللامع ٦/٥٧٠ .

(١) ويقال له أيضا « المقسي » ، وقد ذكر السخاوي في الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٢٧ أن تسميته « بالمقسمي » إنما هي نسبة إلى ناحية المقسم بالقرب من باب البحر ، وفسرت بأنها المكان الذي كانت قد قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصامدة على مصر .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) كان معلم النشاب أيضا ، هـذا ويلاحظ أن النجـوم الزاهرة ٧/٥٤ ذكرت أنه استقر في نهاية دمياط هذه بعد عزل الأمير أسنباي الزردكاش الظاهري ولبس بدلا من ناصر الدين محمـد بن أبي فرج .

(٤) قوص من مدن الصعـيد الأعلى بمحافظة قنـا بمصر ، وقد تمتعت بمركز أدبي ممتاز في بعض العصور الاسلامية ، وتمتاز بحـرها الشديد ، ولكنها مع ذلك كانت مسكنا للعلماء والتجار ، وقد اشتق العرب اسمها الحالي من اسمها القبطي Qous الذي كان واحدا من أربعة أسماء ذكرها العلامة أميلينو في جغرافيته ، وظلت منذ العهد الفاطمي حتى آخر الحكم المملوكي بمصر قاعدة لإقليم القوصية ، انظر ذلك بالتفصيل في محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ق ٢ ، ج ٤ ص ١٨٧ .

وفيه ضُرب ابن الأهناسى محمد مقدم الوزير[1] ابن كاتب المناخ بالمقارع، وأشهر بالبلد على حمار قصير بلا عمامة على رأسه، وسبب ذلك أنه كان جبارا عنيدا ظالما غشوما، و[كان] السلطان يعرف أفعاله وهو أمير آخور كبير، و[كان] أمر بضرب رجل من أهل الدولة فمات فشكوه للسلطان فقطع لسانه، ثم دفعه إلى القاضى المالكى فلم يثبت عليه شىء.

يوم الثلاثاء خامس عشره: طُلب الشيخ حسن العجمى من القبة بالصحراء التى عمرها له الأشرف هى والزاوية[2]، وضُرب بين يدى السلطان بالمقارع ضربا شديدا مبرحا وأشهر بالقاهرة ثم رسم[3] بسجنه. وهذا المذكور ورد إلى القاهرة

(١) المقصود هنا هو الشمس محمد بن أبى بكر بن محمد بن حسين الأهناسى الوزير، وقد ولد قبل القرن التاسع الهجرى بقليل واشتغل، وشغل كثيرا من الولايات، وباشر عند ابن الهيصم ولكنه ترك ذلك بعد هذه الكائنة حيث اتهم بضرب كاتب من كتاب الوزير بسبب مال فى جهته، فأصبح الرجل معافا فعرف الأهناسى بالضرب بالمقارع، وكانت وفاته سنة ٨٧٣، وإذا أخذنا بما جاء فى المتن من قطع السلطان لسانه بالصورة المادية لم نجد لهذه العقوبة ذكرا فى ترجمته بالضوء اللامع ٧/٥٥، كما أن ابن حجر ذكر أنهم لما أحضروا الأهناسى إلى حضرة السلطان جقمق ضرب بحضرته بالمقارع «وأرسله إلى القاضى المالكى فعفا بعض أولياء الميت عن الدم».

(٢) الواقع أن فيما جاء بالمتن خطأ، إذ أن الأشرف برسباى كان قد عمر للشيخ حسن العجمى هذا زاوية بالصحراء بالقرب من تربة الظاهر برقوق، ومع ذلك فإن الصيرفى يعود بعد قليل ص ٤٧ س ٨ — ٩، فيؤكد أن الأشرف بنى له قبة وزاوية وساقية، على أنه جاء فى الضوء اللامع ٣ / ٥٣١ أنه شيخ «زاوية بباب الوزير» يضاف إلى هذا اختلاف الرواية هنا عما جاء فى إنباء الغمر لابن حجر العسقلانى (ج ٤ تحت الطبع) من قوله إن الشيخ حسن العجمى هو الذى طلع إلى السلطان بالشهر فأمر «بالقبض عليه».

(٣) أضافت النجوم الزاهرة ٧ / ٥٤ إلى ذلك أن جقمق طلبه فلما تقدم ليقبل يده «لطشه السلطان على خده لطشة كاد أن يسقط منها إلى الأرض»، ثم أمر به فعرى وضرب بالمقارع ضربا مبرحا».

فى زى التجرد وصار يستعطى فيتصدق [عليه] الناس، ثم إنه تقرب لمعرفة السلطان فأحبه وأقبل عليه إقبالا شديدا فصار عنده من أعظم أخصائه، بحيث أنه صار يدخل على السلطان فى الخلوات بغير إذن متى شاء ويقف فوق الأمراء، ولما يجلس السلطان بالحوش يتقدم حسن هذا المذكور وفى يده جوكان[1] فيخط فى الحوش خطا فلا يمكن أحد من الحاضرين كائنا من كان تعديه إلا إن طلبه السلطان أو أذن له .

وصار متمكنا من السلطان نعظام مكانه، وخدموه[2] الأعيان بالأموال على اختلاف أجناسها خوفا من شره وقُرْبه للسلطان، وأخذ السلطان فى بناء قبة كبيرة له بالصحراء وزاوية وساقية، ورتب له فقراء، وأوقف له وقفا فيه متحصل كبير جدا، وصار أهل الدولة يستثقلونه لكثرة ما يتكلم فيهم بالسوء عند السلطان، وكلما قابلوه بالإحسان قابلهم بضده إلى أن لقى سوء عمله، وجنى ثمرات مازرع مع المسلمين، وفُعِل به ما فعل من الضرب والسجن، ثم بعد ذلك نصب السلطان إنسانا فادعى عليه عند قاضى القضاة المالكية بأمور توجب هدر دمه ولكنها لم تثبت، قال شيخنا البدر العينى فى تاريخه : « إنه ادعى عليه أنه شتم[3] العرب

(١) عرف القلقشندى « الجوكان » بأنه المجن الذى تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان . انظر أيضا : Dozy: Supp. Dictionnaires Arabes

(٢) هكذا فى الأصل .

(٣) يستفاد من كلام الصيرفى فى المتن أعلاه ما يشير إلى أن الأمراء ربما ادعوا عليه عند السلطان لكثرة نمه منهم ، أما العينى فيقرر ما ادعاه عليه البعض من سبه العرب إلا الرسول عليه الصلاة والسلام ، أما ابن حجر فيقرر أنه قد ادعى على الشيخ حسن العجمى هذا بأنه « وقع فى حق الجناب الرفيع » .

وقال : « لعن الله العرب غير محمد صلى الله عليه وسلم » . وقامت البينة عند المالكى وتوقفت لأجل التزكية . وحبس فى الحبس مدة طويلة فى حديد ، وطال حبسه أشهرا طويلة ، فلما لم يوقع به فعل عند القاضى المذكور طلبه السلطان ثانيا إلى بين يديه وضربه ضربا شديدا ونفاه إلى قوص بعد أن أحيط على موجوده وأخذ بتمامه وكماله .

* * *

وفى غضون[(١)] هذه الأيام برز المرسوم الشريف أن يستقر تقى الدين أبو بكر بن أحمد ابن محمد — عرف بابن قاضى شهبة[(٢)] — فى قضاء دمشق عوضا عن البرهان ابن الباعونى ، وسبب ذلك أن السلطان لما استدعى المقر الكمالى محمد بن البارزى إلى مصر ليستقر كاتب السر بها ، وكان إذ ذاك قاضيا شافعيا بدمشق وجهز تشريفا وتوقيعا باسم البرهان الباعونى فى استقراره فى القضاء عوضا عن المقر الكمالى فامتنع[(٣)] من القبول ، فركب الأمير إينال الجكمى إلى بيته وسأله فى القبول فلم يقبل وصمم على المنع ، فكتب النائب يعلم السلطان بذلك فرسم لابن قاضى شهبة بالقضاء

(١) حدد ابن حجر فى الجزء الأخير من إنباء الغمر (ج ٤ الذى اعددناه للنشر) تاريخ هذا التعيين بأنه كان فى التاسع من جمادى الآخرة ، انظر أيضا قضاة دمشق لابن طولون ، ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٢) هو أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ، تقى الدين بن شهبة الدمشقى الشافعى المؤرخ ، وهو من بيت كبير ، كان أبو جده قاضيا بشهبة السوداء مدة أربعين سنة وكان مولد التقى سنة ٧٧٩ بدمشق ووفاته سنة ٨٥١ ، وقد أكثر من التأليف فى تاريخ حوادث زمانه ، ودرس فى مدارس عدة ، وكانت وفاته وهو جالس يحدث ولده والقلم فى يده فوضع القلم فى الدواة « واستند إلى المخدة والتوى رأسه ولفظ أنفاسه » ، ووصفه المؤرخ أبو المحاسن « بقاضى قضاة دمشق وعالمها ومفتيها وفقيهها » .

(٣) سيرد بالتفصيل فى ثنايا أخبار هذه السنة خبر خروجه عن الطاعة ، انظر ما ورد عنه من المراجع فى Wiet: Les Biographies Du Manhal Safi, No. 610

وجهزله التشريف ، ورسم أن يستقر أبو اليمن أمين الدين محمد بن أبى الخير محمد ابن على النويرى[(١)] خطيب الحرم فى قضاء مكة وخطابتها عوضا عن أبى السعادات محمد بن أبى البركات محمد بن أبى السعود بن ظهيرة ، وجهز له التوقيع والتشريف .

* * *

يوم الأحد عشرينه : عين السلطان خمسمائة مملوك وأنفق فى كل نفر منهم عشرة دنانير ليتوجهوا إلى بلاد الصعيد .

* * *

وفى أواخر شهر جمادى الأولى[(٢)] قبض على بيبرس بن بقر[(٣)] وعوق بباب السلسلة وطلب منه عشرة آلاف دينار ومائة فرس ، ورسم عليه جماعة من

---

(١) النويرى : هو محمد بن محمد بن على بن أحمد بن عبد العزيز العقيلى النويرى المكى الشافعى ولد بمكة سنة ٧٩٣ وكان مالكيا ثم تحول شافعيا ، وسمع فى كليهما على أئمة فقهاء وقته ، وولى قضاء مكة وجدة ، وكذلك نظر الحرم الشريف ، وكانت بينه وبين ابن حجر مودة ومحبة ورسائل ، ومات سنة ٨٥٣ ، ولقد قال عنه أبو المحاسن الذى كانت له به معرفة جيدة « كان فردا فى معناه ، ولم يكن أر بمكة المشرفة فى مدة مجاورتى من يدانيه فى الطواف وفى كثرة العبادة » .

أما أبو السعادات ابن ظهيرة فهو أحد أربعة إخوة يسمى كل منهم بمحمد ، ولكن المقصود هنا هو أبو السعادات محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن على بن أحمد بن عطية بن ظهيرة ، ولد سنة ٧٩٥ بمكة من بيت عرف أفراده بتولى الخطابة والقضاء وما شابههما من الوظائف الدينية فى الأرض المقدسة ، كذلك ولى هو الحسبة بمكة بضع مرات ، وقد لقيه السخاوى بمكة سنة ٨٥٦ ووصفه بالفقيه « الذكى » وقال عنه إنه « دقيق النظر ، حسن البحث جيد المشاركة والمذاكرة » وتفرد بمعرفة العلوم الشرعية وخاصة الفقه على مذهب الشافعى ، وكانت وفاته بمكة سنة ٨٦١ كما جاء فى الضوء اللامع ٩/٢٧٥ .

(٢) أورد الصيرفى هذا الخبر بأكمله فى هامش جانبى استدار حول الصفحة ١٧٧ ب من الأصل .

(٣) هو بيبرس بن أحمد بن بقر شيخ العربان بالشرقية . هذا ويلاحظ أنه لم ترد فى ترجمته بالضوء اللامع ٣ /٩٩ ما جاء فى المتن أعلاه إنما اكتفى السخاوى بقوله عنه إنه كان « حشما كريما دينا كثير الأدب والتواضع ، نادرة فى أبناء جنسه » .

الأوجاقية الخوارج، وأذن له أن يركب وهو فى الترسيم ليقوم بما عليه ، فلما كان يوم السبت آخر النهار الخامس من جمادى الأولى، وكان بيبرس ركب إلى مصر واتفق مع جماعة من عربانه فأكمنوا له فى خرايب مصر فرجع ، فإذا بجمع كثير من العربان الخيالة فرد هجومهم ، فدكس بيبرس اليهم وأعرضوا القتل على الأوجاقية فانهزموا إلا واحدا منهم يقال له « الغول » فاستمر يتبعهم ، فجاء إليه شخص من العرب وضربه بالسيف فلولا ضيعها لقطعت رقبته، ولكن جاء طرفها فى وجهه ، وهرب بيبرس من ناحية البر إلى جهة القرافة[1] .

• • •

شهر جمادى الآخر

أهل بيوم الخميس[2] .

فيه عين السلطان الأمير سودون المحمدى[3] ومعه مائة مملوك إلى غزو عرب بلى[4] بعد أن قرره ناظر الحرم بمكة عوضا عن ولى الدين بن قاسم ، وأنعم عليه بثلاثة

(١) إلى هنا ينتهى الخبر الوارد فى هامش الأصل ، انظر الحاشية رقم ٢ ص ٤٩ .

(٢) الوارد فى إنباء الغمر بأنباء العمر أن أوله الأربعاء ، وهو اليوم الذى يطابق ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٢١ .

(٣) كان سودون بن عبد الله السيفى المحمدى الظاهرى من المماليك الأشرفية برسباى وكان ممن انضم للملك العزيز يوسف ، فلما تسلطن جقمق نفاه ثم أعاده بسعى خوند البارزية لأنه زوج لأختها لأبيها ، وقد ولاه جقمق نظر مكة ، وكانت وفاته فى سنة ٨٥٠ ، راجع الضوء اللامع ٣ / ٨٤ ق ١٠ .

(٤) « بلى » بفتح الباء وكسر اللام وتشديد الياء نسبة إلى بلى بن عمر بن الحافى ، وكانت مساكنهم تقع بين المدينة ووادى القرى ، وذكر ابن خلدون أن مواطنهم كانت شمالى جهينة إلى عقبة أيلة الواقعة على العدوة الشرقية من البحر الأحمر ، ولم يقتصر وجودهم على ناحية واحدة بل انتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وأصبحت ديارهم فى مصر هى أخميم من صعيدها وما تحتها ، انظر فى ذلك عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، المطبعة الهاشمية بدمشق ، ١ / ١٠٤ — ١٠٧ .

آلاف دينار ، وعلى المائة مملوك ستمائة آلاف ، فصار لكل واحد منهم ثمانون دينارا . وذكر شيخنا البدر العيني أن كل مملوك أخذ مائة دينار وهجينا ، والصحيح أنهم أخذوا ثمانون[1] دينارا وهجينا ، وأما قول الشيخ تقي الدين المقريزي إنهم أخذوا ثمانين دينارا كل واحد فصحيح لكن فاته أخذ كل واحد منهم هجينا .

ورسم له[2] أن يبالغ في غزو بلى وذلك لما تقدم منهم من نهب الحاج ، وكتب إلى عرب التركمان بالمسير معه وكذا إلى عرب ينبع ، وأمده بالخيول والجمال .

* * *

وفيه : خلع على تاج الدين محمد بن السمسار واستقر في نظر جدة عوضا عن سعد الدين إبراهيم بن المرة .

* * *

يوم الجمعة ثانيه : أخرج السلطان خطابة الجامع الطولوني عن أبي اليسر محمد ابن الشيخ زين الدين أبي هريرة عبد الرحمن بن النقاش باسم برهان الدين إبراهيم ابن الميلق[3] وذكر العلة[4] في إخراجها عنه أنه ألثغ وأنه يبدل الحروف ، وأن الصلاة لا تصح خلفه إلا لمثله ، وساعده[5] الشيخان العظيمان شيخا الإسلام أحمد بن حجر

(١) هكذا في الأصل والصواب فيها « ثمانين » .

(٢) الضمير في « له » عائد على الأمير سودون المحمدي .

(٣) هو إبراهيم بن أحمد بن أحمد بن محمد الشافعي الشاذلي القاهري المعروف بابن الميلق ، ولد سنة ٧٨٤ بالقاهرة وكانت له دراية بالأحكام والشرطة ، كما كان مشهورا بجودة الخطابة ، جهوري الصوت واضح النبرة ، وقد رشحته كل هذه الصفات عند جقمق لتولي الخطابة ، كما كانت له معرفة قديمة به ومات سنة ٨٦٧ هـ .

(٤) أشار ابن حجر في الجزء الرابع من إنبائه (تحت الطبع) ، إلى أن جقمق كان يصلي وراء ابن النقاش وقت أن كان أميرا « فلا يفصح في الخطابة ولا في القراءة ولا في الصلاة فكانت هذه العلة التي تعلل بها جقمق لنزع الخطابة من يده » .

(٥) في الأصل ساعدوه .

وسعد الدين الديرى مساعدة كبيرة ، ولم يرجع السلطان عن ذلك ، وذلك لما بينه وبين أبيه فى القديم .

* • •

خامسه : الذى هو الاثنين سار سودون المحمدى بمن معه من المماليك إلى مكة ، وتوجه فى إثره بقليل الأمير شهاب الدين أحمد بن على بن إينال ومعه جماعة من المماليك لإصلاح مناهل طريق الحاج ، وسارت المماليك الأشرفية الخمسمائة لقتال العربان هوارة[1] .

وفيه : خلع على الأمير آقبغا [من ما مش] التركمانى[2] واستقر نائب الكرك

---

(١) هوارة من القبائل العربية ، وقد ورد اسمهم فى معجم قبائل العرب لكحالة ، ص ١٢٢٣ « الهوارة » ، وقسمهم إلى جماعتين واحدة من قبائل مصر وهذه تنتسب إلى عرب الحجاز وتقيم فى محافظة البحيرة ، والأخرى ترجع فى أصلها إلى عرب بنى عون ، إحدى قبائل دمهور وتقطن الناصرة بفلسطين ، هذا وقد نسب المقريزى هوارة إلى رجل اسمه هوار بن المثنى ، وأنهم انتشروا فى المغرب حيث ذهب فى طلب إبل له نفرت فضل الطريق ، فلما سأل غلامه أين هم وأخبره بالمكان قال « تهورنا » والتهوّر هو « الحمق » ، (انظر البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، الطبعة الأولى ١٩٦١) أما القلقشندى فقد جعلهم من البربر ، وذكر أن منازلهم بمصر بالبحيرة ومن الاسكندرية الى العقبة الكبرى من برقة ، راجع نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب ، ص ٤٤١ .

(٢) هو آقبغا من مامش التركمانى الناصرى فرج ، ولى إمرة عشرة أيام برسباى ثم ولاه نظر الخانقاه بسرياقوس ، فلما كانت سلطنة جقمق ولاه سنة ٨٤٣ نيابة الكرك ، لكن لم تطل مدته بها حيث قبض عليه لشربه الخمر حتى إنه سجن فى قلعة الكرك ومات سنة ٨٤٣ .

أما خليل بن شاهين الظاهرى الشيخى الصفوى برقوق فقد ولد بالقدس سنة ٨١٣ وتحول طفلا الى القاهرة مع أبيه ، ثم صار من جملة المماليك الأشرفية برسباى وولى نظر الاسكندرية والحجابة بها ، كما تولى نظر بيع البهار الخاص بالذخيرة الشريفة ، وتولى بعد ذلك الوزارة لبرسباى لأنه تزوج من « أصول » أخت زوجته خوند جلبان ، ويقول السخاوى فى الضوء اللامع ٧٤٨/٣ ، إنه لما مات الأشرف صرفه الظاهر جقمق عن نيابة الكرك وولاه أتابكية صفد طرخانا ، ثم ولاه نيابة ملطية ، وكان موته بطرابلس سنة ٨٧٣ ، وكان إلى جانب هذا شاعرا مبدعا بالنسبة لشعراء عصره .

عوضا عن خليل [بن شاهين الشيخي] الذى كان نائب اسكندرية ووزيرا ، ونقل خليل إلى مدينة صفد واستقر بها أميرا كبيرا[١] .

* * *

سابع عشره : قدم الخبر بأن جهان شاه بن قرا يوسف تملك قلعة « النجا » من عمل توريز بعد أن كانت بيد ابن أخيه اسكندر ، وعوضه عنها قلعة « أونيك » ، وهو قاصد أخذ ارزن[٢] الروم من صاحبها ، وأن جوكى بن القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كوركان سار بخيله ورجله على قراباغ ، وأن القان شاه رخ جهز ثلاث خلع وشطفة[٣] إلى مراد بك بن عثمان ملك الروم ، فخرج وزراؤه وأعيان مملكته إلى لقاء رسل القان القادمين عليهم ، ودخلوا بالرسل فى مجلس خاص ، فلبس الخلعة وأكرم الرسل وأفاض عليهم الخلع ، وقدم لهم التقادم السنية وتكلم معهم فى مصاهرة القان ، وأن تكون بنات كل منهما لأولاد الآخر ، ووعدهما بمال جزيل إن وقع ذلك .

* * *

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٧/ ٥ أنه نقل إلى أتابكية صفد ، على أنه يلاحظ أن النجوم أدرجت هذا الخبر فى شهر رجب لا فى شهر جمادى الآخر الذى لم يرد له ذكر بها .

(٢) أرزن الروم من المدن الكبرى فى منطقة الفرات الأعلى تكثر فيها البيع والكنائس الحسنة البناء ، واسمها الأصلى « ارزروم » وسماها العرب ارزن الروم وأرض الروم وهى عند الأرمن Karin وتعرف عند الروم باسم تيودسيو بوليس Theodosiopolis وهى مدينة إسلامية ، انظر لى صترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٣) الشطفة كما عرفها دوزى فى Supp. aux Dictionnaires Arabes لفظ فارسى بمعنى الشعار .

هذا وقد وردت هذه الكلمة فى القلقشندى : صبح الأعشى ٦١/٤ فى قوله إنه من عادة كل أمير أن يكون له رنك يخصه « بشطفة » واحدة أو شطفتين بألوان مختلفة .

شهر رجب

أهل بيوم الخميس[١] .

فيه : نفقت[٢] الكسوة على المماليك السلطانية و كانت عادتها فى الأيام الأشرفية برسباى أن يدفع لكل مملوك خمسمائة وسبعون[٣] درهما من الفلوس التى هى معاملة القاهرة ومصر ، وفرقها والد مسطره[٤] على المذكورين سنينا عديدة ، فامتنع المماليك من ذلك وقالوا : « ما يأخذ كل واحد منا إلا عشرة دنانير » ، فقام بأمرهم الأمير المقدم ونائبه ومازالوا بهم حتى أخذ كل مملوك ألف[٥] درهم من الفلوس ، وكل خاصكى ألف وخمسمائة ، وذلك بعد مشاق شديدة .

وفيه : رسم السلطان أن يكون نواب القاضى الشافعى خمسة عشر ، ونواب الحنفى عشرة ، ونواب المالكى والحنبلى كل واحد أربعة، وليت هذا لو دام ، ثم بلغت عدتهم بعد ذلك إلى شىء كثير ، و إلى الله المصير .

* * *

يوم الأحد رابعه : ابتدئ بقراءة صحيح البخارى بحضور السلطان بالقصر بالقلعة على العادة ، فحضر خلق كثيرون لا تحصى عدتهم ، ورسم شيخ الإسلام

(١) هذا هو اليوم الوارد أيضا فى جداول التوفيقات الإلهامية ص ٤٢١ ، لكن ابن حجر جعله الجمعة ثم عاد فذكر أنه « ثبت أنه رئى ليلة الخميس » .

(٢) هكذا فى الأصل والمقصود « أنفقت » .

(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة ٧ / ٥٥ أنها كانت خمسمائة درهم فقط من الفلوس .

(٤) هذه إشارة صريحة من الصيرفى نستدل منها على أن أباه كان يتولى إليه توزيع النفقة ، و إن كان ثم نظر فى هذا القول .

(٥) كلمة غير مقروءة فى الأصل ، وقد وضع ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٧ / ٥٥ ص ٢٦ .

ابن حجر بالمنع من البحث ، فإنه كان يفضى إلى خصومات كثيرة وغيرها ، فامتنعوا وكفوا عنه ، ولله الحمد .

• • •

يوم الخميس ثامنه : استدعى السلطان قضاة القضاة والأمراء والمباشرين[1] وأعيان الدولة فى القلعة فى القصر بعد الخدمة ، ونصّبوا بعض نواب القاضى الشافعى وهو [على] بن أقبرس علاء الدين[2] وكيلا فادّعى — على نقيب الحكم ابن يعقوب بعد أن أقيم وكيلا عن الأمير قرقماس الشعبانى — دعوى حسبة بين يدى قاضى القضاة شمس الدين البساطى المالكى أن الأمير قرقماس عصى وخرج عن طاعة ولى الأمر وحارب الله ورسوله ، وأنه قُتل معه من المسلمين بسبب ذلك عدة ، وجرح أكثر ، وأن إقامته بالسجن يؤول منها مفاسد وفتن ، وأن فى قتله مصلحة ، وشهد بذلك جماعته من الأمراء ، فحكم البساطى بموجب ذلك ، فقال له الشيخ الإمام أحمد بن على بن حجر : « ما موجب ذلك » ؟ قال : « القتل » ، فعيّن السلطان من فوره بعض المماليك إلى إسكندرية فوصلوا فى يوم الاثنين ثانى عشره ، وقال الشيخ بدر الدين العينى إنه وصل يوم الأحد الحادى عشر ، والقاصد يقال له طوغان [السيفى أقبردى المنقار] ، واستدعاه

---

(١) فى الأصل « المباشرون » .

(٢) هو على بن محمد بن أقبرس المولود بالقاهرة سنة ٨٠١ ، وكان حسن الصوت طارى النغمة ، واهتم بالفقه وعلوم اللغة وناب فى الحكم شافعيا ، وقد قربه جقمق لسابق معرفة بينهما قبل سلطنته ، وولاه نظر البيوت والأوقاف ومشيخة خانقاه قوصون والحسبة بمصر ، فلما مات جقمق صودر وعزل من جميع الوظائف ومات سنة ٨٦٢ ، راجع عنه السخاوى ، الضوء اللامع ٥ / ٩٨٧ ، وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧ / ٣٠١ ، والبقاعى : عنوان العنوان ، ترجمة رقم ٤٣٨ .

الأمير تمرباى [التمربغاوى] وهو يرسف فى قيوده ، فقرىء عليه الكتاب وقد اجتمع الملأ العظيم من الناس لرؤيته ، وقيل له : « هل لك دافع أو مطعن فيما حكم به البساطى المالكى ؟ » ، فإنه كان أبقى له الحجة ، فأجاب بعدم الدافع والمطعن » . هكذا نقل المقريزى .

وقال البدر العينى إنه لم يتكلم بشىء .

ثم أركب حمارا وأخرج إلى ظاهر البلد وجلس عريانا ، وتقدم المشاعلى[1] وكان غير ماهر فضربه خمس ضربات ، وقيل سبع ضربات ، وقيل ثلاثا وهو لم يصب عنقه ، وآخر الأمر حز عنقه[2] حتى انفصل الرأس عن البدن وترك فى موضعه حتى واراه بعض أتباعه فى قبره ، وكان ذلك عبرة لمن اعتبر .

قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « ولم يعهد قبل ذلك من حيث هذه الدعوى وهذا الحكم الذى زعموا أنه من الأحكام الشرعية ، ولا من حيث أن أميرا من

(١) الوارد فى المعاجم والمفهوم العام لهذا اللفظ أنه واحد من جماعة « من أرباب الضوء وهم المكلفون بأعمال الإضاءة » . انظر السلوك (تعليق زيادة) ١/٥٢٠ - Dozy: Supp. aux. Dict. Arabes.
ولكن يستدل من المتن أعلاه على أنه أطلق على « الجلاد » فى العصر المملوكى المتأخر أو فى هذه الفترة بالذات .

(٢) جاء فى أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ / ٥٦ — ٥٧ وصف شاهد عيان لقتل قرقماس الشعبانى ، ويعنى به طوغان السيفى المنقار ، حيث ذكر أن القوم قدموا بقرقماس « فأجلس على ركبتيه وأخرج المشاعلى سيفا من غير قراب بل كان ملفوفا بحاشية من حواشى الجوخ التى لا ينتفع بها فلما رأيت ذلك قلت للمشاعلى : إيش هذا السيف الوحش ؟ فقال : ولا بل هو سيف جيد » ثم أخذ المشاعلى السيف المذكور وضرب به رقبة قرقماس فقطع من رقبته مقدار نصف قيراط لا غير ، وعند وقوع الضربة فى رقبة قرقماس صاح صيحة واحدة مات فيها من عظم الوهم ، ثم ضربه المشاعلى أخرى ثم ثالثة ، وفى الثالثة حزها حزا حتى تخلصت » ، انظر أيضا نفس المرجع والجزء ، ص ٢٥٥ — ٢٧٥ .

عظماء الدولة ترشح للسلطنة يقتل هـذه القتلة الشنيعة ، ثم لا يُحسَن قتله » ، انتهى كلامه .

ووصل القاصد إلى القاهرة ، وأخبر بقتله فى يوم الخميس الخامس عشر من شهر رجب آخر النهار .

• • •

يوم الاثنين التاسع عشر منه : خلع على الأمير يلبغا البهائى [الظاهرى برقوق] الذى أخذ الجوبية الثانية من أسنبغا الطيارى وصار أمير عشرين ، واستقر نائب إسكندرية عوضا عن الأمير تمرباى [التمربغاوى] .

وفيه قـدم الخبر بأن الأمير سودون المحمدى توجه هو والشريف أمير ينبع وأمير بنى عقبـة فى طلب عرب « بلى » حتى لحقوهم بالقرب من أكره(1) يـوم السبت ثالث شهر رجب ، فحار بهم بعدده وعدده ، فقتل منهم وأسر وجرح عددا كبيرا ، وقُتل من جماعته أيضا عدة ، وانهزم(2) عربان بلى ومضى بجماعته إلى جهة ينبع .

• • •

يوم السبت رابع عشرينه : وصل الأمير على باى بن قرايلك ، وكان ببلاد الروم ، ودخل أرزنكان فوجد بها جهان كير وأخاه(3) يعقوب بن قرايلك فوثب عليه أخوه يعقوب وأخرجه وأراد الفتك به فخرج معـه ابنه(4) جهان كير هذا قريبا من حلب ببهسنا فأقام ابنه جهان بها ومعه ألوف من التركمان .

---

(1) لم نستطع قراءة هذه الكلمة ولا الاستدلال عليها .

(2) فى الأصل « وانهزموا » .

(3) فى الأصل « وأخوه » .

(4) فى الأصل « أخاه » .

وقدم على باى راغبا فى طاعة السلطان فخلع عليه خلعة سنية، وأركبه مركوبا خاصا، وأنزله بدار جميلة، وأجرى عليه من الراتب ما يكفيه وزيادة.

وفى سلخ هذا الشهر قصد الملك الأشرف إسماعيل[1] بن الطاهر عبد الله بن الأشرف إسماعيل ملك زبيد وتعز وعدن فى بلاد اليمن بعد موت ابنه وله من العمر قدر عشرين سنة.

• • •

شهر شعبان

أهل بيوم السبت

يوم الأربعاء خامسه: أمر السلطان بهدم دار الشيخ زين الدين عبد الرحمن أبى هُريرة بن الشيخ شمس الدين أبى أمامة محمد بن النقاش التى بناها فى أرض زيادة الجامع الطولونى، وسبب ذلك أن أبا هريرة بن النقاش أخذ خطابة الجامع الطولونى من ولد السبكى قسرا وقهرا، وقصد أن يكون سكنه بالجامع، فاستأجر قطعة أرض من زيادة الجامع وبنى بها دارا عظيمة البناء، وذلك بعد سنة ثمان وسبعمائة، ثم شرع يفتح لها بابا واصلا إلى الجامع، فصار يدخل الجامع فى أوقات الصلوات منها، وصنع فى هذه الدار صهريجا عظيما وإسطبلا واسعا لخيوله ودوابه، فوثب عليه جماعة فى المسجد وغيرهم فإنه كان كثير الأعداء، وأنكروا عليه ماصنعه فى زيادة المسجد، فبادر وأخذ خطوط العلماء بأن لايهدم مابناه، وكانت له ولأخصامه بسبب هذه الدار شرور كثيرة ومنازعات طويلة وعقود مجالس

(١) هو اسماعيل بن عبد الله بن اسماعيل بن العباس بن على بن رسول، تولى الملك سنة ٨٤٢ وقد ساءت سيرته فى الحكم لسفكه الدماء وسلبه الأموال، انظر الضوء اللامع ٢/٩٢٦.

في كل دولة ، وآخر ذلك في دولة الملك الأشرف برسباى في سنة ست و ثلاثين وثمانمائة بالجامع المذكور، ووقع الكلام بأن «[هل] فناء الجامع من الجامع أو لا ؟ » ، وحضر هذا العقد قضاة القضاة الأربعة وهم شيخنا العلامة الحافظ أحمد بن على ابن حجر الشافعي ، وشيخنا العلامة بدر الدين محمود العيني والشيخ العلامة شمس الدين البساطى المالكى ، وشيخنا العلامة محب الدين البغدادى الحنبلى (١) ، والقاضى علم الدين صالح بن البلقينى (٢) ، وكان معزولا ، ولكنه كان ناظرا على الجامع ، وجلس القاضيان ابن حجر وصالح إلى جانب بعضهما ، وحضر أيضا الأمير قرقماس حاجب الحجاب ، و بعد بحث عظيم زائد حكم القاضى ناصر الدين الشنشى (٣) بأن فناء هذا الجامع حكمه حكم الجامع ومعناه ، فلا يبنى ولا يتصرف فيه بشىء ،

(١) هو أبو الفضل محب الدين أحمد بن نصر الله بن أحمد بن أحمد ، البغدادى المولد ، القاهرى الدار ، الحنبلى المذهب ، وشيخه وشيخ الاسلام وعلم الأعلام ، ولد سنة ٧٦٥ وتفقه على علماء الحنابلة ببغداد ، وأجيز بالفتيا وهو شاب قبل أن يكمل العشرين من عمره ، وأعاد بالمدرسة المستنصرية ببغداد ورحل إلى حلب ودمشق و بعلبك ثم القاهرة ، وقد وصفه السخاوى بأنه كان « إماما فقيها مفتيا نظارا ، علامة متقدما فى عدة فنون خصوصا فى مذهبه ، ومع المداومة على الأوراد والعبادة والتهجد والصيام » وكانت وفاته سنة ٨٤٤ ، انظر ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧/ ٢٥٠ .

(٢) هو العلم صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ، البلقينى الأصل الشافعى ، ولد سنة ٧٩١ بالقاهرة ، واشتغل بالفقه وأصوله والعربية والحديث والنحو ، وتفرد بالفقه ، وظهرت براعته فى الأحكام حتى فكر المؤيد شيخ أن يوليه القضاء . وكان بحر علم حتى ليقول بعضهم عنه « إن الحضور بين يديه من المفرحات » . وألف تفسيرا للقرآن ومات سنة ٨٦٨ ، انظر شذرات الذهب ٧/ ٣٠٧ .

(٣) هو ناصر الدين عمر بن محمد بن موسى بن عبد الله الحنفى المتوفى سنة ٨٥١ ، ويستدل من ترجمة ابنه الواردة فى الضوء اللامع ٨/ ٧١١ ، على أن الأب كان أحد نواب الحكم الحنفى بمصر ، هذا وقد ضبط ابن حجر « الشنشى » . بمعجمتين مفتوحتين بينهما نون ، كما جاء فى إنباء الغمر ١/ ٥٠٢ ترجمة رقم ٤٤ ، أنظر أيضا عنه الضوء اللامع ٨/ ٤١٤ .

ونفذ حكمه بقية القضاة ولم يتكلموا فى هدم الدار إلى هذه الأيام، وهو يستظهر عليهم بما معه من خطوط العلماء وأنهم استأجروا الأرض سنين .

وكان رحمه الله رجلا جلدا، ذا[1] قوة وصبر وشجاعة وثبات ، لا يمكن احتجاجه[2] بشىء ولا ردّه بمرّة، فقاسى بسبب هذه الدار أهوالا وخطوبا وكروبا إلى أن مات، وجعل هذه الدار وقفا على أولاده من بعده، فوقع لهم بعده بسببها ما ذكرناه ، وليس أحد من الحكام له إقدام على هدمها لما بأيدى أولاده من فتاوى مشايخ الإسلام وأحكام القضاة الذين كانوا لا يداهنون فى الأحكام ، عليهم رحمة الله والسلام، الى أن أظهر السلطان الوقيعة فى أبى هريرة بن النقاش وأخرج عن أبى اليسر الخطابة ومشيخة الميعاد بسبب ما يعتريه فى لسانه من تغيير الحروف . وقوى عزمه[3] على هدم الدار فعين القضاة غير مرة لهدمها فلم يتح لهم ذلك ، واجتمع القضاة الأربع فى مجلس السلطان وانتدب القاضى شمس الدين الونائى لهدمها بعد أن قام ولى الدين السفطى وادّعى على أولاد أبى هريرة عند قاضى القضاة شمس الدين المذكور أن مُدّة إجارة الأرض الحاملة للبناء انقضت وسأل رفع البناء عنها ، فتقدم القاضى شمس الدين الونائى وحكم على أولاد أبى هريرة برفع البناء القائم على أصوله ، واستمر راكبا إلى الجامع حتى حضر بدء هدمها واستمر الهدم إلى يوم الخميس غده .

---

(١) فى الأصل « ذو » .

(٢) أى الاحتجاج عليه .

(٣) الضمير فى « عزمه » عائد على السلطان .

قال الشيخ تقى الدين المقريزى، «وكان هذا لم يسمع بمثله فيما تقدم، غير أن ذلك عبرة لأولى الألباب، وذلك أن أبا أمامة محمد بن النقاش قام على قطب الدين محمد بن الهرماس حتى هدم السلطان حسن [بن قلاون] داره من أجل أنه بناها فى زيادة الجامع الحاكم[1] بعد نحو ثمانين سنة بأن هدمت دار ولده أبى هريرة من أجل أنها بُنِيَت فى زيادة جامع طولون».

وقال الشيخ تقى الدين المقريزى أيضا: «ولقد سمعت أمى أسماء بنت محمد ابن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى وكان من الأفراد فى أمر الدين، تقول عن الله تعالى إنه قال «يا داود أنا الرب المعبود، أعاقب الأبناء بما يفعله الجدود»، ولقد عوقب فى هذه الحادثة أبو أمامة وأخوه أبو اليسر ابنا أبى هريرة بما فعله جدهما أبو أمامة شمس الدين، ولا يظلم ربك أحدا.

ولما كان يوم السبت الثامن من شهر شعبان استدعى شيخنا شيخ الإسلام — وحافظ عصره فى الأنام قاضى القضاة شهاب الله والدين أبو الفضل ابن حجر العسقلانى — أكابر المملكة وأعيانها ومن جملتهم الناصرى محمد ولد المقام الشريف ورفقاءه القضاة الثلاث ومشايخ الاسلام ومقدمى[2] الأنام والطلبة من كل

(١) من أكبر الجوامع بالقاهرة المعزية، ويقع خارج باب الفتوح، أسسه العزيز بالله نزار ابن المعز لدين الله الفاطمى، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله وما لبث الجامع أن أصبح داخل القاهرة، وقد ذكر المقريزى فى الخطط ٢/٢٧٧ — ٢٨٠ أنه كان يعرف بجامع الخطبة، كما أصبح من أسمائه أيضا «الجامع الأنور» ولما أكمله الحاكم علق الستائر على كل أبوابه وعلق به التنانير الفضية ونصب فيه منبرا، ثم حبس عليه أوقافا كثيرة، وقد تعاور الحكام المسلمون فى مصر زيادته وإصلاحه وترميم ما تساقط منه، ثم عملت فيه دروس لإقراء الفقه على المذاهب الأربعة.

(٢) فى الأصل «مقدمين».

مذهب ، فاجتمعوا بالتاج والسبع وجوه (١) خارج القاهرة وكان الوقت ربيعا ، والأرض زمردة خضراء على عنبرة سوداء ، وبين كل قليل منها برسل من الماء كاللجين ، وفى وسط الزراعات من الكتان ما يضاهى لونه العسجد ، وقد هيأ لهم الطباخين اشرعوا فى الأطعمة الفائقة الفاخرة الملونة التى هى فى غاية الحسن ، فقدموها بين أيديهم ، ثم قدم لهم من أنواع الحلاوات ما يجل وصفه و يكثر قدره ، ثم المشروب .

وسبب هذا الاستدعاء أن شيخنا شيخ الإسلام أكمل تصنيفه الذى سماه كتاب «فتح البارى بشرح البخارى» فى عشرين مجلدا ضخمين (٢)، وقد حضر فى هذا المجلس الشعراء والمنشدون ونظموا المدائح والقصائد فى شيخنا المذكور ، فابتدأ القارئ وهو الشيخ برهان الدين بن خضر فقرأ من آخر الكتاب مجلسا خفيفا

---

(١) وتعرف بمنظرة التاج والسبع وجوه ، وهى من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش ، وكانت من جملة النواحى التى يتزلها الخلفاء الفاطميون للنزهة ، وقد ظلت منتزها حتى مستهل القرن التاسع للهجرة ، فنرى أن المقريزى يشير إلى خرابها حتى لم يبق منها كما قال « سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار ، وصار ما حول هذا الكوم مزارع من جملة أراضى منية الشيرج » . وأما الخمس وجوه فهى أيضا من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش ، وسميت بهذا الاسم لأنه كان بها خمسة أوجه من الخشب وكانت تستعمل لنقل الماء إلى البستان ، وقد تآلف العامة على تسميتها « بالتاج والسبع وجوه » ، وذكر المقريزى أيضا أنه فى أيام فيضان النيل ينبت بها البشنين فيكون أجمل ما ترى العين ، كما ذكر أن المؤيد شيخ ابتدأ فى تجديد عمارة منظرة فوق الخمس وجوه فى ربيع الآخر سنة ٨٢٣ » انظر المقريزى : الخطط ١ / ٤٨١ .

(٢) هكذا فى الأصل ويقصد « ضخمة » .

خضعت له الأسود وانقادت له الفضلاء ، وارتاح كل من حضر إلى كتابة نسخة منه ، وأخلع على القارئ جبة مسنجبة عظيمة ، ثم قام المنشدون لينشدوا قصائد الشعراء ومديحهم ، فاتفق أن الشيخ شهاب الدين بن أبي السعود الأديب الفاضل ، والشيخ برهان الدين البقاعي[1] المحدث نظم كل[2] منهما قصيدة ، وعُرضت على قاضي القضاة ، وحفظ قاضي القضاة من كل من القصيدتين أبياتا ، فأعجبته قصيدة الشيخ شهاب الدين بن أبي السعود في الظاهر والباطن ، وكان قد أنشد ما يحفظه من القصيدتين لسيدي محمد بن المقام الشريف وللأمير تغرى برمش الفقيه ، فتعصبوا للشيخ شهاب الدين بن أبي السعود ، فحصل بين المنشد لقصيدة الشيخ شهاب الدين بن أبي السعود والمنشد لقصيدة الشيخ برهان الدين شر كبير ، وقال الحاضرون بأعلى صوتهم : « لا تنشدوا إلا كلام الشيخ شهاب الدين بن أبي السعود » ، فحصل عند الشيخ برهان الدين من ذلك حدة وإنكاء ، وكاد أن يقع بينه وبين الشيخ شهاب الدين شيء ، وآخر الأمر أنشدوا قصيدة ابن أبي السعود ومطلعها :

تمنعت بدموع الصب في حجب فاعجَبْ لشمس الضحى في حلة السحب

وهي قصيدة جليلة جداً ، وقصيدة الشيخ برهان الدين [البقاعي] ومطلعها :

إن كنت لا تصبو لوصف عذارى

دع عنك تهيامي وخَلْع عذارى

(١) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي ، ولد سنة ٨٠٩ بقرية « خربة روحا » من أعمال البقاع ، ورحل إلى دمشق فبيت المقدس فالقاهرة ، ورابط غير مرة ، وله تفسير كبير ، وقد ترجم لنفسه ترجمة وافية في معجمه الصغير عنوان العنوان بتراجم الشيوخ والتلاميذ والأقران ، والكبير « عنوان الزمان » ، وقد حققناهما وأعددناهما للنشر إن شاء الله .

(٢) في الأصل « كلا » .

ثم لما انتهى المنشد من إنشادها أخلع عليه وعلى الناظم ، وتقدم المنشد بقصيدة البقاعى فلم يسمعها أحد من الحاضرين ووثبوا على أقدامهم ذاهبين ، فحصل عنده من هذا أمر كبير حتى آل الأمر بعد ذلك إلى أن وثب الشيخ برهان الدين البقاعى على الشيخ شهاب الدين بن أبى السعود فى الإملاء ليقتله وفى يده سكين الدواة ، وكانا يحضران الإملاء عند قاضى القضاة شهاب الدين بالبيبرسية[1] ، ومن ثم انقطع ابن أبى السعود عن الإملاء . وسمعتُ من كل منهما هجو الآخر ، ولكنه [هجو] لا يذكر .

وكان هذا اليوم الذى اتفق لشيخنا من الأيام المشهودة ، أنفق فيه من الأموال شىء كثير ، وصار الرجال والنساء عالما[2] كبيرا ، ونُقل السوق الكبير وضربت الخيام حوله ، وكتبت من هذا الشرح[3] بخطى مجلدة وقرأتها على المؤلف رحمه الله .

---

(١) وتعرف هذه المدرسة أيضا بالمدرسة الظاهرية نسبة الى مؤسسها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى (سنة ٦٦٠ — ٦٦٢ هـ) ، وقد منع السخرة فى بنائها فأمر كما يقول المقريزى ألا يستعمل فيها أحد من غير أجرة ، وكانت قاصرة فى أول إنشائها على تدريس المذهب الشافعى بالإيوان القبلى بها ، والحنفى بالإيوان البحرى ، أما الإيوان الشرقى فكان لأهل الحديث ، والغربى للقراءات السبع ، وتبارى الشعراء فى وصفها وفى مدح الظاهر بيبرس يوم افتتاحها فقال أبو الحسين الجزار الشاعر :

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى ... ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا

لقد ظهرت للظاهر الملك همة ... بها اليوم فى الدارين قد بلغ المنى

وألحقت بها خزانة كتب ، وبنى بجوارها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم مع إجراء الجرايات والكسوة عليهم ، وكان موقعها هو ما يعرف اليوم بتحت الربع ، انظر الخطط ٢ / ٣٧٨ — ٣٧٩ .

(٢) فى الأصل « عالم كبير » . (٣) أى من شرح البخارى لابن حجر .

وفى تاسع عشره : قدم الخبر بأن العسكر المجرد لبلاد الصعيد تقاتلوا وعربان هوارة مراراً عديدة ، وأنهم اضطروا إلى نجدة .

وفى هذا الشهر : وقع الوباء بالوجه البحرى مرارا حتى القاهرة ومصر ، ووصل الخبر بأن الوباء وقع أيضا فى فصل الصيف ببلاد إفريقية .

شهر رمضان

أوله الأحد .

فيه[1] : توجه الأمير يشبك [السودونى] أمير سلاح[2] وصحبته من المماليك السلطانية نحو خمسمائة نفر مجردة لقتال عربان هوارة بعد أن أنفق السلطان فيهم .

وأما قولى « فى رمضان » ولم أعين يوما لأن شيخنا قاضى القضاة بدر الدين العينى ذكر توجه يشبك المذكور فى ثانيه ، فخلصنا من كلام كل منهما .

* * *

يوم الثلاثاء تاسعه[3] .

(١) أى فى رمضان وليس كما يفهم من سياق العبارة فى يوم الأحد كما سيذكر المؤلف نفسه ذلك بعد سطرين .

(٢) عرف المقريزى الأمير سلاح بأنه هو مقدم السلاحدارية والمتولى لحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة وهو المتحدث فى السلاح خاناه ، وقد جرت العادة أن يكون هذا الأمير من أمراء المئين ، راجع الخطط للمقريزى ٢ / ٢٢٢ .

(٣) يلاحظ أن هذا هو التاريخ الذى اختاره أيضا أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ، (طبعة بوبر Popper) ٧ / ٥٧ ، س ٢١ .

وصل[1] مشايخ بلى الذين كانوا فتكوا فى الحجاج العام الماضى وأرسل اليوم السلطان الأمير سودون ومن انضم إليه لقتالهم يسألون فى العفو عنهم ، والتزموا بحفظ الحاج ، فأعفى عنهم .

وفيه قدم الطواشى خشقدم اليشبكى وفيروز الركنى نائبه من دمياط[2] ، بعد أن قاما بما قرر عليهما من المال ، فرسم لهما[3] بالتوجه إلى المدينة الشريفة صحبة يشبك بالحجاز وأن يقيموا بها .

• • •

حادى عشريه : ورد كتاب الأمير قانباى الحمزاوى[4] نائب حماة ، مضمونه

---

(١) فى الأصل « وصلوا » .

(٢) تشغل دمياط فى تاريخ مصر والعصور الوسطى مكانة هامة ما بين حربية وتجارية فهى أحد الثغور القديمة على فرع النيل المسمى باسمها ولا يفصلها عن مصبه سوى ١٥ كيلو مترا ، وذكر جوتييه فى قاموسه — كما أشار محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ق ٢ ، ج ١ ، ص ٨ ، إلى أن اسمها المصرى القديم هو « Tameht » أى « بلد الشمال » وذلك لوقوعها بالنسبة لمصر . أما اسمها القبطى فهو « تمياط Temiat » الذى اشتق منه اسمها العربى الحالى .

(٣) راجع ما سبق ، ص ٤٣ ، س ٣ وما بعده .

(٤) هو قانباى الحمزاوى ، وكان فى الأصل لتنم الحسنى ثم لسودون الحمزاوى فأعتقه ونسبه إليه ، وقد ترقى فى الخدم السلطانية أمير عشرة ثم طبلخاناه فنائب الغيبة فأتابك دمشق فنائب حماة فنائب طرابلس ، وكان قد استكثر من المماليك أيام نيابته دمشق فارتكبوا كثيرا من الموبقات حتى ضج منهم أهلها ، ومات سنة ٨٦٣ ، راجع عنه النجوم الزاهرة (طبعة بوبر) ٧ / ٦١٩ — ٦٢١ ، والضوء اللامع ٦ / ٦٦١ .

أن حاجب حلب الأمير بردبك[(١)] العجمى حضر إلى حماة ، وصحبته من أمراء حلب أميران ، وسبب ذلك أن الأمير تغرى برمش — نائب حلب — طلب من الأمير حطط[(٢)] نائب القلعة أن يسلمها[(٣)] له ، فامتنع ووثب عليه حتى رمى بالسهام من القلعة ، فركب تغرى برمش فى عسكر عظيم وركب عليه الناس فكان بينهم قتال عظيم ، وانهزم بردبك المذكور ومن معه فى ليلة الجمعة ثامن عشرين شعبان فوصلوا حماة فى آخر يوم السبت سلخه ، فعندذلك رسم السلطان بأن يكون مع بردبك العجمى حاجب حلب نائب حماة عوضا عن قانباى الحمزاوى ، وأن يكون الحمزاوى نائب طرابلس عوضا عن الأمير جلبان المحمدى ، وأن يكون جلبان المحمدى[(٤)] نائب حلب عوضا عن تغرى برمش بحكم خروجه عن الطاعة ، وعُيِّن مسفرا لنقل الأمير جلبان من طرابلس إلى حلب ومعه تقليده وتشريف قانباى الحمزاوى بنيابة طرابلس .

---

(١) هو بردبك العجمى الجكمى ، كان حاجب حلب ثم صار نائب حماة زمن جقمق ، ثم أعلن العصيان على السلطان فأمسك وسجن بالاسكندرية ، ثم صار مقدم ألف بدمشق ومات سنة ٨٥٥ ، انظر الضوء اللامع ٣ / ٢٩ ، ويلاحظ أن أبا المحاسن لم يترجم له فيمن مات سنة ٨٥٥ ، راجع النجوم الزاهرة (طبعة بوبر) ٧ / ٣٥٥ — ٣٦٧ .

(٢) هو حطط الناصرى فرج ، ولاه برسباى نيابة حلب ثم ولاه جقمق نيابة غزة ، ثم صار أتابك طرابلس وما لبث أن مات سنة ٨٥٧ ، وقد ضبط السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ٦٢٠ بفتح الحاء والطاء ، وانظر أيضا النجوم الزاهرة ٧ / ٥٧١ — ٥٧٢ .

(٣) أى قلعة حلب .

(٤) ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ٢٠٢ باسم «جلبان المؤيدى» وأسقط كلمة «المحمدى» ، كما أن أبا المحاسن دأب فى تاريخه على تسميته « بجلبان الأمير آخور » ، وقد تولى جلبان هذا نيابة حماة ثم نيابة طرابلس فنيابة حلب ثم نيابة دمشق بعد موت آقبغا التمرازى ، وقد وصفه السخاوى بأنه كان «أميرا جليلا عاقلا سيوسا عارفا بمداراة الملوك مجربا للوقائع والحروب والمحن» ومات سنة ٨٥٩ ، راجع الضوء اللامع ٣ / ٢٠٢ .

وفى يوم الاثنين سادس عشره: ورد الخبر من الأمير طوخ[(١)] مازى [الناصرى] نائب غزة بوصول الأمير محمد بن منجك إلى جسر يعقوب، وكان السلطان جهزه إلى إينال الجكمى وعليه تشريف هائل وفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، فبلغ ذلك الأمر نائب الشام فأرسل يستعجله بالسعاة: ساعيا بعد ساع، حتى دخل عليه يوم السبت سابع شهر رمضان فطلع للقائه ولبس التشريف المجهز على يده، وركب الفرس المحضر معه، وقبل الأرض على العادة، ودخل الشام فى موكب جسيم حتى حلّ بدار السعادة، وعقباه إلى شقاوة، فحصل عند الناس بذلك أمان واطمئنان.

* * *

وخمدت الفتنة فى الظاهر، والباطن مشغول بخلاف ذلك إلى يوم الاثنين تاسعه عمل ملك الأمراء الموكب على العادة وركب ودخل دار السعادة واجتمع بها الأمراء والمباشرون والأعيان، فما استقر جلوسه بها حتى قبض على الأمير برسباى الحاجب وأمر بغلق الأبواب، وصار يقبض على الأمراء واحدا بعد واحد وكذا المباشرين والأعيان. فلما بلغ جانى بك المحمودى وعلى باى — المتوجهين إلى تقليد نائب حلب ونائب طرابلس — أفعال إينال آقاما بغزة، وعند ذلك حصل عند السلطان غاية القلق والاضطراب، واستدعى الأمراء واستشارهم فأشاروا عليه بالسفر فلم توافقه نفسه على ذلك، إلى يوم الاربعاء ثامن عشره قدم الخبر بأن الأمير قطج[(٢)] [من تمراز الظاهرى] أتابك حلب حضر إلى مدينة حماة فاراً من

---

(١) هو طوخ الناصرى فرج المعروف بطوخ مازى، نسبة لأغاته مازى الظاهرى كما قال الضوء اللامع ٤ / ٣١، والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٦٥.

(٢) هو قطج من تمراز الظاهرى برقوق، كان أول ظهوره فى عهد المؤيد شيخ المحمودى حيث جعله خاصكيا ثم أصبح أمير عشرة، ثم لما كانت أيام الأشرف برسباى أنعم عليه بتقدمة حلب، =

تغرى برمش، وأن تغرى برمش تملك عينتاب وقلعتها، وأن الأمراء الذين مسكهم إينال الجكمى عدتهم تسعة عشر أميرا، وأنه قبض على ناظر الجيش [بدمشق] الذى هو جمال الدين يوسف[1] بن الصفى [الكركى] وعلى القاضى بهاء الدين[2] [محمد] بن حجى كاتب السر، وأن على باى وجانبك المحمودى توجها من غزة إلى صفد[3].

يوم الخميس العشرين منه: قدم كتاب الأمير تغرى برمش مضمونه أن الأمير حطط [الناصرى فرج] نائب القلعة فى يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان

= وكان أصله جركسيا وكان موصوفا بالبخل والجبن وعدم حب الناس له، وكان يظاهر الفقر ويكثر من الشكوى، وترجم له المقريزى بما يصور جشعه وبخله. هذا وسيذكر الصيرفى فيما بعد أنه أتابك العساكر، لكن يلاحظ أنه لم يرد فى ترجمته فى كل من النجوم الزاهرة ٧/ ٢٦٩، والضوء اللامع ٦ / ٧٤٠ ما يشير إلى أنه ولى أتابكية العساكر ولكن تردد هذان المصدران فى توليته الأتابكية خارج مصر، انظر:

Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 1863

ويذكر أبو المحاسن أنه ولى زمن الأشرف برسباى أتابكية حلب التى ظل عليها حتى استعفى منها زمن جقمق طمعا منه فى أن يكون أحد أمراء مصر، ولكن الظاهر أهمل شأنه فدام بطالا حتى مات، أما السخاوى فيشير بأنه أنعم عليه بأتابكية آمد.

(١) هو الجمال يوسف بن صفى الدين الكركى الشوبكى، كان أبوه من نصارى الكرك وكانت قد حدثت له كائنة بالكرك سنة ٨٢٦ فتظاهر أبوه بالاسلام، ثم جاء الأب وابنه إلى القاهرة فقيرين، ولكن أخذت أحوالهما فى التحسن لاسيما أحوال الابن وترقى فى الوظائف المملوكية من نظر الجيش إلى كتابة السر، ومات سنة ٨٥٦، انظر الضوء اللامع ١٠ / ١١٩٦.

(٢) هو البهاء محمد بن عمر بن حجى بن موسى السعدى الحسبانى ثم الدمشقى المولود سنة ٨١٢، وقد ذكر السخاوى (الضوء اللامع ٧ / ٦٥١) أنه وصف «بالمشتغل المحصل البارع الأمجد»، وصار قاضى دمشق وناظر جيشها وقلعتها، وكانت وفاته بمصر سنة ٨٥٠ هـ، وذكر أبو المحاسن عنه أنه كان «كريما مفرط الكرم»، انظر أيضا: ماورد عنه فى تاريخ قضاة دمشق لابن طولون.

(٣) حيث كان يوجد بها حينذاك إينال الناصرى العلائى نائبا.

لوس هو ومن معه بالقلاع والسلاح، وأقاموا على سور القلعة، ونصبوا المكاحل والمناجيق، ومنعوا المتسببين[1] تحت القلعة من الإقامة بذلك المكان فصاروا يرمون عليه. وأنه لما رأى ذلك أرسل يسأل منه[2] عن سبب ذلك فلم يرد جوابا.

وفى ليلة التاسع والعشرين ركب الأمير قطج[3] [من تمراز الظاهرى] أتابك العساكر والأمير برد بك الحاجب فى عدة من الأمراء وهم لابسون السلاح فوقفوا تحت القلعة، فبعث إليهم الأمير حطط [الناصرى فرج] عسكرا من جماعته. فكان بينهما وقعة فر منها قطج [من تمراز الظاهرى] وأرسل أنه باق على طاعة السلطان، وأنه أرسل ثانيا وثالثا يسأل من نائب القلعة عن سبب هذه الحركة، فكان جوابه :

« ورد علىّ مرسوم السلطان بالركوب عليك ومقاتلتك ».

وجهز ضمن الكتاب محضرا ثابتا[4] على قضاة حلب بمعنى ما ذكره، وأنه باق على طاعة السلطان، ولم يتعرض للقلعة ولا لنائبها، فلم يلتفت السلطان لذلك ولا عوّل عليه لما ثبت عنده وتقرر فى مسامعه بأنه عاص. وتاريخ كتابه ثانى شهر رمضان.

• • •

وفيه : قدم الخبر من فارس[5] نائب قلعة الشام بأن الأمير إينال الجكمى أشهر

(١) يعنى بذلك أرباب المعايش وسكان الحوانيت وأنهم أمروا بالانتقال من هناك، راجع النجوم الزاهرة ٧ / ٦٣.

(٢) أى من الأمير حطط. (٣) راجع حاشية رقم ٢ صفحة ٦٨.

(٤) فى الأصل « ثانيا » انظر النجوم الزاهرة ٧ / ٦٣ س ١٨.

(٥) اكتفى الضوء اللامع ٦/٨٤ بأن سماه « فارس نائب القلعة بدمشق وأمير المرحة »، وذكروا أنه كان ممن اشتركوا فى واقعة قشتيل الروج، انظر ما كتبه عنها حسن حبشى بعنوان : H. Habashi :Egyptiam Expeditions against Rhodes and Castellrosso

النـداء بدمشق بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك العزيز يوسف بن برسباى ، وأن قاضى القضاة تقى الدين بن قاضى شهبة دعا للملك العزيز يوسف ابن برسباى على منبر [جامع] بنى أمية فى يوم الجمعة ، هو وغيره من الخطباء الذين بمدينة دمشق ، خلا خطيب قلعة دمشق فإنه دعا للسلطان الملك الظاهر جقمق .

• • •

يوم السبت حادى عشرينه : خلع على القاضى بدر الدين محمد[1] بن الشيخ ناصر الدين أحمد بن التنسى قاضى القضاة [و] أحد خلفاء الحكم العزيز ، واستقر فى قضاء القضاة المالكية عوضا عن قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى[2] بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى .

ثانى عشرينه : عرض السلطان الخاصكية فعين منهم إلى تجريدة الشام ثلاثمائة وعشرين خاصكيا .

يوم الاثنين ثالث عشرينه : خلع على الأمير آقبغا التمرازى الأتابكى واستقر نائب الشام عوضا عن إينال الجكمى بحكم خروجه عن الطاعة .

وفيه ورد الخبر من اسكندرية بأن طائفة من الفرنج يقال لهم القطلان عمروا فى البحر اثنى عشر غرابا ليسيروا بها إلى سواحل الشام وسواحل الروم

---

(١) هناك أخوان يسمى كل منهما بمحمد بن أحمد بن محمد بن محمد التنسى أو ابن التنسى المالكى ، مات أحدهما سنة ٨٤٤ هـ ، أما الثانى — وهو المقصود بالكلام أعلاه — فكانت وفاته سنة ٨٥٣ ، وكان استقلاله بقضاء المالكية فى رمضان سنة ٨٤٢ ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ٧/ ١٨٤ ، وذيل رفع الإصر ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٨٢٠ — ٨٢٣ .

(٢) راجع ما سبق حاشية ١ ص ٤٣ والسخاوى : ذيل رفع الإصر ، ص ٢٢٠ وما بعدها .

لأجل ما بلغهم أن مراد بك بن عثمان متملك الروم عمر مائة قطعة ، وأن متملك الرس من الفرنج كذلك .

يوم الثلاثاء رابع عشرينه : عرض السلطان المماليك . وعيّن منهم ثلاثمائة وثلاثين مملوكا لتتمة ستمائة [وخمسين](١) مملوكا بالخاصكية ، خارجا عن الأمراء ومماليكهم .

يوم الاربعاء خامس عشرينه : ندب السلطان للسفر إلى الشام من الأمراء الألوف إثنين(٢) وهما الأمير قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب ، والأمير تمرباى الظاهرى الذى كان دوادارا ثانيا ، و [ندب] من أمراء الطبلخاناة : طوخ من تمراز رأس نوبة ثانى ، ومن الأمراء العشرات عشرة وهم : أقطوه الموسوى ، وتنم من عبد الرزاق [المؤيدى] المحتسب بالقاهرة ورأس نوبة ثم أعفى بعد ذلك ، ويشبك بن أزوباى(٣) ، وبايزيد من صفر خجا رأس نوبة ، وأقبردى الأشرف أميرآخور ثالث ، وطوغان السيفى آلآن ، وسودون قرقماس الإينالى رأس نوبة ، وجانى بك السيفى النوروزى رأس نوبة ، وخشكلدى الناصرى [البهلوان] .

وفيه كتب باستقرار الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن حديثة فى إمرة البلاد عوضا عن القادر بن عذرا بن نعير ، وجهز له تشريف .

---

(١) سقطت هذه الكلمة من الأصل وقد أضفناها ليصح العدد ، انظر أعلاه ص ٧١ س ١١ وكذلك ص ٧٣ س ١٢ .

(٢) فى الأصل « اثنان وهم » .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٧/٦٥ س ١ .

وفيه : ورد الخبر من طوغان[1] [العثمانى] نائب القدس بأن الأمير إينال الجكمى أطلق الأمراء الذين مسكهم بعد ما حلفهم بطاعة الملك العزيز ونصرته ، فلم يشكر صنيعه ، وثبت عند أهل المعرفة سوء تدبيره وعدم حزمه فى طمأنينته ، وانقياده لمن امتلأوا منه غيظا وبغضا ورعبا ، وأن هذا الأمر لا يتم له فيه شىء لسوء صنيعه . وكان كذلك ، فسبحان مالك الملك والممالك ، والذى لا يعتريه زوال ، لا إله إلا هو .

• • •

وفيه أيضا قدم الخبر بأن الأمير إينال الأجرود نائب صفد أرسل إليه الأمير إينال الجكمى يستدعيه لموافقته على ما هو فيه، وأنه[2] ما فعل ذلك إلا بعد أن اتفق مع النواب وأركان الدولة بمصر، فلم يلتفت إلى كلامه ولا عوّل عليه وخرج من صفد فى تاسع عشره إلى الرملة خشية أن يدهمه بصفد ، وأنه صعد بحريمه إلى قلعة صفد، وهو مقيم بالرملة هو و [طوغان العثمانى] نائب القدس .

يوم الخميس سابع عشرينه : أنفق[3] السلطان فى العسكر المتوجه لقتال نائب الشام وعدتهم ستمائة واثنان وخمسون[4] فارسا[5] ما بين خاصكى ومملوك ، لكل نفر

---

(١) كان طوغان العثمانى قد ولاه جقمق فى أوائل سلطنته نيابة القدس ، فجدّ فى الضرب على أيدى العابثين والمفسدين ، ثم ولى نيابة غزة ومالبث أن مات بها سنة ٨٥٢ ، ووصفه أبو المحاسن حين ترجم له بأنه « كان شجاعا مقداما كريما للسيف والضيف » .

(٢) الضمير هنا عائد على إينال الجكمى .

(٣) فى الأصل « نفق » .

(٤) فيما يتعلق بصحة العدد راجع ما جاء من قبل ص ٧٢ وحاشية رقم ١

(٥) « نفرا » فى النجوم الزاهرة ٧ / ٦٦ ، س ١٣ ، وهو ما سيستعمله الصيرفى بعد قليل .

منهم ثمانون دينارا ، خارجا عما جهز للأمراء من النفقة على العادة وزيادة .

وفيه : ورد الخبر من مكة أن الوباء فشا بمدينة صنعاء من بلاد اليمن حتى خلت من الحكام والأكابر من الزبدية ، فأرسل الملك الظاهر بن الأشرف يحيي بن إسماعيل صاحب زبيد وتعز وعدن بعض أمرائه ، فأخذ له صعدة وصنعاء بلا قتال ولا ضرر .

وفيه : ورد الخبر بأن الأمير جلبان[1] الكبير استقر نائب حلب ووصل إلى الرملة فى نهار الاثنين ثالث عشرينه ، والسبب فى ذلك أن تغرى برمش طلب جماعة كبيرة من التركمان الى حلب وأنفق فيهم وصنع مكحلة عظيمة من نحاس ليرمى بها على القلعة ، وقد انقاد له جماعة من القلعتين وينقب من مواضع متصلة إليها فى أسفلها ، والقتال بينه وبين من فيها مستمر ، فتنبه الأمير حطط الدقماقى نائب القلعة[2] بالذين وافقوا تغرى برمش ، فقبضهم ورمى ببعضهم عليه فى المنجنيق ، وقتل الباقى وعلق رءوسهم على القلعة فما بلغ [من] تغرى برمش مراده ، وبالغ فى النقب والحصار حتى أشرف على أخذها ، فقدر الله أنه نادى فى المدينة بالأمان والاطمئنان فالقى ذلك النداء فى أسماع التركمان بنهب البلد فنهبوا منها أماكن ، وكانوا قد كثروا واستطالوا وأوعدوا الناس بذلك ، فتغيظ[3] أهل حلب — خواصهم وعوامهم — ولبسوا أسلحتهم واحتاطوا بدار السعادة التى هى سكن تغرى برمش ، فلما أحس بهم بادر منهزما

---

(١) هو الأمير جلبان بن عبد الله المؤيدى المعروف بالأمير آخور ، وكان استقراره فى نيابة حلب بعد عصيان تغرى برمش التركمانى ، راجع النجوم الزاهرة ٧/٥٧٨ — ٥٨١ ، والضوء اللامع ٣/٣٠٢ .

(٢) أى قلعة حلب .

(٣) فى الأصل « بصيغة الجمع » ولكن بغير تنقيط .

منهم فى فئة قليلة جدا تبلغ نحو الأربعين فارسا حتى خرج من السور ، واقتحم[1] أهل حلب دار السعادة فنهبوا ما فيها من مال وسلاح وقماش وأثاث وغير ذلك ، ثم مالوا على أتباع تغرى بردى برمش يقتلونهم أفحش قتلة ، ويأخذون ما بأيديهم من الخيول والسلاح ، وذلك فى يوم الثلاثاء عاشر شهر رمضان بعد محاصرة تغرى برمش للقلعة ثلاثة عشر يوما ، وصار أتباعه وأنصاره يهرعون إليه شيئا فشيئا وسار بهم إلى طرابلس وقد انضم معه الأمير طرغلى[2] بن صقل سيز التركمانى ، فلما قرب من طرابلس لم يثبت الأمير جلبان لملاقاته وخرج منها حتى وصل إلى الرملة فى ستة أيام ، ودخل تغرى برمش طرابلس فى العشرين منه فأخذ من أهلها أموالا كثيرة وبركا[3] عظيما .

وأما الأمراء والنواب المقيمين[4] بالرملة وغزة فأرسلوا يستدعو[5] السلطان فى السفر بنفسه بعد تجهيز العساكر بين يديه ويسألوه[6] فى سرعة ذلك ، وكان القادم بهذا الخبر صرغتمش[7] السيفى تغرى بردى دوادار الأمير جلبان ،

(١) فى الأصل « انحمرا » .

(٢) هو طرغلى بن صقل سيز من أمراء التركمان ، وقد تكتب بالضاد بدل الطاء ، انظر الضوء اللامع ٤ / ٢٠ .

(٣) أى أخذ متاعا كثيرا من القماش والمال والدواب ، أما البرك ، فهو المتاع الذى يخص الأمير من القماش وغيره ، ذكر ذلك دكتور محمد مصطفى زيادة فى تعليقه على المقريزى : السلوك ١ / ١٣٤ .

(٤) هكذا فى الأصل .

(٥) هكذا فى الأصل .

(٦) هكذا فى الأصل .

(٧) هو صرغتمش السيفى تغرى بردى دوادار جلبان .

فخلع عليه فى يوم الأحد تاسع عشرينه ، واستقر دواداراً بحلب عوضا من الأمير سودون النوروزى[١] .

وفى هذا اليوم قدم جانى بك المحمودى رأس نوبة الذى كان توجه لتقليد نائب[٢] طرابلس ، وأثار فى المدينة[٣] شرورا كثيرة بقدومه ، وهو فى الواقع منطوٍ على هذا الأمر باطنا[٤] وظاهرا ، فأخبر السلطان أنه ظفر بمكاتبات جماعات من الأمراء وغيرهم إلى نائب الشام ونائب حلب وأوقفه عليها ، فأرجف غالب الأمراء بقدومه .

• • •

يوم الاثنين سلخ شهر رمضان : كانت الخدمة بالقصر على العادة وتوجه الناس إلى دورهم ، فبلغ الأمير الزمام الذى هو فيروز الجركسى أن الملك العزيز ما وُجِد بمكانه فكاد أن يموت ، و بلغ السلطان فقده من مكانه بالقاعة فتنكد غاية النكد، وصار لا يأخذه قرار ولا يلتذ بمأكل ولا مشرب ولا منام، وشاع هذا الخبر فى المدينة فاضطربت أحوالها وارتجت ، فاستدعى السلطان الأمراء والمباشرين وأعيان الدولة فأعلمهم بذلك وصار الناس فى قيل وقال ، مترقبين ما يحدث من فتنة عظيمة .

---

(١) هو سودون النوروزى دوادار حلب ، وقد أورد السخاوى أربعة كلهم باسم « سودون النوروزى » عاشوا فى هذه الفترة ، راجع من ترجم لهم السخاوى فى الجزء الثالث من ضوئه تحت اسم سودون النوروزى) غير أن المقارنة بين بعضهم والبعض الآخر تدل على أن المقصود فى المتن هنا هو صاحب الترجمة رقم ١٠٨٩ ؛ فقد كان دوادار برسباى بحلب ، ثم لما جاء جقمق جعله حاجب دمشق ، وكانت وفاته حوالى سنة ٨٤٧ ووصفه السخاوى بأنه كان « لا بأس به متوسط السيرة » .

(٢) يعنى بذلك قانى باى الحمزاوى .

(٣) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ٧/ ٦٩ أن المقصود « بالمدينة » هنا « القاهرة » .

(٤) فى الأصل « باطن وظاهر » .

وسبب فقد الملك العزيز أنه لما خلع من السلطنة رسم له بالسكنى فى بعض[1] دور الحريم السلطانية من داخل باب الستارة ، واستمرت دادته سر النديم الحبشية وصحبتها عدة جوار سرارى وغير سرارى مقيمات عنده[2] ، ومكنت المرضعة من التردداد إليه .

وكان فى خدمته ويتقاضى أحواله ويقبض مرتبات وقف أبيه ويصرف ما يحتاج له أحد طواشية والدته المرحومة خوند جلبان ، وهذا الطواشى عمره نحو العشرين سنة ، وهو هندى الجنس ويسمى صندل ، وكان بيننا وبينه صحبة أكيدة ، فإن والد كاتبه كان متأهلا بجارية من جوارى خوند جلبان وهى خازندار يتها ، وهذا الطواشى خشداشها ، وهو فى غاية الذكاء واللطف والحزن والأسف على ما حصل لسيده الملك العزيز ، وصار كلما ورد خبر من أخبار الشام أو حلب بأنهم ما يطلبون إلا الملك العزيز يتقدم جماعة من المؤيدية والسيفية ويقولون للسلطان : « افصل أمر العزيز أو اسمل عينيه » ، وهو لا يوافقهم على ذلك وهو — أى صندل — يطالع الملك العزيز بما يقع مفصلا حتى استفيض أن بعض قضاة الاسلام أفتى السلطان بأن فى إتلاف مهجة العزيز حقنا لدماء المسلمين وصيانة لأموالهم .

فلما سمع بهذه المقالة صندل كاد أن يموت ، وبلغت روحه التراقى ، فإنه كان كيسا فطنا وقال : هنا انقضى شغل أستاذى لأن السلطان يقول : هذا

---

(١) وذلك فى قاعة البربرية ، انظر النجوم الزاهرة ٧/٢٦٩ ، ولقد كانت قاعة البربرية هذه إحدى قاعات كثيرة بقلعة الجبل وهى القاعات الخاصة بنساء السلطان المملوكى وحريمه على اختلاف منازلهن ، أما ابن شاهين الظاهرى فقد ذكر فى : زبدة كشف الممالك ص ٢٧ أن هذه القاعة كانت خاصة بسرارى السلطان .

(٢) فى الأصل « مقيمين » .

حكم الشرع ولا محيد أن يوقعوا به هذا الأمر » ، فخلا بالملك العزيز وحسّن له الفرار، وأخبره أن السلطان أوعد المؤيدية بالفتك به ولكن بعد انقضاء شهر رمضان فداخله من ذلك أمر كبير حتى استماله معه وطاع قوله ، وتكلم مع جماعة من مماليك أبيه مما وفوا له بما وافقوه عليه .

وكان للملك العزيز طباخ[1] ، له فى خدمته من حين كان سِنّه سنة وهو قريب فى الشبه من طوله ورقة جسمه ، فاستماله صندل على أن يخرج بالملك العزيز، فأجابه مسرعا لما رام ولكن بشرط أن يكون معهما ، وصاروا[2] خدم الملك العزيز ينقبون فى الدار نقبا يتوصل منه إلى مطبخ الطباخ حتى تم لهم هذا الأمر ، وصندل فى أثناء هذه الأمور يجتمع بالأشرفية و يذكر لهم ما هو فيه وما عمله ، فيتمنون أن لو كان، ويبذلون أرواحهم فى نصرته ، وأن الأمر غاية مرامهم ومقصدهم إلى وقت الإفطار من ليلة الاثنين و كل أحد مشغول بفطره .

وقال قاضى القضاة بدر الدين العينى فى تاريخه « إن الأمير فيروز الجاركسى الطواشى الزمام كان علم[3] بذهاب الملك العزيز وأنه تغافل عنه » ، وهذا بعيد جدا لأن فيروز كان أبغض الناس فى الملك الأشرف فإنه ألزمه بالإقامة فى داره سنين عديدة حتى صار فى غاية الخمول والذل، وهو من أنيات[4] الأمير قانباى الجاركسى ، وقرّبه السلطان الملك الظاهر وأدناه واختاره على من سواه ، إلى أن قرره زمام

---

(١) فى الأصل « طباخا » . أما اسمه فهو إبراهيم الطباخ ، انظر النجوم الزاهرة ٧ / ٨١ .

(٢) هكذا فى الأصل والصحيح فيها أن يقال « صار » ، هذا و يلاحظ أن رواية النجوم تشير إلى أن القائمين بالنقب فى الداخل كانوا جواريه .

(٣) « فى الأصل » « علما » .

(٤) أى الأتباع .

الأدر الشريفة، وهي نهاية ما يبلغه الطواشية من الرفعة في الوظائف، فكيف يصدر منه هذا ؟ .

خرج الملك العزيز وهو مكشوف الرأس وعلى جسده قميص وفي وسطه لباس، فألقى عليه الطباخ ثيابه وعمامته المشحونة بالدهن والسواد، وحمّله على رأسه قدرا من قدور الطعام وعلى يده آنية، ولطخ محاسن خدوده بسواد الزفر وتبعه كأنه معلمه، فسبحان المعز المذل الذي لا مرد له، وهو العزيز الحكيم سبحانه . فستر الله عليهما ولم يفطن بهما أحد حتى ذهبوا[1] من القلعة، وقد وافق خروج الأمراء من الفطر من عند السلطان فلحق الملك العزيز من ذلك جزع صيّره كالواله الذي لا حراك له، فضربه الطباخ ضربة مؤلمة أثرت فيه فزال وَهْمُهُ وشرع ماشيا بين الأمراء بهيئته التي هو عليها إلى أن نزل من أبواب القلعة، فإذا صندل وطوغان الزردكاش وأزدمر الذي كان مشد الشربخاناه عنده وهو أمير، ومعهم مماليك أُخَر فقبلوا يده ومضوا به إلى دار بعضهم، وهو أرغون شاه الأشرفي الساقي الخاص — الذي هو في هذه الدولة الظاهرية خشقدم أستادار الصحبة .

وقال شيخنا البدري العيني إنه لما نزل من القلعة كان في ظنه أن ناسا من جهة إينال يرصدونه تحت المدرج ولم يلتق بأحد، فتحير وذهب إلى القرافة وهو متنكر فآوى هناك عند أحد من لا يعرفه في تربة من الترب الخراب، ثم في

(١) هكذا في الأصل : ولعل المؤلف يقصد بذلك كلا من الملك العزيز وطواشيه صندل، ثم ثالثهم إبراهيم الطباخ، على أن أبا المحاسن يقرر في صراحة في موضع آخر وذلك حين يتكلم عن إلقاء القبض على صندل أنهم كانوا أربعة أشخاص هم الملك العزيز وصندل وطباخه إبراهيم ومشده، ويقول : « من غير زيادة على ذلك، والملك العزيز ينتقل بهم من مكان إلى مكان » ، وهذا ما سيرد فيما بعد ص ٩٤ .

ثانى يوم سخر الله له من يعرفه من المحبين له من المماليك فآووه فى موضع لا يُدرَى

ليالى عديدة .

انتهى كلامه رحمه الله .

ولو فهمت دادته مر النديم الحبشية — التى هو عندها أعز من سمعها وبصرها ، وسراريه ومحاظيه ومرضعته — أنه إذا فعل بنفسه هذا الأمر وخلص ونزل من القلعة لم يجد من مماليك والده وخواصه الشجعان الأبطال أحدا لما فعل ذلك هو ولا مكّنوه هم أيضا بل كانوا يخصصون إينال وغيره من الأمراء والمماليك الأشرفيـة ليكونوا مستعدّين لنزوله ويقاتلوا به السلطان ويدخل معهم فى هـذا الأمر جمع كثير من المماليك والخاصكية والأعيان . فلما رآى الملك العزيز ما هو خلاف مراده ومقصوده قصد العود إلى مكانه ومقامه فـلم يمكنوه من ذلك ، وليته عاد .

فقصد التوجه إلى بـلاد الشام فنهض طوغان ومنعه من ذلك وقال : « أنا أتكفل بحضور المماليك الذين توجهـوا إلى الصعيـد وأحضرهـم فى أسرع ما يكون » .

وذهب من فوره ، وسنذكر ما اتفق له فى موضعه إن شاء الله . وصار الملك العزيز مختفيا فى كل موضع أياما وينتقل منه إلى غيره ، وفى خدمته صندل الطواشى ومملوكه أزدمر وطباخه ، والسلطان يطلبه ، وداخل الأشرفيـة بغيبته مصائب وأهوال وشدائد حتى ظفر به من نذكره إن شاء الله تعالى .

* * *

شهر شـوال

أهل بيوم الثلاثاء .

في ليلته كانت بالقلعة أراجيف مهولة حتى إن السلطان لم يبت في حريمه ، بل جمع غالب أخصائه من الأمراء والخاسكية و باتوا في القصر السلطاني .

وكان تحت القلعة أيضا حركة وانزعاج في عدة من المماليك الأشرفية إلى أن أظهر الله صبح أول يوم من شوال الذي هو العيد ، وصلاه السلطان بالقصر وهو في هلع و جزع ، وقد حفت به المماليك السلطانية بالسيوف المصلتة والسلاح الكامل حتى انقضت الصلاة ، وإمامهم شيخنا شيخ الاسلام حافظ العصر أحمد بن على ابن حجر العسقلاني ، فلما فـرغ من الصلاة صعد على الكرسي الذي يقـرأ عليه البخاري بحضور السلطان فخطب عليـه خطبة خفيفة جدا ، و بمجرد نزوله من الكرسي قدم الخبر بأن إينال[1] الأبو بكري — الذي استقر أمير الحاج — اجتمع عنده في هذه الليلة الماضية جمع كثير من الأشرفية وغصبوه على أن يركب معهم ، فلم يطاوعهم لضعف قلبه وجبنه وعـدم جنانه ، وأظهر لهم أنه معهم ، وذهب عنهم من باب سرداره ، وركب بغلا وهو يتعثر به في حلك الليل حتى وصل إلى باب القرافة [ف] نزل عن البغل وأطلقه ومشى على قدميه ، وليس معه من يُعرف له علم ولا خبر فلما بلغت المسامع الشريفة ذلك تغير أمره وعظم خطبه وازداد همه وغمه ، ودخل المؤيدية والظاهرية من ذلك روع شديد ، واجتمعوا بأسرهم إلى القلعة

(١) كان جقمق لايشك في أن الأمير إينال الأبو بكرى أمـير الحاج قد أخذ المالك العزيز على محجنه التي كانت معدة للسفر الى الحجاز ، والظاهر أن هـذه هي الخطة التي كان عليه أن ينهجها ، كما يستدل على ذلك من قول أبي المحاسن من أن إينال « لو فعـل ذلك لكان تم له ما قصد » من سلطنة الملك العزيز » .

وصاروا يحثون فى الطلب على قبض الملك العـزيز وإينال [الأبو بكرى] خوفا من أن يتوجها الى إينال الجكمى الذى رسم بالخطبة وأقامها للملك العزيز، وأنهم متى ظفروا بهم استأصلوهم وفعلوا بهم أنحس من فعلهم بهم : من السجن والنفى إلى أقطار البلدان، وكونهم — أعنى المؤيدية — صاروا أصحاب الحل والعقد، فإن حدث حادث فما هو إلا عليهم، فأخذوا فى الكبس على دور العوام والخواص، وتحققوا أنهم ملاقون حتفهم إن انتصر الملك العزيز وجنده ، وصاروا فى غاية ما يكون من الخوف والرهبة، غير أنهم أمروا السلطان بالقبض على كل من تأخر من المماليك الأشرفية ، فأشهر النـداء حسب المرسـوم الشريف أن لا يتخلف عن الخـدمة أحد من المماليـك السلطان ومن تأخر شنق ، وكرر ذلك مرارا فى يوم واحد ، فصعد غالبهم إلى القلعة ، فمسك منهم عدد كبير — أعنى من الأشرفية — ثم نودى فى شوارع القاهرة وحاراتها بإصلاح الدروب والتحرز وغلق البيوت وعدم الخروج من العشاء ، وصارت القاهرة تغلق من العشاء على غير عادتها وتصير الطرقات خالية، ودخل هذا العيد على غالب الناس وقد قاسوا أهوالا عظيمة حتى كأنه لم يكن عيدا ، وصار الزعر والحرامية فى غضون هذا الأمر يسرقون ويأخذون البيوت ، والوالى ليس له نهضـة مثل من تقدم من المماليك السلطانية . فبلغ السلطان ذلك فعزله وخلع على قراجا[1] العمـرى البواب واستقر به والى القاهرة فباشرها مباشرة سـيئة قبيحة ، فإنه كان جاهلا عسوفاً لا يفرق بين الحق والباطل .

• • •

(١) هو قراجا الناصرى العمرى الخاصكى البواب والى القاهرة بعد ابن الطبلاوى ، وقد تولاها وهو لا يزال خاصكيا ، كما تنقل فى كثير من الوظائف المملوكية فكان مما تولاه نيابة القدس ، وحبس مدة بقلعة دمشق ، كما تولى كشف الشرقية ومات سنة ٨٧٠ ، انظر الضوء اللامع ٦/ ٢٢٠ .

يوم الخميس ثالث شهر شوال خلع على الأمير تانى بك من بردبك[1] واستقر أميرا لحاج عوضا عن إينال الأبو بكرى بحكم تسحبه ، وخلع على الأمير مسجق[2] [النوروزى] واستقر فى نيابة القلعة عوضا عن الأمير تانى بك من بردبك .

وفيه مسك جماعة من الأشرفية .

وفيه قدم كتاب الأمير حطط نائب قلعة حلب بأن أهلها وثبوا على تغرى برمش وكسروه ونهبوه وأخرجوه منها على غير صورة ، فدقت البشائر لأجل ذلك .

يوم الجمعة رابعه : ندب السلطان عسكرا من القاهرة يزيدون على سبعين فارسا للقبض على الأمير قراجا [الأشرف] من المحلة بالغربية ، فتوجهوا من فورهم[3] .

وفى يوم السبت خامسه : عُزل الأمير أركماس الظاهرى الدوادار وخرج إقطاعه ، وأخرج من داره وأخذت خيوله ، فصعد بها إلى الإصطبلات السنية

(١) بهذا الرسم أورده المؤلف أعلاه ، لكن السخاوى أورده فيمن كتب اسمهم هكذا « تنبك » وسماه ، تنبك البردبكى الظاهرى برقوق ، ، وذكر أنه كان خاصكيا زمن المؤيد شيخ ورأس نوبة الجمدارية ، وأخذ يتدرج ويتنقل فى الوظائف المملوكية زمن الأشرف برسباى حتى أضيفت اليه نيابة القلعة زمن جقمق ، ثم جعل حاجب الحجاب وأمره على الحاج غير مرة ، ومات سنة ٨٦٢ وقد قارب التسعين ، ووصفه السخاوى بأنه كان « شيخا وقورا هينا لينا متدينا » راجع الضوء اللامع ٣ / ١٢٢

(٢) فى الأصل « مشق » والصواب هو ما أثبتناه فى المتن ، وقد ضبطه السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ٧١ بفتح الميم الأول وسكون الثانية وكسر الجيم . هذا وقد جاء فى نفس المرجع ١٠/ ٧١٢ أن تسميته « نجق » من بعضهم سهو ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ٢٧٢/٧ .

(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة أن السلطان أرسل جماعة من الخاصكية الى الغربية لمسك الأمير قراجا الأشرفى وكان أحد مقدمى الألوف وكاشف الجسور بالغربية ، فلما بلغه ذلك خرج اليهم وسلم نفسه ومن ثم قيدوه وحملوه الى الإسكندرية حيث سجن بها ، كما سيرد فيما بعد س ٨٤ص ١ — ٢ .

ودمغت بالدامغ السلطانى، ووصلت خيول الأمير قراجا [الأشرفى] وصعد بها إلى الإسطبل ووضعوه فى القيد الحديد وحملوه على الأدهم إلى ثغر سكندرية فسجنوه بها .

يوم الإثنين سابعه : رسم السلطان لصاحب الشرطة أن ينادى فى القاهرة ومصر : « من وجد أحدا من غرماء السلطان وقبض عليه وطلع به إلى السلطان فله خمسمائة دينار و إقطاع، ومن أخفى أحدا منهم وظهر بعد ذلك حلّ دمه وماله للسلطان » . هذا مع ما المؤيدية فيه من الفحص والتفتيش عن آثار الملك العزيز وإينال والمماليك الأشرفية فى البر والبحر حتى كنائس اليهود وديارات النصارى والغيطان والقرى خارج القاهرة من الضواحى ، و [قضوا] ليلهم جميعهم يمرون فى الحارات على هيئات العرب والعجم والفلاحين والتركمان ، علهم يظفرون بمقصودهم وينالون المرام ، فإنهم صاروا هم أصحاب الدولة ، ولله دَر من قال : « إذا أسعدك الإله فلا تبالى » .

يوم الثلاثاء ثامنه : خرج بكتب بإقطاع[1] الأمير قراجا [الأشرفى] على المقام الناصرى محمد ولد السلطان ، و إقطاع الأمير أركماس [الظاهرى] على الأمير أسنبغا الدوادار الطيارى ، وبإقطاع الأمير إينال [الأبو بكرى الأشرفى] على الأمير جرباش قاشق من عبد الكريم أمير مجلس ، وبإقطاع جرباش هذا على الأمير

(١) بهذا الإقطاع أصبح المقام الناصرى من جملة أمراء الألوف ، و يعلق أبو المحاسن على هذا بقوله « أنه أجلس تحت الأمير جرباش الكريمى أمير مجلس وهذا بخلاف العادة التى جرت من دولة برقوق من أن ابن السلطان لا يجلس إلا رأس الميسرة فوق أمير سلاح » انظر النجوم الزاهرة (طبعة بوبر Popper) ٧/٧٦-٧٧ .

شادبك الجكمى ، وبإقطاع شادبك على الأمير جرباش كرت[1] المحمدى ، وبإقطاع الأمير أسنبغا الطيارى على الأمير دولات باى[2] .

يوم الأربعاء تاسعه : قدم الخبر من نائب غزة بحضور الأمير برسباى [الناصرى] حاجب حجاب الشام وصحبته الأمير إينال الششمانى إلى الرملة ، وقد انقلبوا على إينال الجكمى ففارقوه ، فدقت البشائر والكوسات بقلعة الجبل[3] ، وظهر كذب هذا القول وعدم صحته .

---

(١) أورده أبو المحاسن باسم « جرباش المحمدى كرد » ، وسماه السخاوى (الضوء اللامع ٢ / ٢٧٠) « جرباش كرت الجركسى المحمدى الناصرى فرج » ، وذكر أنه صار سلحدارا زمن الناصر فرج الذى زوجه من ابنته شقراء ، ثم صار فى زمن جقمق أمير آخور ثانيا ، وكان ممن قام على كره منه فى الفتنة زمن السلطان خشقدم ، لكن السلطان عفا عنه وإن نفاه إلى دمياط ، كما أذن له بركوب الخيل ، وأمر أن يصرف له كل يوم خمسة دنانير ، ثم أعاده إلى القاهرة حيث بقى فى بيته حتى مات سنة ٨٧٧ . أما تسميته « بكرت » فيعنى بها كثرة السكر .

(٢) هو دولات باى المحمودى المؤيدى الذى أخذه المؤيد شيخ من سهده أزدمر المقار نائب إسكندرية وأعتقه ، وأخرج له خيلا ثم جعله خاصكيا ثم خازندارا ، كما قال الضوء ٢/ ٨٢٧ . وكان موته سنة ٨٥٧ .

(٣) قلعة الجبل وقد يطلق عليها اسم « القلعة » فقط ، وقد أنشأها صلاح الدين الأيوبى ، وكان اختيار الصلاح للناحية التى أقام فيها القلعة قائما على أساس جفافها ، كما أنه وكل الإشراف على بنائها الى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى الذى أخذ فى بناء سور حول القاهرة ومصر والقلعة ، وقد توقف العمل فى بناء القلعة لموت صلاح الدين حتى جاء الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب فشرع فى إكمالها وبناء الأدر السلطانية وذلك سنة ٦٠٤ ، انظر المقريزى : الخطط ٢/ ٢٨٢ — ٢٠٥ .

يوم الخميس عاشره : خرج الأمير آقبغا التمرازى بمن معه إلى الريدانية[١] خارج القاهرة للسفر إلى البلاد الشامية .

وفيه خُلع على الأمير تمراز [القرمشى] أمير آخور واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير يشبك [السودونى] النائب فى تجريدة عربان الصعيد ، ورسم له أن ينزل إلى داره ، وسكن المقام الناصرى محمد بن السلطان بالحراقة ، ورسم للأمير يشبك [السودونى] أمير سلاح بالإمرة الكبرى والأتابكية عوضا عن آقبغا[٢] التمرازى ، وكتب له بذلك إلى الصعيد .

وفيه خلع على الأمير قراجا[٣] الحسنى واستقر أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير قراقجا الحسنى ، وخلع على الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى حاجب الحجاب واستقر دوادارا كبيرا عوضا عن الأمير أركماس الظاهرى بحكم عزله ، فسلك فى

(١) أشار المقريزى فى الخطط ٢ / ١٣٩ إلى الريدانية بقوله إنها أرض نزهة وبستان كان فى الأصل لريدان الصقلى أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز الذى كان يحمل المظلة على رأس الخليفة واختص بالحاكم بأمر الله .

(٢) كان آقبغا التمرازى يطمع فى الأتابكية الكبرى ، وكان بحق — على ما يظهر — قد وعده بها من قبل لكنه لم ينلها . ونورد هنا رواية أبى المحاسن الذى كان يحضر هذه المجالس ، لما فيها من طرافة تبين رسوم الوقوف فى الحضرة السلطانية حيث قال « برز آقبغا التمرازى بعد أن خلع عليه السلطان خلعة السفر ، فلما لبسها وجاء إلى السلطان ليقبل يده قام له السلطان واعتنقه ، فمسك آقبغا يده وقال له : ياخوند لا تغير نيتك ! » ، فقال السلطان « لا والله » ، ثم تأخر بخلعته ووقف على ميمنة السلطان لأن السلطان كان شرط له ألا يخرج عنه إقطاع الأتابكية ووظيفتها الى أن ينظر فى ما سيكون أمر [الإنسال] الجكمى ، فلذا أوقف آقبغا فى منزلة الأتابكية على ميمنة السلطان ، وكان حقه الوقوف على الميسرة كما هى عادة منازل نواب دمشق » .

(٣) هو « قراخجا » فى النجوم الزاهرة ٧/٧٨ ص ٩ ، ١٣ ، ص ٧٩ ص ٤ ، ص ٢٢٤ ص ١٣ ، وقد سماه الضوء اللامع ٦/٢٢٧ « قراجا الحسنى » .

مباشرته الدوادارية طريق الاعتساف وأظهر التكبر والتجبر والترفع على غالب أهل الدولة ، وكل ذلك من الخفة والطيش والاستكبار، وخلع على الأمير دولات باى المحمودى المؤيدى الساقى واستقر دوادارا ثانيا عوضا عن الأمير أسنبغا الطيارى، وخلع على الأمير جرباش [المحمدى] كرت رأس نوبة واستقر أمير آخور ثانيا عوضا عن الأمير دولات باى المحمودى .

وفيه حضر الأمير يونس[1] المؤيدى من دمشق فارا من إينال الجكمى ، فأكرم وقوبل بالفضل والإنعام .

يوم السبت ثانى عشره : رحل الأمير آقبغا التمرازى بالعساكر من الريدانية .

وفيه رسم بنفى نور الدين على بن أحمد السويفى[2] أحد أئمة الأشرف برسباى إلى دمياط ، فخرج من وقته .

وفيه دقت البشائر بقلعة الجبل لورود خبر يقضى بذلك[3] .

---

(١) هو يونس الأقباوى أقباى المؤيدى المعروف بالبواب وبالمشد ، وكان قد اتصل بالمؤيد ثم ببرسباى واختص بجقمق وكان كثير المماليك ، كثير التقرب للعلماء والصالحين ، هذا إلى جانب معرفته بأنواع الفروسية ومات سنة ٨٦٥ هـ .

(٢) لم يشر السخاوى فى الضوء اللامع ٥/٢٠٩ إلى سبب غضب جقمق عليه ، ولكنه ذكر أنه « صادره فلزم داره » .

(٣) ليس المقصود هو دق البشائر لنفى نور الدين السويفى ، بل إن الصيرفى يقصد الخبر الذى سيورد ذكره بعد قليل بأن جماعة ممن كانوا مع إينال الجكمى خرجوا عليه حين عزم على الخروج بنفسه ليسير بمن معه إلى الديار المصرية ، وكان ممن خرج عليه — حسب الخبر الوارد — قانى باى الأبوبكرى الناصرى البهلوان أتابك دمشق و برسباى الناصرى حاجب الحجاب بدمشق وغيرهما .

يوم الأحد ثالث عشره : كان مسير العساكر المجتمعة بالرملة وغيره قاصدين دمشـــق .

وفيه ورد الخبر بأن الأمير إينال الجكمى خرج بمخيمه ظاهر دمشق الى يوم الخميس ثالث شوال . هذا قوى عزمه على الخروج من المدينة إلى المخيم ليسافر إلى مصر، فوثب جماعة من أمراء دمشق الذين [كان] قبض عليهم وأطلقهم، وهم : الأمير برسباى الحاجب ، والأمير قانباى البهلوان الأتابك وعدة أمراء معهم ، فتقاتلوا معــه خارج الشام فكسرهم ، ثم عادوا لحربه فهزمهم مرة ثانية فامتنعوا وتحصنوا منه بالقلعة بعد أن جرح منهم جماعة كثيرون وأخذت خيولهم، ونزل بالميدان وبطل سفره إلى القاهرة .

* * *

وسبب هــذه الوقعة بينه وبين الأمراء أمور[1] منها أنه أمسكهـم فصارت خواطرهم متغـيرة ، ومنها أن السلطان كتب إليهـم مطالعات يحرضهم فيها على مسكه وقتله والكبس عليه، ووعدهم بكل جميل ، وكان الرسول بهذه المطالعات قاصــد الأمير خشكلدى نائب قلعــة صــفد [وهو] شخص نصرانى سلمها إلى كاتب السر [بهاء الدين محمد] بن حجى ففرقها على الأمراء واستمال خواطرهم حتى ركبوا على الأمير إينال الجكمى وأخذ أجوبتهم ، وعاد من ليلته فأصبحوا هم من الغد راكبين ، وكان من خبرهم ما سقناه .

وفيه قدم الخبر بأن الأمير يشبك [السودونى] أتابك العساكر سار بمن معه من الأمراء والمماليك السلطانية فى طلب عربان هوارة إلى أن وصل إلى مدينة

(١) فى الأصل « أمورا » .

إسنا[1] لم يقع منهم على أثر ولا خبر، فعاد بالعساكر الذين معه إلى مدينة «هو»[2] فتلقاه[3] الفقراء والصلحاء والمشايخ ومعهم طائفة من أكابر مشايخ هوارة يسألون فى العفو عنهم وأنهم طائعون[4]، وحلفوا على ذلك أيمانا مغلظة، وأنه أرسل يعلم السلطان بذلك .

وأيضا وصل إلى العسكر طوغان الزردكاش الأشرفى أحد الدوادارية، واستدعاهم إلى طاعة الملك العزيز ونصرته، وأخبرهم أنه دبر حيلة حتى أخرجه من السجن الذى هو به وأنزله من القلعة، واجتمع عليه جمع كبير من مماليكه، فاستشاروا الأتابكى فى ذلك فحذرهم من الموافقة له، وأعلمهم أن عاقبة هذا الأمر فظيع وبالها، فامتنعوا عن طاعته[5] واجتمعوا وتحالفوا على طاعة السلطان الملك الظاهر، ففرح السلطان بذلك وسر سرورا عظيما ودقت البشائر فى القلعة،

---

(١) إسنا من بلاد محافظة قنا ومن المدن المصرية القديمة، واسمها القديم كما ورد فى محمد رمزى القاموس الجغرافى ق ٢، ج ٤ ص ١٥٠ يقصد به نصر الإله خنوم، وقد اشتق اسمها المصرى الحالى من اسمها القبطى. كذلك ورد فى هذا القاموس ما ذكره الجغرافيون المسلمون والعرب منها أمثال الشريف الإدريسى وابن خرداذبة والقضاعى وياقوت الحموى وابن مماتى.

(٢) «هو» بكسر الهاء وسكون الواو، هكذا ضبطها رمزى فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٤ ص ١٩٩، إنها تقع بمركز نجع حمادى، راجع فى نفس المرجع خبر تطورها التاريخى.

(٣) فى الأصل «فتلقوه».

(٤) فى الأصل «طايعين».

(٥) الضمير هنا عائد على طوغان الزردكاش، وكان الذين اجتمعوا عليه هم مماليك الملك العزيز الذين كانوا برفقة يشبك السودونى.

(٦) يعنى أنهم امتنعوا عن طاعة طوغان الزردكاش.

وأخلع على القاصد المحضر بهـذا الجواب ، وأرسـل السلطان إلى الأمـير يشبك [السودونى] يشكر أفعاله و يسدد أقواله ، وقـد نوض إليه أمر الوجه القبلى ، ومهما فعله كان جائزا ، وأن يجهز طوغان الزردكاش فى الحديد ، وكان الخبر قد شاع بالقاهرة أن طوغان الزردكاش توجه إلى بلاد الصعيد ، فكتب قبـل هذا بحمـله .

وفى هذا اليوم رسم باستقرار أبى السعادات[١] بن ظهيرة فى خطابة الحرم عوضا عن أبى اليمن بن النويرى قاضى مكة ، وكتب توقيعه وجهز له قاصد بذلك ثم أبطلوها واستقروا به ، وكتب إلى أبى اليمن بالخطابة مضافة إلى القضاء .

يوم الثلاثاء سادس عشره : ورد الخبر بأن الأمير يشبك [السودونى] لأتابكى مقيم بأسيوط[٢] ، وأن المرسوم الشريف ورد على يد يونس الخاسكى ، ومضمونه للقبض على طوغان الزردكاش وهو قاصد الملك العزيز ، وأن المماليك ما مكنوا أحدا منه ، فتنكد السلطان وتقلق[٣] وخاف من الفتنة ، وظن أن الأشرفية شجعان أبطال ، وهم أشبه شىء بربات الحجال ، لا بل دون ذلك .

وفيه قدم قود الأمير بركات[٤] بن الشريف حسن بن عجلان من مكة المشرفة .

---

(١) راجع ما سبق ص ٤٩ حاشية ٦ .

(٢) فى الأصل « مقيما » .

(٣) أى « لقى » خاطره انظر فيما بعد ص ١٩٢ ص ٢ .

(٤) هو الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسنى المكى ، ولد سنة ٨٠١ بالمشاقة بالقرب من جدة ، ونشأ « شريف الهمة سنى الأفعال جميل الأخلاق » على حد قول السخاوى . أما سبب هذا القول فيرجع إلى أنه كانت له سابق معرفة بجقمق قبل أن يلى السلطنة وذلك —

وفيه قدم الشريف عقيل بن وبير[(١)] أمير ينبع المعزول بصخرة [بن مقبل] يسعى عليه في الإمرة ، فوعد بجميل .

وفيه قبض على الأمير أركماس[(٢)] الظاهري الذي كان دوادارا كبيرا ، واستقر تغرى بردى [البكلمشي] المؤذى عوضه ، ورسم بنفيه إلى دمياط فخرج من فوره

وفي هذا الشهر وُجد الطاعون بالقاهرة ، و بلغت عدة من مات في هذا اليوم من ديوان المواريث أحدا وعشرين إنسانا .

يوم الخميس سابع عشره : خلع على الأمير تانبك من بردبك أحد المقدمين الألوف ، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن الأمير تغرى بردى البكلمشي المؤذى بحكم انتقاله إلى الدوادارية الكبرى .

• • •

وفي هذه الأيام والليالي هُجمت دور وأماكن بسبب الملك العزيز ، وقبض السلطان على جماعة من المماليك الأشرفية خوفا من المماليك الذين هم بالصعيد

= سنة ٨٣٧ حين حج جقمق وجرت بينهما قضية نقمها عليه ، فلما أصبح سلطانا طلبه إلى مصر فخاف الشريف بركات منه ، ثم تحسنت بينهما الأمور . هذا وقد مات الشريف سنة ٨٥٩ بأرض خالد من وادي مر من أعمال مكة ، انظر الضوء اللامع ٣/٠٥ .

(١) هو مقبل بن وبير بن نخبار بن مقبل بن محمد الحسيني الذي كان أمير ينبع وقد مات سنة ٨٤٤ (انظر الضوء اللامع ٥/٩٣٠) ، أما قريبه صخرة بن مقبل بن نخبار فقد مات سنة ٨٤٦ ، انظر نفس المرجع ٣/٩ ١٢ .

(٢) يختلف مفهوم رواية الضوء اللامع ٢/٨٣٦ عما هو وارد بالمتن إذ يقول « انه لما استقر الظاهر جقمق بقاه على الدوادارية الكبرى ، وفهم عدم استبقائه فبادر إلى الاستعفار والإذن له في الإقامة بدمياط فأجيب ... ... ثم عاد إلى القاهرة فأكرمه إكراما زائدا ، وهذا لايخرج عما ذكره النجوم الزاهرة ٧/٣٥٠ .

أن يخرجوا عن الطاعة ويحاربوا السلطان ، فتجتمع معهم الأشرفية ، ومنعت[(١)] المعازى أن يمدّوا بأحد من الناس ، وقلق السلطان لغيبة العزيز وعدم تحصيله ، حتى كبست البساتين والترب والحمامات ، وغلقت أبواب القاهرة نهاره واستعدوا[(٢)] الأمراء — أهل القلعة — للحرب والطعان . هذا مع انتشار الوباء فى الوجه البحرى ، وبلغت عدة الأموات به فى كل يوم عدداً[(٣)] كبيرا لاسيما من العبيد والإماء والصغار .

وفى يوم السبت ثامن عشره : أدير محمل الحاج صحبة الأمير بردبك من تانى بك الذى استقر حاجب الحجاب ، ومعه عدة من المماليك الأشرفية .

وفيه جاء الخبر من الأمير يشبك الأتابك بأنه قبض على طوغان الزردكاش وقيده بالحديد ، ووصل القاهرة فى أواخر النهار .

وأما خبره فى توجهه إلى المماليك الأشرفية فإنه جدّ فى السير حتى وصل اليهم واجتمع بهم وأعلمهم بأن الملك العزيز يحاصر القلعة والسلطان ، وأدركوه نجدة له ، فتحرك ما كان ما كنا عندهم ، وعزموا على التوجه إلى القاهرة ، غير أن أراءهم مفلوكة وعزائمهم ليست صادرة عن حزم وترتيب ، وهم من وقعة قرقماش متأخرون[(٤)] منكسين رءوسهم خاضعون .

---

(١) يقصد الصيرفى بذلك أنهم منعوا أهل الوقى من الخروج فى جماعات .

(٢) هكذا فى الأصل والمقصود « استعد » .

(٣) فى الأصل « عدد كبير » .

(٤) هذه الجملة هكذا فى الأصل .

وأما المؤيدية فإنهم أخذوا المملكة بينهم فلا سبيل لغيرهم أن يجدله نصيبا، فورد عليهم الخبر بأن السلطان فى قلعته وحوله جنده وعسكره، وأن العزيز مختف ، وألحوّا فى طلبه ليلا ونهارا .

وأما الأمراء والأكابر والأصاغر فانحل مبرمهم وتقطعت أوصالهم ، وورد المرسوم الشريف ثانيا بالقبض على طوغان ، فتكلم الأمير الكبير مع المماليك فى أمره ، واستمال خواطرهم بكل ما يمكن ، فلم يوافقوا على دفعه له ، حتى إنه طلب الكاشف ومشايخ العربان[1] ، وأراد الركوب عليهم ومحاربتهم ، فلما تحققوا ذلك علموا أنهم مغلوبون[2]، وأن عاقبتهم ليست محمودة فى عدم دفعه ، فما ساعهم إلا أن حملوه بجثته ووضعوا القيد فى رجليه وحملوه على الأدهم، وجهزوا معه قاصدا حتى وصل به إلى القاهرة، وعاد الأمير يشبك [السودونى] الأتابكى ومن معه من المماليك إلى جرجا، وبطل ما أبرموه وانتقض، والنية الصالحة تظهر آثارها وفضلها كذلك .

وعند وصول طوغان رسم بعقوبته فما تأخر عنه شئ من العقوبات كالضرب والعصر والكسارات وأنواع من العذاب حتى أشرف على الهلاك ، وعوقب معه ثلاثة نفر من المماليك الأشرفية ، وأقروا أن إبراهيم الطباخ أخرج الملك العزيز بعد المغرب وتوجه به إلى المصنع تحت القلعة ، فاجتمع عليه عدة من المماليك وقصدوا الذهاب به إلى الشام، ثم رجعوا عن هذا، واتفقوا على توجه طوغان إلى الصعيد يحضر بالعسكر .

(١) المقصود بذلك عربان الطاعة فقط .

(٢) فى الأصل « مغلوبين » .

وفى يوم الثلاثاء حُمل طوغان الزردكاش لعجزه عن الحركة من شدة العقوبات ، حتى إن شيخنا البدرى العينى ذكر فى تاريخه أن طوغان ضرب ضربا شديدا حتى وقع لحمه عن عظمه ، وكسروا بعض عظامه . إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه المذكور وُسط طوغان فى الرميلة مقابل باب السلسلة بعد أن ركب السلطان وجلس فى باب السلسلة وهو ينظره ، وسعى طوغان بظلفه على حتفه فإنه ما كان(١) عند الأشرف برصباى فى أمر كبير ، وجل ما وصل إليه أنه كان أحد الزردكاشية ، غير أنه من مماليكه ، ومع ذلك استمال مع إينال الأبو بكرى على خشداشيته وصار من جملة أعوان السلطان [جقمق] واختص به حتى عمله دوادارا من جملة الدوادارية ، ثم انحل عن السلطان ، وفعل مافعل من إخراج العزيز وتوجهه إلى الصعيد حتى قُتل بسببه وقد تزايد البلاء على المسلمين بغياب الملك العزيز ، فإن جماعة سُجنوا ، وجماعة مسكوا ، وجماعة ضربوا .

وفى هذا اليوم سار الركب الأول بالحاج بعد أن نُشت حارة حارة ، وخاضت الناس فى النساء ، ثم سافر المحمل ، وصنع به كما صنع فى الأول .

يوم الأربعاء ثالث عشرينه : قبض على دادة الملك العزيز المسماة سمر النديم الحبشية بعد أن كبسوا عليها عدة بيوت وأماكن ، وقبض على الطواشى صندل الهندى وسألوهما عن الملك العزيز و إينال فأخبرا أنهما لم يخرجا من مصر ، وأن جميع مايقال عنهما كذب ، وأن العزيز لم يجتمع بإينال ألبتة ، وإنما كان هو وصندل المذكور وطباخه إبراهيم ومملوكه أزدمر بغير زيادة على ذلك ، وصاروا ينتقلون من

(١) راجع ماأورده أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ٨٥ — حيث ذكر أن أمره « كان من أعجب العجب ، فقد كان فى دولة برسباى زردكاشا ، ثم لما تولى جقمق السلطنة جعله دوادارا ، ولم يكن من أعيان الأشرفية ولا ممن يلتفت إليه فى الدولة » .

مكان إلى مكان وهم فى خدمته لم يفارقوه غير أن صندل فارقه من أربعة أيام ، والعزيز هو الذى طرده ، وأمر أزدمر بطرده بعد أن دفع إليه خمسين دينارا وانصرف عنهم وصار يتودد الى من يعرفه من أيام الملك الأشرف ، إلى أن حضر إلى بيت والد[1] كاتبه عشاء الآخرة الذى هو الرابع عشرينه ، وكان الوالد بابه لا يخلو عشاء وصباحا من المماليك السلطانية وغيرهم من الجند ، بسفارة أنه صيرفى السلطان ، وهو من جماعة القاضى عبد الباسط وخواصه وألزامه ، وقدر الله تعالى أنه دخل الدار وعند أهل الدار نسوة ضيوف من جماعة بيت القاضى عبد الباسط ، وكان الوالد متزوجا[2] بجارية من جوارى[3] خوند جلبان أم الملك العزيز ، فلما رأوه أولا ما عرفوا من هو ، ثم بعد أن نظروه وهو يستخفى منهم عرفوه[4] الحاضرون أنه صندل الطواشى ، واشتاع خبره فبات عندهم وآووه وأطعموه إلى أن أصبح الصباح ، فما أمكن الوالد[5] إلا أن يعلم القاضى عبد الباسط حقيقة الحال فأرسلوا إليه سيدى أحمد بن العطار فدخل إلى دار الوالد بإذان السلطان وقبض عليه[6] ، فعوقب ثم سجن . وأما دادة الملك العزيز فشفعت فيها خوند مغل ابنة البارزى فسُلِّمت

---

(١) هذه رواية جديدة انفرد بها الصيرفى دون غيره من مؤرخى هذه الحقبة ونعنى بهم المقريزى وابن حجر العسقلانى وابن تغرى بردى والعينى .

(٢) فى الأصل « متزوج » .

(٣) فى الأصل « جوار » .

(٤) هكذا فى الأصل ، وأصح منها أن يقال « عرفه » .

(٥) جرت رواية أبى المحاسن على الصورة التالية دون الاشارة الى والد ابن الصيرفى « صار صندل يتردد الى بيوت أصحابه فى زى امرأة حتى دخل على بعض أصحابه من النصوة فى الليل فاوته امرأة حتى أصبح ، فدل عليه زوجها حتى أمسك وعوقب . والظاهر أن رواية الصيرفى أكثر شرحا وإيضاحا حيث ذكر أيضا أحمد بن العطار مبعوث السلطان .

(٦) أى قبض على صندل الطواشى .

لها من غير عقوبة فاستمرت عندها، ورسم بالقبض على مرضعة العزيز وزوجها صاحبنا شمس الدين محمد بن كشيك ـ رحمه الله ـ الجوهرى، وكذا قبضوا على عدة من النساء والرجال ممن كانوا معارف[1] أو جوارى للاشرف أو للعزيز أو لخوند جاباى، واشتملت القاهرة ومصر بالنار، وأفضى الحال إلى أن امرأة ضعفاء[2] مسكينة تدعى أن لها تابعا من الجن يخبرها بما يكون، فوشى إلى بعض المؤيدية واش وأخبره أن بعض الطواشية كان يتردد إليها، وكانت تخبر الطواشى أن الملك العزيز يعود إلى ملكه، ومقصودها من ذلك ما يحصل لها به الأود، فقُبض عليها وعلى من يلوذ بها، وسألوا عن الطواشى فظهر أنه توجه لسفر الحجاز، فكتب بضربه وعوده، فشفع فيه جماعة من الأعيان فجهزوا إليه قاصدا ثانيا فادركوه بعد أن ضرب وهو راجع، فتوجه بعد ذلك إلى الحجاز.

وفى ثالث عشرينه: طلب السلطان قانباى اليوسفى وكان مسجونا بالبرج فعوقب، وسأله عن أحوال الخارجين عن الطاعة فلم يتكلم فرجعوا به إلى البرج، الى يوم الخميس رابع عشرينه رسم السلطان بتوسيط مملوك آخر من الأشرفية فوسط[3] فى الرميلة عند باب السلسلة.

• • •

وفى هذا اليوم عزل الأمير فيروز الجاركسى زمام الدار بسبب أنه فرط فى أمر الملك العزيز حتى فر، وكان الأمير جوهر القنقبائى الخازندار عدو فيروز، فأرسل الى العزيز سمورا[4] وصوفا وسنجابا، وأمره أن يدفع ذلك لفيروز، فلما وقع

(١) فى الأصل «معارفا أوجوارا».

(٢) هكذا فى الأصل ويقصد بها «ضعيفة».

(٣) التوسيط هو القتل بالسيف يضرب به وسط الشخص.

(٤) فى الأصل «سمور صوف سنجاب».

هذا الأمر طلب السلطان جوهر وسأله عن هذا الأمر فكان جوابه : « اسألوا ممن أخذ السمور والصوف والسنجاب » ، فلما سمع الملك الظاهر — وكان سريع الانقياد — استقر به زمام الأدر الشريفة عوضا عن المذكور مضافا لما بيده من الخزندارية الكبرى .

* * *

وفي ليلة الجمعة ويومها كبس[1] المؤيدية مصر والقاهرة وضواحيها حتى دار المقر المرحوم الصاحب أمين الدين بن الهيصم ، وكان إينال الأبو بكرى صاحبه ، فاختفى[2] خوفا على نفسه من العقوبة وكبسوا دور جيرانه ، ثم ظهر بعد ذلك فخلع عليه بعد أن حلف بالأيمان أنه ما يعرف لأحد منهم خيرا ولا شرا ، وإنْ علم بذلك أعلم السلطان ، فحصل عند الناس من هذا الأمر شديد النكال وعظيم الوبال ، وكادت الحوانيت والأسواق أن تغلق لكثرة الإرجاف من الكبس والمسك والضرب .

* * *

وفيه حضر من بلاد الصعيد أربعة عشر رأسا من العربان فعُلقوا على باب النصر ، وهو أن الأمير يشبك الأتابكى لما جهز طوغان [الزردكاش] مقيدا في الحديد رجع بمن معه من المماليك والأمراء لقتال عربان هوارة ، فالتقى هو وإياهم على ناحية « أبو تيج » فقاتلهم وقاتلوه ، ثم انهزموا بعد أن قُتل منهم مائة وستون رجلا وأخذ لهم مائة فرس ، فأرسل من رؤوس أعيانهم ستة عشر رأسا ، فحصل في هذه السفرة شدائد عظيمة منها : خراب البلاد ، ورعى الزرع قبل أوانه والشراقى ، وأكل الفار الزرع الذى تأخر فلم يُبق منه شيئا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) في الأصل « كبسوا » .

(٢) المقصود بذلك هو ابن الهيصم .

يوم السبت سادس عشرينه : خلع على الأمير صفى الدين جوهر الخازندار بوظيفة زمام الدار [وهو] الذى استقر به السلطان فيها قبل تاريخه .

* * *

ليلة الأحد سابع عشرينه : حصلوا الملك العزيز بسبب أنه ضاقت عليه الأرض بما رحبت من تزايد الكبس على الناس ونقله من مكان إلى مكان ، وضاق صدره حتى إنه طرد صندل الطواشى من أربعة أيام، ثم طرد بعده إبراهيم الطباخ بعد أن دفع له ستمائة دينار ، وبقى هو وأزدمر شاد شرابخانته ، فيقال إن الملك العزيز أرسل إلى بيبرس [الأشرفى] أخى أمه[1] يسأله أن يختفى عنده ، فوعده أن يكون ذلك عند عشاء الآخرة . وخاف بيبرس عاقبة هذا الأمر وأنه يظهر من عنده فتروح روحه، وبقى متحيرا فى أمره ولا يمكنه القبض على ابن أخته فهو من العار، فأعلم جارا من جيرانه المؤيدية يسمى يلباى الإينالى [المؤيدى] الذى هو أحد رءوس النوب وقال : « ترصد له عند الموضع الفلانى فى الوقت الفلانى » ، فجلس يلباى الإينالى [المؤيدى] مترصدا له حتى جاء ومعه أزدمر [الشرابخاناه] بعد عشاء الآخرة فى خط زقاق حلب وهما لابسين زى المغاربة ، فوثب يلباى ليقبض على أزدمر فضربه فى وجهه فأدماه ، فتكاثر[2] عليهما الأعوان ، فأوثقوا أزدمر وقادوا الملك العزيز وهو حاف ماش على أقدامه ، وقد مسكه شخص منهم بأطواقه، وجماعته محيطون به حتى طلعوا به من باب السلسلة، وأوقفوه بين يدى السلطان ساعة وهو فى تلك الحال يؤنبه ويعاقبه على ما صنع ، ثم بعد ذلك قام إليه وعانقه وبكى عليه ، ولقد أجاد من قال :

---

(١) فى الأصل « أخو » .

(٢) فى الأصل فتكاثروا .

هجـــم السرور علىّ حتى انى		من عظم ما قــد سرنى أبكانى

وأمر السلطان فى الحال للعزيز بقماش وثياب وطعام وشراب ، وسجنه فى موضع هو جالس على بابه حتى أصبح الصباح ، وطلع[1] الأمراء إلى الخدمة على العادة وبشروا السلطان ونزلوا إلى دورهــم ، فأخذ السلطان الملك العزيز بيــده ودخل به إلى خوند مغل بنت البارزى وسلمه إليها وأمرها أن تدعه فى المخــدع[2] الذى يبيت فيــه السلطان وأن لا يفارق ذلك المكان ، وأن تبــاشر بنفسها أمر مأكله ومشربه وملبسه وحاجاته .

وأما أزدمر فسُجن بالبرج بالقلعة عند صندل وغيره من المماليك الأشرفية ، وأما الطباخ فلم يوجد له أرض ولا بلاد ، وسئل الملك العزيز عما معه من المــال حين فرّ من القلعة فأخبرهم أن معه ثمانمائة دينار، وأنه دفع لصندل الطواشى خمسين[3] دينارا ولإبراهيم الطباخ ستمائة دينار فأخذها[4] السلطان ودفع منها إلى يلباى خمسمائة دينار، وإلى المملوك الذى أعانه على قبض أزدمر مائة دينار، وفرّق باقى ذلك على مَن كان مع يلباى من الأعوان ، ووعد السلطان يلباى بإمرة طبلخاناة .

---

(١) فى الأصل « وطلعوا » .

(٢) وذلك فى قاعة تعرف بقاعة العواميد كما هو وارد فى النجوم الزاهرة ٧ / ٨٩ .

(٣) فى الأصل « خمسون دينار » ويبدو هنا الاضطراب فى شأن المبلغ الذى كان مع الملك العزيز ، لكن يستفاد من النجوم الزاهرة ٧ / ٨٩ أنه « وجد معه من الذهب ثمانمائة دينار ، أعطى السلطان منها إلى يلباى خمسمائة دينار ، و إلى رفيقه مائة دينار ، ثم فرق باقى ذلك على من حضر ، ثم أنعم السلطان على يلباى بقرية سرياقوس ... وصار من جملة أمراء الطبلخانات » .

(٤) ربمــا كانت رواية أبى المحاسن أقرب للواقع حيث قال إنه « وجد مــع الملك العزيز من الذهب ثمــانمائة دينار » راجع الحاشية السابقة .

وعند صعود العزيز إلى القلعة دُقت البشائر والكوسات بقلعة الجبل ليلا وأصبحوا على ذلك ، فبادر أعيان الناس كالقضاة والعلماء والمشايخ لتهنئة السلطان . وسكن روع السلطان وأتباعه فإنهم كانوا خائفين من عود دولة العزيز بسبب عصيان نائب الشام ومساعدته له ، وكذلك نائب حلب ، وكذلك المماليك الأشرفية ببلاد الصعيد ، وهؤلاء كلهم منقادون مطاعون لنصر الملك العزيز ، وما النصر إلّا من عند الله ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من ولى .

وفى يوم الأحد هذا عيَّن السلطان جانم المؤيدى الى بلاد الشام بالبشارة بالقبض على الملك العزيز .

• • •

وفى ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من شوال أظهر إينال [الأبو بكرى الأشرفى] (١) نفسه والتجأ واستجار بالأمير جرباش قاشق [الكريمى] أمير مجلس ، ودخل إلى منزله بعد عشاء الآخرة فأجاره ، وضمن له أن لايصاب بمكروه ظاناً بأن السلطان يقبل شفاعته فيه ، و [كان] حضور إينال أيضا بعد مسك العزيز ، وتحقق السلطان أنه ما كان معه ولا اجتمع به ، فصار السلطان يظهر الشكر والثناء على إينال ويعتذر عنه ويقول : «هو معذور إذا غاب» . فغرته الخدع التى خدع بها من ثناء السلطان عليه وبسط عذره فى اختفائه الى أن صعد به الأمير جرباش

(١) التفسير إظهاره نفسه واضح عند أبى المحاسن حيث ذكر أنه ظل مختفيا منذ اختفاء العزيز خوفا على نفسه ، فلما وقع العزيز فى يد جقمق اطمأنت نفس إينال بعض الشىء ، إذ علم «أن السلطان ظهر له أنه لم يجتمع مع الملك العزيز ولا قام بنصرته ، وأن اختفاءه كان نوعا من مهابة السلطان» راجع النجوم الزاهرة ٧ / ٨٩ .

[قاشق الكريمى] يوم الثلاثاء وأعلم السلطان به ، فعندما عاينه أمر به فقيد وسجن حتى يحمل إلى الإسكندرية . هذا والأمير جرباش يكرر تقبيل الأرض ويد السلطان ورجله وهو لا يقبل ، وأُخرج من يومه إلى الإسكندرية فسُجن بها ، وكان المسفر عليه الأمير يلبغا الجركسى ، ورسم له أن يأخذ منه ألفى دينار .

• • •

وفى هذا الشهر وصل ركب التكرور وصحبتهم من الذهب التبر جانب كبير ، فأسرع المقر الجمال ناظر الخواص الشريفة وابتاع منهم غالبه وضربه دنانير ، وأرسلها إلى الحجاز .

وفيه طلع فى السماء كوكب بإزاء كوكب السرطان واستمر أياما .

• • •

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الأربعاء (١) .

فى ثانيه — وقيل فى أوله — خلع على القاضى بهاء الدين [محمد] بن نجم الدين عمر بن حجى واستقر كاتب السر الشريف بدمشق وقاضى القضاة الشافعية بها ، عوضا عن تقى الدين بن قاضى شهبة ، وكان ابن حجى فر من إينال الجكمى بعد أن قبض عليه وأخذ منه ألفى دينار ، وكان قد أرسل يعلم السلطان بما فعله

(١) ذكر ابن حجر فى إنباء الغمر ، ج ٤ ، أنه استهل بيوم الخميس ثم قال : « وتحدث بعض الناس برؤيته ليلة الأربعاء » ، وجاء فى جدول سنة ٨٤٢ من التوفيقات الإلهامية « أن أوله الأربعاء » كما هو بالمتن ع

إينال [الجكمى] فجهز إليه السلطان المطالعات وفرقها على أمراء الشام ، فجوزى بأن أضيف إليه قضاء الشافعية لا سيما ومساعده حموه القاضى كمال الدين محمد ابن البارزى .

يوم الأربعاء ثامنه[1] : ورد كتاب الأمير ألا بغا حاجب غزة ، مضمونه أن عساكر السلطان اقتتلوا مع الأمير إينال الجكمى ، فدقت البشائر بقاعة الجبل ، وأن مبدأ قتالهم فى يوم الأربعاء مستهله بالقرب من الخربة ، وأنه انكسر وانهزم .

• • •

وفى ليلة الثامن من هذا الشهر نقل الملك العزيز من حبسه بالمخدع الذى بقاعة العواميد إلى مكان ضيق بالحوش مظلم ، وذلك حين بلغ السلطان كسرة إينال الجكمى ووضع فيه وهو تحت الدهيشة ، بحيث أن لم يوجد منه موضع للهواء ، ولو أمكن أن يوقد فيه الشمع نهارا لفعل ، ورسم على أبوابه جماعة من المماليك السلطانية يحفظونه ، ومنع جميع خدمه من الدخول عليه إلا رجلا صار يدخل فى أسرع وقت ويخرج ، وراسل المؤيدية السلطان فى قتل الملك العزيز مرارا فلم يطاوعهم لذلك ولا قبله منهم . فجزاه الله عن دينه خيرا .

• • •

وفى يوم الأربعاء هذا رسم السلطان بأخذ جميع أموال العزيز التى بالحواصل فى القاهرة المشتملة على السروج الذهب والحلى والفرش والقماش وغير ذلك من

---

(١) فى الأصل « خامسه » وهذا خطأ يصححه ما ذكره المؤلف نفسه من أن أول الشهر كان الأربعاء راجع أيضا الحاشية السابقة ، ص ١٠١ .

الأوانى ، وحمل وصعد به إلى القلعة على نيف وسبعين حمّالا ، وقيمة ذلك زهاء من خمسين ألف دينار خارجا عن الجواهر التى له عن والدته خوند جلبان ، فقيمتها جليلة ، وحُليّ أتلفه السلطان بأن بدّده فى النساء والخدام ، وذهب شذر مذر ، فسبحان المعطى والمانع الذى لا يزول ملكه ولا يعتريه زوال .

• • •

يوم الاثنين السادس من شهر ذى القعدة : ضُرب(١) بين يدى السلطان القاضى بهاء الدين [محمد] بن عز الدين [عبد البر] البلقينى الشافعى أحد أعيان نواب الشافعية من قضاة الصالحية ضربا مبرحا ، بعد أن جُرِّد من ثيابه وصار عريانا مكشوف الرأس ، وهذه أول بهدلة للفقهاء فى زمن السلطان ، وما كان عزم السلطان بضربه إلا مقارع . وصار القاضى زين الدين عبد الباسط والقاضى كمال الدين كاتب السر يشفعان(٢) حتى ضرب بالعصى ، ثم لما فُرغ من ضربه سُلم إلى الأمير تغرى بردى المؤذى البكلمشى الدوادار فجعل فى عنقه باشه(٣) وزنجيرا ، وطلب منه للسلطان عشرة آلاف دينار ، وسبب هذا أن امرأة شكت عليه من بيت الأمير دولات باى الدوادار الثانى أنه أخذ لها جارية سوداء وأخفاها فى داره سنتين(٤) وهو يطؤها وهى محترقة لغيابها ، وآخر الأمر أن الجارية هربت لسيدتها من الجوع والعرى وذكرت لها حالها ، وأن عبدا من عبيده هو الذى

(١) أرخ ابن حجر هذا الضرب بالثامن من الشهر .

(٢) فى الأصل « يشفعا » .

(٣) الباشة هو قيد من حديد .

(٤) حين عرض ابن حجر لهذه القصة فى كتابه إنباء الغمر ذكر أن الجارية غابت عن سيدتها سبعين يوما .

أفسدها وأحضر بها ، وأن العبد صار إذا وجد له فرصة بها قضى بها أربه ، والسيد لا يعلم بحقيقة ذلك مدة طويلة ، فاتفق أنه لما فطن بالعبد أراد ضربه فهرب وهربت الجارية — كما قدمناه — لسيدتها ، وخافت عند القاضي[1] قيمصا وطرحة[2] ومخدة وما أشبه ذلك ، فقالت الجارية لستها عنهم ، فحضرت تطابهم ، فسبها ولعنها وقال لها « عبدى هرب بسبب جاريتك ، وأنا ألزمك بثمنه » ، فشكته كما ذكرنا وأحضرت له نقيبا فترافع عليه . وأساء على المرأة ولم يعط[3] النقيب خمسين درهما ، فرجع النقيب وأخبر الأمير بخبره ، وكانت المرأة لما شكته أخو رأس النوبة ذكر هذا الأمر كونه قاضي واحتشم ، فلما تخاصم فى الأجرة النقيب أخبروا الأمير بالقصة مفصلا . وكانت بينه وبين دولات باى فى الباطن مناقشة بسبب جارية[4] رام شراءها منه فامتنع من ذلك ، فأرسل إليه إثنى عشر نقيبا فأحضروه وهو فى غاية الذل والهوان ، فلما وصل إلى بيت الأمير تكلم معه رأس النوبة فى عمل مصلحته لقاء رشى دوادار الأمير والجماعة بعشرين دينار ، فغضب ودخل إلى دوار الأمير وهو راكب البغلة وصعد إليه إلى المقعد وقال : « هكذا يفعل بأهل العلم والقضاة ؟ » فأمر بحمله والترسيم عليه ورفع أمره الى السلطان فحصل عليه ما حصل ، وآخر أمره أنه غرم فى هذه القضية ألفا[5] وخمسمائة دينار ، وصار مُثلة بما وقع عليه بين الأنام ، فليت شعرى من هو متصف بهذه الأوصاف كيف يجوز أن يولى قاضى القضاة وشيخ الإسلام ، وغالب ما وقع عليه من خسته .

(١) يعنى بذلك البهاء البلقينى .

(٢) فيما يتعلق بالقميص والطرحة راجع المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزى ترجمة دكتور أكرم فاضل ، ص ٢٢٢ ، ٣٠٠ (بغداد ، ١٩٧١) .

(٣) فى الأصل « ولم يعطى النقيب خمسون درهما » .

(٤) فى الأصل « جزية » . (٥) فى الأصل « ألف » .

واخبرنى من شاهد ولدا من أولاده الصغار وقد دفعه شخص راكب بهيمة فسقط وأغمى عليه حتى قالوا مات، فبرز إليه شخص من جيران القاضى وأخذ بيده كسرة من الخبز وجاء إلى المغمى عليه وصار يقول له « مَمَّهْ! ! » مَمَّهْ ، ففتح عينيه وحرك شدقيه . فانظر إلى هذه الخصة مع المقدرة على المال الزايد الزايل ، كيف أوقع صاحبه فى هذه الورطة التى صارت عليه كالعلم .

وذكر شيخنا العلامة قاضى القضاة بدر الدين العينى الحنفى هذه الواقعة فى تاريخه ، وذكر أن الجارية بيضاء ، وليست كذلك وإنما هى سوداء ولكن بحسب ما وصل إليه[1] . وكاتبه[2] يعرف الواقعة فى وقتها بل و [يعرف] جار المذكور ، والله تعالى يعاملنا وإياه بالعفو[3] .

يوم الخميس تاسعه : ورد الخبر بالقبض على إينال الجكمى الذى كان نائب الشام فدقت البشائر وصار[4] قصاد السلطان يهنون أهل الدولة بذلك فيخلعون عليهم الأقبية والسلاريات والكوامل الطرش والأطلس وما أشبه ذلك[5] .

---

(١) أى إلى بدر الدين العينى .

(٢) يقصد الصيرفى بذلك نفسه .

(٣) حين أخرج ابن حجر هذه القصة فى إنبائه علق البقاعى عليها فى النسخة الموجودة فى الهند مبينا السبب الحقيقى لهذه النكبة التى حاقت على ابن جقمق فقال « : سبب شدة حنق السلطان عليه أنه كان من جوانه شخص أعمى يتردد إلى السلطان قبل سلطنته ، فكان ينقل إليه أخباره السيئة أولا فأول وما هو عليه من البخل المفرط والتكبر الذى لا إصلاح للأشى مع عدم موجب من موجباته ، وعدم التخلق بشىء من أخلاق الرياسة ومكارم الأخلاق والكلام فى الناس وتناول الرشوة إلى غير ذلك من الدنايا مع ادعاء المعالى ، واستمر يطالعه بمثل ذلك دهرا طويلا ، فلما وقعت قصة الجارية كانت مذكرة له بتلك الأمور ، فنشأ عنها ما نشأ من تشديده فى إهانته والله أعلم » ويلاحظ أن البقاعى لم يذكر مصدره فى هذه القصة .

(٤) فى الأصل « صاروا » .

(٥) على أن الأشرفية ومن سار فى ركابهم كانوا هم الذين ساءتهم هذه النكبة .

يوم الجمعة عاشره قدم كتاب الأمير آقبغا التمرازى نائب الشام بما تقدم ذكره من مسك الأمير إينال [الجكمى] وذكر قصته مفصلة، وملخصها أن العساكر الذين توجهوا من القاهرة صُحْبته والذين اجتمعوا عليه بغزة والرملة وصلوا يوم الأربعاء بمنزلة يقال لها « الخربة »، وقد تقدمهم كشافة يعرفون لهم الأخبار، فرجعوا إليهم وأخبروهم بقرب إينال الجكمى منهم، فاستعدوا له وركبوا وقد هيئوا ستة أطلاب وهم: [طلاب] الأمير آقبغا التمرازى نائب الشام، والأمير جلبان نائب حلب، والأمير إينال[1] [العلائى] الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازى نائب غزة، والأمير طوغان [العثمانى] نائب القدس، والأمير غرس الدين خليل [بن شاهين] المستقر فى نيابة ملطية، وهم فى عدد كبير ومدد كثير، وساروا بمن معهم من العربان والعشير حتى انتهوا إلى مضيق بالقرب من الخربة[2]، وإذا جاليش الأمير إينال الجكمى ومعه الأمير قانصوه النوروزى نائب بعلبك، وكاشف حوران، ومحمد بن الأسود بن القاق شيخ العشير، وقرا على الدوكارى أمير التركمان، وخليل[3] بن طرغلى بن صقل سيز التركمانى وعدة من العربان، ومجموع عدد المذكورين ألف فارس، فوقع بين الفريقين قتال كبير انهزمت فيه الأطلاب الستة، وإذا بالأمير إينال الجكمى وقد تتبع أقفية القوم وركبها حتى أثخنهم بالجراح، ووصل إلى السنجق السلطانى وتحته الأمير قراقجا الحسنى[4] أمير آخور والأمير تمر باى رأس

---

(١) وهو الذى صار فيما بعد سلطان مصر.

(٢) ورد فى النجوم الزاهرة ٩١/٧ س ١٢ كلمة « الحرة » بدلا من « الخربة » الواردة فى المتن أعلاه. وقد علق الناشر الأستاذ وليم بوبر على ذلك بما ترجمته « توجد الحارة لا الحرة » وأيضا جبل الحارة على أحد الطرق الممتدة من جولان إلى دمشق ».

(٣) فى النجوم الزاهرة ٩١/٧ س ١٦ « طرعلى بن شعل سيز التركانى ».

(٤) فى النجوم الزاهرة ٩٢/٧ س ٣ « قراخجا الحسنى ».

نوبة النوب وبقية الأمراء المصريين والمماليك السلطانية، فقاتلوه وثبتوا له، وقاتلهم وهو خايف منهم، وقتل جماعة كثيرة من الفريقين، فالمكثر يقول زيادة على الخمسمائة نفس، منهم الأمير صرغتمش[1] الذي استقر دوادار السلطان بحلب، وآخر الأمر انهزم إينال الجكمي فقبض على جماعة منهم: محمد بن الأمير قانصوه [النوروزي]، وعلى الأمير تنم العلائي، والأمير خاير بك القوامي، والأمير بيرم صوف [التركماني] وجماعة، وقد دخل الليل وحال بينهم فأصبحوا يوم الخميس [ثاني ذي القعدة] ورد الخبر من دمشق بمسك إينال الجكمي في قرية يقال لها حَرَسْتا، وكان قد توجه إليها فاختفى بها ومعه نفر قليل، [وكان] بالمكان رجل قد اطلع عليهم فتوجه إلى نائب القلعة وأعلمه بهم، فجهز إليه جماعة كبسوا عليه فدافع عن نفسه حتى إنه ضُرب في وجهه وطعن في جنبه، وحضر [إلى دمشق] على فرسه وقد وقف [الفرس][2] من التعب فلم يدخل دمشق إلا بعد العصر، وقد اجتمع العالم للتفرج عليه، فقيد وسجن في القلعة.

وذكر شيخنا العلامة بدر الدين العيني رحمه الله أنه «قاتل هو وقانصوه قتالا عظيما، وأنه هرب إلى غيط من الغيطان بالقرب من دمشق وقد جرح في مواضع متعددة، فأعطى الخولي دينارا وأمره أن يأتيه بمزين[3]، فذهب وأعلم العسكر به فحضروا إليه وقيدوه وسجنوه بالقلعة، وأما قانصوه فقد فر ولم يعلم له خبر». انتهى كلامه.

(١) كان صرغتمش هذا أحد مماليك والد أبي المحاسن بن تغرى بردى ودواداره حلبان، انظر النجوم الزاهرة ٧/٩٢ ص ١٠ — ١١.

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين للايضاح من النجوم الزاهرة ٧/٩٣.

(٣) الوارد في النجوم الزاهرة ٧/٩٢ — ٩٣ أنه اختفى في مزرعة فأرسل أحد خدمه ليأتيه بطعام ففطن به رجل من الناس وعرف شيخ البلد الذي أوصل إلى نائب قلعة دمشق يفضي إليه بالخبر.

ودخل الأمير آقبغا التمرازى[1] نائب الشام إليها فى صبيحة يوم الجمعة ثالثه بالعساكر وهم ملبسون ، فنزل دار السعادة ، فلم يرده عنها راد .

• • •

وفى هذا اليوم قتل محمد المعروف ببلبان شيخ جبل كرك نوح وولده محمد ، وكان من خبره وأمره أنه وصل بجموعه نجدة لعسكر السلطان ، ولكن بعد أن انقضت الوقعة ، ودخل مع النائب[2] إلى دار السعادة واستقر بها ، وتفرق الناس إلى دورهم فتوجه بلبان بمن معه حتى وصل إلى المصلى ، والعوام قد ملأوا الطرقات ، فصاح به و بمن معه من العشران جماعة من أراذل عوام دمشق وهم يقولون : «أبا بكر! أبا بكر» وصاروا يكررون ذلك على ألسنتهم نكاية فى بلبان و جماعته فإنهم ينسبون إلى أنهم رافضة ، فلما كثر ذلك من العوام أخذ بعض عشرانه فضرب بسهم فأصاب رجلا ، فوثبوا عليه وألقوه عن فرسه ليقتلوه ، فاجتمع أصحابه لخلاصه منهم وذبحوا ذلك الرجل الذى أرماه عن فرسه ، فعند ذلك تناولوا الحجارة وصاروا يرجمون بها بلبان وقومه ومدوا أيديهم فيهم حتى قتلوا بلبان وولده و جماعة ، وهم فى عدد نحو الخمسمائة بغير سبب ولا إذن من السلطان ولا من الحكام ، ولم ينتطح فى قتلهم عنزان ، بل ولا تحرك لهم إثنان ، وذلك بأفعالهم القبيحة الذى يرتكبوها[3] من سب الشيخين و إظهار الرفض وإشاعته و بغضهم لأهل السنة ، فلا شك

(١) كان آقبغا التمرازى صهر أبى المحاسن المؤرخ الذى وصف دخوله إلى دمشق ونزوله بدار السعادة فيها بأنه لم يتهيج به أحد من أهلها لشدة ميلهم إلى إينال الجكمى ، وعلق على ذلك بقوله « و إن كان آقبغا صهرى فالواقع الذى ذكرناه » مما يشهد بواقعية أبى المحاسن و يدل على نهجه فى كتابة التاريخ .

(٢) يعنى بذلك آقبغا التمرازى .

(٣) هكذا فى الأصل والصحيح « التى يرتكبونها » .

أيدى القاتلين . وقال الشيخ تقى الدين المقريزى « وكان قتلهم من الحوادث الشنيعة وما أراه إلا أمرا [ضجت] له السماء ، ولله عاقبة الأمور .

* * *

وفى هذه الأيام كُتب إلى نائب إسكندرية بعقوبة جكم خال العزيز بسجنه حتى يقر بأموال العزيز وذخائره ومتحصله من أيام أبيه من الإقطاع والحمايات والمستأجرات ، وما يصل إليه من الهدايا والتقادم ، وفعلوا به ذلك ، وأقر لهم عما سألوه .

وكُتب أيضا إلى نائب سكندرية بعقوبة الأمير يخشباى [الأمير آخور الثانى] بسجنه فيها ، وذلك أنه لما كانت التجريدة ببلاد الصعيد فى مملكة الملك الأشرف برسباى ضُبط عليه أنه سبّ السيد الشريف حسام الدين [بن حريز] الذى هو الآن قاضى القضاة المالكية بالديار المصرية ، فلما توفى الأشرف وزالت دولة الأشرفية قصدوا أن يدعوا على يخشباى عند قاضى القضاة المالكى أنه سب والد السيد الشريف ليريق دمه ، فسبقهم وتوجه إلى قاض شافعى فحقن دمه ، فاطمأنت نفسه لذلك ، فلما سجن أرادوا إراقة دمه ، فأوصلوا القضية لعز الدين البساطى وكان له مدة بطالا ، فطلبه السلطان وولاه ، فسمع البيِّنة ولكن أخبر بأن هذه الدعوى حقن فيها شافعى دمه فتوقف ، ثم إنهم قالوا « الدعوى التى[1] حقن فيها الشافعى دمه غير هذه الدعوى ! » . وكثرت الأقاويل وعُقدت مجالس . وآخر الأمر قال الشيخ تقى الدين المقريزى « تمادى الحال فى ذلك وعقد فيه مجالس مدة الشهور ، ثم تحركوا لقتله واستمالوا بعض من تمشيخ وتمصلح من المالكية حتى

---

(١) فى الأصل « الذى » .

أفتى بقتله، وأريد من القاضى العمل بفتواه فلم يتجاسر على الحكم بالقتل، وجرت أمور آخرها أن قيل : «يفوض الحكم لهذا المفتى حتى يحكم كما أفتى بقتله»، فتلكأ لما قيل له ذلك ولم يُقْدِم على قتله، فلما وقع اليأس من قتله بيد قضاة الشرع رسم بعقوبته حتى يعترف بما كتم من الذخائر والحواصل والأموال»، فقاسى شدائد وأهوال[1] بحيث لم يبق فيه رمق سوى ما يرمق.

• • •

ثانى عشره : برز المرسوم الشريف بإنفاذ قضاء الله وقدره فى الأمير إينال الجكمى الذى كان نائب الشام ولكن بعد تقريره على ذخائره وأمواله، فكتب بذلك، وكتب أيضا بقتل جماعة ممن كانوا معه وقبض عليهم.

• • •

ثالث عشرة : خلع على الأمير سودون[2] المغربى أحد الحجاب واستقر فى ولاية دمياط عوضا عن أسطى محمد الصغير معلم النشاب.

وفيه وصل الخبر بأن الزراعات أكلها الفار حتى لم يبق منها شىء، وأن البهنسا وقع فيها وقعة عظيمة بين الفيران، وقد اجتمع فيها ما لا يحصى من الفيران اقتتلوا قتالا شديدا وافترقوا، وأن موضع المعركة وجد فيه منهم[3] عدد كبير جدا ما بين جريح ومقتول ومقطوع بعض الأعضاء، وأن الخبر وصل إلى البهنسا من بلاد أخرى كان وقع فيها حرب بينهم[4] كما وقع، وكذا من مواضع عديدة وهذا الأمر يؤذن بحوادث تظهر.

(١) أبقينا هذا السطر على الصورة التى كتبها بها الصيرفى لتشير إلى أسلوبه.

(٢) عرف بسودون المغربى كما قال السخاوى لتشوفه، وقد ولى نيابة القدس ثم دمياط ومات سنة ٨٤٣، وكان موصوفا بالتدين والفقه والتقشف، والتدخل حونا بعلم النحو.

(٣) الصحيح ان يقال «منها» أى من الفيران.

(٤) الصحيح «بينها» أى بين الفيران.

يوم الأحد تاسع عشره : وصل إلى القاهرة الأمير ناصر الدين محمد بن قانصوه فسأل فى العفو، فأجيب بمساعدة جماعة من الأعيان .

وفيه ورد الخبر بتوجه العساكر من الشام إلى حلب فى حادى عشره، وأن الأمير آقبغا التمرازى نائب الشام أقام بها[1] ، وأن المتوجهين إلى حلب من العساكر : الأمير جلبان نائب حلب والأمير إينال [العلائى الناصرى] نائب صفد والأمير طوخ [مازى] نائب غزة والعساكر المصرية . وأن نائب الشام قبض على الأمير طرغلى[2] الدكرى وشنقه ، وأما تغرى برمش نائب حلب [فقد] نزل عليها ومعه الأمير طرغلى بن سقل سيز والأمير على باك[3] بن إينال وجموع التركمان وكذلك الأمير غادر بن نعير ومعه عربانه[4] ، وكذلك الأمير فرج وإبراهيم ولدا صوجى ، والأمير محمود بن الذكارى وجموعهم من التركمان، وعدد المذكورين ثلاثة آلاف فارس .

وفى يوم الاثنين حادى عشرى شوال : توجه جمع كبير إلى باب المقام[5] من جماعة[6] تغرى برمش فخرج إليهم الأمير برد بك [العجمى] نائب حماة ومعه جماعة من أمراء حلب وتركمان الطاعة والعوام، فكان بينهم حرب شديدة، قتل فيها وجرح

---

(١) أى بدمشق .

(٢) الوارد فى أبى المحاسن « برغل » بفتح الباء والغين واللام مع سكون الراء .

(٣) هو عند أبى المحاسن « على باى بار بن إينال » .

(٤) وكانوا من آل مهنا .

(٥) باب المقام هو أحد الأبواب الثلاثة بحلب وينفذ منه إلى جهة مقام إبراهيم الخليل ، وقد فتحه الملك العزيز بن الملك الظاهر غازى الأيوبى ، انظر الدر المنتخب فى تاريخ حلب لابن الشحنة ص ٤٣ ، ونهر الذهب ٢ / ٨ وصبح الأعشى ٤ / ١١٧ — ١١٨ .

(٦) أما تغرى برمش نفسه فقد خيم بمكان يسمى بالجوهرى ، انظر النجوم الزاهرة ٧/ ٩٥ .

من الفريقين [جماعة كثيرة] ورجع كل منهما إلى موضعه . ثم فى يوم الجمعة خامس عشرينه التقى الجمعان على باب النيرب (١) فاقتتلوا يوما وليلة قتالا شديدا قُتل فيه عدة من الرجال، وجُرح نائب حماة وطائفة من أمراء حلب وجماعة كبيرة من العوام ، وعاد كل جمْع إلى موضعه فرحل تغرى برمش فى يوم الأحد سابع عشرينه ونزل بالميدان والحرب تشتعل بينهم، والعوام يبذلون جهدهم فى محاربته ؛ إلى يوم الخميس ثانى ذى القعدة أظهر تغرى برمش آلات القتال مابين مكاحل النفط والجنويات (٢) والسلالم إلى خارج باب الفرج ، ونصب صيوانه تجاه السور (٣) ، وجدّ فى الزحف فكان زحاما شديدا وأهل حلب بهذه وهذه على محاربته طول هذا اليوم مع ليلة الجمعة ، والعالم يصرخون ويبكون ويبتهلون ويستغيثون ويتضرعون ليلة بتمامها وكمالها .

فلما كان يوم الجمعة (٤) انتقل تغرى برمش إلى الميدان بعد أن اجتمع القضاة ومشايخ العلماء والصلحاء ومعهم المصاحف والربعات على رءوسهم ، وهم يصيحون من أعلى الأسوار : « معاشر أهل حلب : الغزاة فى العدو، فإنّه من قُتل منكم فإلى الجنة مقره ، ومن قُتل من العدو فإلى النار مصيره (٥) » ، وصار العلماء والقضاة والصلحاء يكلمون العوام فيه تقوية لعزائمهم على محاربة تغرى برمش وثباتهم ، إلى

(١) انظر صبح الأعشى ٤/١١٧ — ١١٨ .

(٢) هى من آلات الحصار، وانظر ما كتبه بوبر فى تعريفه فى مقدمته الإنجليزية للنجوم الزاهرة (طبعة كاليفورنيا) . Vol. VI.P. XVII

(٣) أى سور حلب .

(٤) وذلك يوم ٢٥ شوال ، راجع النجوم الزاهرة ٧/٩٦ س ٤ — ٥ .

(٥) فى الأصل « وصاروا » .

أن ارتحل[1] بمن معه إلى الميدان الشمالي وقد تحقق أن أهل حلب قاتلوه[2] لا محالة ، وشرع هو ومن معه في رعي زراعات الناس وقطعوا القناة التي تدخل إلى المدينة من ثلاثة أماكن ، وكان أعظم العالم قتالا بحلب أهل بانقوسا وكذلك الحوذية ، فهجم عليهم وحرق الأسواق والبيوت التي لهم ، ودُلّ على جباب الغلال ففتحها ونهبها ، فامتلأت قلوبهم رعبا وإرجافا كبيرا ، فعند ذلك صعد الأعيان من القضاة والعلماء وغيرهم بحريمهم وأموالهم إلى القلعة ، وقبض تغرى برمش على عدة من أهل حلب فقطع أيديهم ، وزاد في التسلط[3] عليهم ، فحصل لهم من ذلك مالا يوصف .

وكانت هذه الحوادث الشنيعة من مساوىء الأمور ، وقليلا ما وقعت في الدهور .

فلما كان يوم الخميس ثالث عشرينه : خُلع على علاء الدين على بن يوسف المعروف بالناسخ[4] قاضى القضاة المالكية بحلب ، واستقر قاضى القضاة بدمشق مالكيا

---

(١) كان رحيله يوم الأحد خامس ذي القعدة كما ذكر ذلك أبو المحاسن .

(٢) في الأصل « قاتليه » .

(٣) وصفه أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ٧ / ٩٧٧ بقلة الدين والجبروت ، وقال عنه في موضع آخر إنه كان « لا يحفظ مسألة تامة في دينه ، مع قلة فهم وذرق وغلاظة طبع ، على قاعدة أوباش التراكمين » .

(٤) في الأصل « الناصح » ، والمثبت هو على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد القادر ويعرف بالناسخ كما جاء في الضوء اللامع ٦ / ٤٠٤ وذكر أنه ولد بالقاهرة سنة ٧٨١ ، ثم رحل أبوه به إلى حلب ، وتفقه على المذهب المالكي وتردد إلى القاهرة مرارا ، وكان له وقع في أمر الكتلان وبقى في أسرهم أربعين يوما ثم هرب إلى القاهرة ، وقد ولى فيما بعد قضاء المالكية بحلب ثم دمشق ، ثم نزح إلى بلاد الروم حيث مات هناك سنة ٨٤٥ .

عوضا عن محيى الدين يحيى بن حسن بن محمد الحيانى المغربى بحكم وفاته .
وخلع على شرف الدين يعقوب بن يوسف بن على المكناسى المغربى أحد نواب المالكية بالقاهرة المحروسة واستقر قاضى القضاة المالكية بحلب عوضا عن علاء الدين الناسخ .

خامس عشرينه : ورد البريد مخبرا بأن العساكر الشامية لما برزوا وساروا من دمشق فى حادى عشره التقوا بتغرى برمش بالقرب من مدينة حماة فى عَدد وعُدد وجموع من التراكمين وغيرهم لا يحصى ، وكان الملتقى فى يوم الخميس سابع عشره ، فكانت بينهم وقعة يشيب فيها الولدان ، وقُتل فيها خلق وجُرح كذلك ، وهرب[1] بمن معه فنهب العساكرُ[2] السلطانية ما معه ، فمن جملة ذلك مائتا ألف رأس من الغنم سوى ما عدم وهو نظير ذلك ، فدقت البشائر بقلعة الجبل ، وسُرّ السلطان لذلك .

يوم الاثنين سادس عشرينه : ورد النجاب وعلى يديه رأس إينال الجكمى ، فرسم بإشهارها ، فوُضعت على رأس الرمح ونُودى عليها بالقاهرة وعلقت بباب زويلة ، وقُتل فى ليلة الاثنين ثانى عشريه بعد أن قاسى عقوبة شديدة ، وحمل عما يملكه من الأموال والودائع فقرر عليها ، ثم إنهم لما أرادوا قتله شهروا عليه هذا النداء : « هذا جزاء من حارب الله ورسوله » ، وقتلوا معه بقلعة دمشق الأمير تنم العلائى .

• • •

(١) المقصود بذلك تغرى برمش .

(٢) فى الأصل « فنهبوا » .

وفى هذا اليوم أنعم السلطان على قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى بألف دينار ذهبا ، وسبب هذا أنه صار يصعد إليه إلى القلعة ويتكلم عنده فى الوعظيات ، وقدّم له كتبا[1] وغيرها فاختار أن يرسل إليه بأضعاف [ما] قدمه له ، فقبل ذلك ولم يعط الرسول عنها شيئا إلا بعد ألف جهد، ودفع له منها دينارا واحدا ، مع أن السلطان ما يحب القاضى علم الدين فى الباطن ، وبينه وبينه أمـــور .

* * *

يوم الخميس سابعه : خُلع على ناصر الدين محمد بن تاج الدين عبد الرازق بن أبى الفرج[2] واستقر نقيب الجيوش المنصورة عوضا[3] عن ناصر الدين محمد بن أمير طبر ، وأضيف له شد الدواوين والحجابة .

وفى هذه الأيام برز المرسوم الشريف لعز الدين الهساطى أن يحكم بقتل يخشباى أمير آخور ويسمع البينة عليه ، وكان عز الدين المذكور له مدة بطالا ولم يولّه الشيخ شمس الدين الهساطى شيئا ، وكذا فعل القاضى بدر الدين التنسى فى عدم توليته ، وآخر الأمر ادّعى أنه سب شريفا ولعن أبويه لحكم

---

(١) شرح ابن حجر قصة علم الدين البلقينى هذه ، فذكر أنه شكا فى أوائل ذى الحجة إلى جقمق أنه فى عهده استردّ بعض ما كان قد أنعم به عليه الأشرف برسباى من مبلغ ألفى دينار ، فاستجاب له جقمق ، وأمر بردّ الألف المستردة ، وإذ ذاك طلب البلقينى منه أن يأذن له بعمل ميعاد أسبوعى بحضرته ، على أنه لم يعمل إلا ميعادا واحدا لم يعجب السلطان الذى أمر بمنعه من عقده مرة ثانية .

(٢) هو ناصر الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبى الفرج ، ولد بالقاهرة سنة ٨٠٤ وأصل أسرته من أقباط مصر ، وقد استقر جقمق به فى نقابة الجيش ثم جعله أستادارا ، وجرى عليه النفى والمصادرة ، فلما عاد تكلم فى أوقاف المدرسة الفخرية ومات سنة ٨٨١ قرب قنطرة سنقر ، وقال السخاوى عنه فى الضوء اللامع ٨/ ٧٠ إنه كان من « سيئات الدهر جرأة وإقداما وظلما وجبرية » .

(٣) وذلك بحكم وفاته .

بإراقة دمه، فعين السلطان شاهدين توجها مع القاضى عز الدين إلى إسكندرية، وهما الإبيارى المقرىء والسيسى ليشهدا عند [محمد بن محمد بن عبد الله] بن الدماميني قاضى إسكندرية بما حكم به عز الدين من إراقة دم يخشباى، وأنعم عليهما بنفقة، فتوجها ودخلا وشهدا عند القاضى بما حكم به القاضى عز الدين، فعند ذلك طُلب يخشباى إلى بين يدى القاضى ابن الدماميني فقال له : « هل لك دافع أو مطعن فى حكم فلان عليك بكذا وكذا ؟ » فكان جوابه : « لا، والملتقى عند الله يوم القيامة ! »، فضربت عنقه فى يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة، وقيل الثامن .

قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين العينى : « ومع هذا كان القاضى الشافعى ابن حجر قد حقن دمه قبل هذا التاريخ بمدة، ثم إنه [رأى] رأيا لأجل السلطان وقال : « إن حكمى كان قد انصب على شئ، والدعوى التى ادعوا بها عند عز الدين البساطى غير ذلك، والله لا يخفى عليه شئ » . انتهى كلامه[1] .

(١) فى كلام العينى هذا نظر لأنه يستفاد منه أن ابن حجر هو الذى حكم أولا بحقن دم يخشباى، ثم عاد فقال قولا غير الذى قاله أولا حتى يماشى السلطان، على أن الوارد هنا من قبل (ص ١٠٩ - ص ١١) أنه ذهب الى أحد قضاة الشافعية و يعنى بذلك أحد نواب قاضى القضاة الشافعية، و يؤكد هذا القول ما ذكره أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة من « أن بعض نواب الشافعى حكم بحقن دمه »، ولكن يمكن تفسير ما يقوله العينى بأنه محاولة منه للطعن فى ابن حجر، وقد كان يحقد عليه أمورا عدة، ولعل قصة سقوط مئذنة جامع المؤيد خير دليل على ذلك، ولكن بالرجوع الى الضوء اللامع ١٠ / ١٠٦٨ نجده يشير الى هجنه فيقول « ذكره شيخنا فى إنبائه باختصار »، وقال إنه أخرج من السجن وادعى عليه بأنه سب شريفا من أهل منفلوط وهو حسام الدين محمد بن حريز قاضيها وثبت عليه ذلك بالقاهرة، —

وقال الشيخ تقى الدين المقريزى : «إنه التجأ إلى قاضى القضاة الشافعى — أعنى ابن حجر — فحكم له بعض نوابه بحقن دمه ، وسكن الحال مدة أشهر » ، قلت : وذلك بمساعدة القاضى زين الدين عبد الباسط له فى ذلك ، ثم إنهم تحركوا عليه بعد سجنه وادعوا عليه بدعوى غير المحكوم له فيها بحقن الدم ، فصمم جماعة من المالكية أنها قضية واحدة ، وقد تقدّمت وتقدم الحكم فيها . فسكنت الثائرة مُدَيدة ، ثم إن السلطان وأعوانه وثبوا لإراقة دمه ، وأفتى بقتله بعض المالكية . قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « والذى أفتى بقتله من المالكية ممن يُظهر للناس نسكا على وظيفة وُعِدَ بولايتها وأرادوا [من] قاضى القضاة المالكى [أن] يحكم بمقتضى الفتوى ، فامتنع من ذلك امتناعا شديدا ، فعُرضت على غير واحد من نواب المالكية فلم يقدم أحد على الحكم بها . وكان بينهم واحد لم يوله القاضى نيابة الحكم وله مدة بطالا ، فأذن له السلطان فى الحكم ، فقدم على ما أحجم عنه غيره وحكم بقتله .

ووافقة يخشباى المذكور مع ... ... المالكى قاضى القضاة الآن حفظه الله تعالى فقال : كان يخشباى [الأشرفى] توجّه إلى الصعيد ووقع منه ما وقع فضُبط عليه إلى أن وجدا فرصة فانتهزوها » ، وقد ورّخ حكم هذا القاضى المؤرخون[1] واختلفوا فيه ، فقال البدر العينى « فى يوم الخميس رابع ذى الحجة » ، والشيخ تقى الدين المقريزى أرخها فى سابع عشر ذى القعدة . والله أعلم .

* * *

— واتصل بقاضى اسكندرية فأعذر إليه فأنكر ، ثم حلف أنه لم يفعل . فقيل له إن الإنكار لا يفيد بعد قبول الشهادة فاستسلم للقتل » . ومن هذا يتضح أنه لم يكن لابن حجر دخل فى الأول ولا فى الآخر .

(١) فى الأصل « المؤرخين » .

شهر ذى الحجـــة

أهل بيوم الجمعة .

فى ثالثه وصل الخبر إلى السلطان بأن التراكمين قبضوا على تغرى برمش ومن معه من العساكر والأمراء ، وذلك أن تغرى برمش لما وقع بينـه و بين العساكر السلطانية المقتلة العظيمة على جبل التل بالقرب من حماة وانهزم مضى نحـو الجبل الأقرع ، فانفل عنه القادر ابن نُعير ، فكبس عليه أحمد وقاسم ولدا صوجى [1] فقبضوه ، وقبضوا معه على الأمير طر على بن سقاسيز وعلى دوادار تغرى برمش المسمى كشبغا ، وعلى خازنداره يونس ، وعلى الأمير صارم الدين [ابراهيم] بن الهذبانى نائب قلعة صهيون ، وأرسلوا فأعلموا بذلك نائب حلب ، فوصل علم ذلك إلى العسكر وهم على خان طومان فى يوم الاثنين العشرين من شهر ذى القعدة ، فعيّن الأمير جلبان نائب حلب عدةً من الأمراء ليحضروا بتغرى برمش ومن معـــه ، فتوجهوا لذلك وهم الأمير بردبك العجمى نائب حماة والأمير إينال الأجرود [العلائى] نائب صـفد والأمير طوخ مازى نائب غزة والأمير قطج أتابك عساكر حلب والأمير سودون النوروزى حاجب الحـجاب بحلب وأحضروه إلى حلب فى يوم الخميـس [2] ثالث عشرينه هو ومن معه فى باشات وجنازير ، وقيل — وهو الصحيح — إنه كان فى الحديد : فى باشة وزنجير ، وطر على بن سقاسيز سُمّر تسمير سلامة ، والهذبانى سمـر تسمير عطب ، والمشاعلية تشهرهم بالنداء : « هـذا جزاء من حارب الله

(١) لأول مرة يرد اسما أحمد وقاسم ولدى صوجى ، على حين أنه ورد من قبل فرج وابراهيم ولدا صوجى ، ويظهر أن الصيرفى كان ينقل هنا عن النجوم الزاهرة ، انظر نفس المرجع ٧/٩٥ س ١٧ ، ص ٩٨ س ٢٠ فهذا الاسم « أحمد » يظهر فى هذا التاريخ لأول مرة عنده .

(٢) فى الأصل « الثلاثاء » ، وقد صحح إلى ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٧/ ٩٩ :

ورسوله » ، وقتل الخلائق ، وخرب البلاد ، وأظهر الفساد » ، وهو مطرق[(١)] الرأس غائب الحس ، وقد اجتمع للتفرج عليه أهل حلب بتمامهم وكمالهم حتى وصلوا بهم[(٢)] إلى تحت القلعة بحلب ، فوسط المذبانى ورفيقه ، وسُلم تغرى برمش وطر على بن سقلسيز التركمانى لنائب القلعة[(٣)] ، وتسلم الأمير قراجا الحسنى كشبغا و يونس دواداره وخازنداره .

والذى حضر إلى مصر بهذه البشارة سيف الدين خشقدم الخاصكى أحد المماليك الظاهرية وركب الهجن لأجل سرعة السفر ، فأخلع عليه السلطان خلعة سنية بطراز زركش ومائة دينار ، ودقت البشائر والكوسات بقلعة الجبل ، وسر السلطان بذلك سرورا عظيما ، ورسم بقتل تغرى برمش وطر على .

يوم الأحد سابع عشره : صعد قاضى القضاة علم الدين صالح [البلقينى] إلى القلعة ، وابتدأ فى عمل الميعاد للوعظ بين يدى السلطان .

وفى هذا اليوم قُتل تغرى برمش بقلعة حلب بعد عقوبته وتقريره على أمواله وذخائره ، فلم يوجد له سوى خمسين[(٤)] ألف دينار نقدا ، وقتل معه طر على ابن سقلسيز .

يوم الأربعاء عشرينه : غضب السلطان على سودون[(٥)] المغربى متولى دمياط ورسم بالقبض عليه وتصفيده وسجنه بالثغر السكندرى ، ورسم لمسفره أن يأخذ منه مائة ألف درهم .

(١) فى الأصل « مطروق » .

(٢) أى جماعة الأسرى .

(٣) وهو الأمير حطط .

(٤) فى الأصل « خمسون » .

(٥) راجع ما سبق ص ١١٠ ، حاشية رقم ٢ .

أبي بكر وعلى مملوكه جاني بك الأستادار، وعلى دواداره أرغون[1]، وعلى صيرفيه شرف الدين بن البرهان، وعلى عدة من ألزامه وخواصه، وأخذوا خيوله وخيول مماليكه فكانت تزيد على سبعين فرسا، وأما خيوله هو بالخصوص فوجدت أربعة وأربعين رأسا، وبغاله خمسة عشر بغلا، ورُسم بإيقاع الحوطة على جميع موجوده في بلاد الشام والحجاز والإسكندرية من بضائع ومال وخيول وغير ذلك، فانزعج أهل القاهرة بسبب ما وقع، وكاد غالب الأمراء أن يموت لمحبتهم[2] في عظيم الدولة عبد الباسط ولكثرة ما كان يحسن إليهم، وطلب منه ألف ألف دينار، وقيل إنهم لم يطلبوا

= فولدت منه ولدا وبنتا فلما مات أبرك تزوجها الظاهر خشقدم وظلت معه حتى تسلطن، وماتت سنة ٨٧٠، وليس في هذه الترجمة ما يشير من قريب أو بعيد إلى أنها هي المقصودة في المتن إلا أن يكون هذا الاسم سهو قلم.

(١) كان مولده سنة ٨٤٤، وكان أبوه قد نشأه نشأة علمية طيبة فأقرأه كثيرا من كتب الفلسفة والأدب والفقه، وإذا كانت قد نزلت به هذه النكبة بسبب غضب جقمق على أبيه إلا أنه سرعان ما استرد مكانته حتى إنه في زمن الأشرف قايتباي تحدث في الجوالى الشامية والمصرية معا، وقد ذمه السخاوى فقال في عبارة مؤلمة «كان زائد الإسراف على نفسه راغبا في تقريب الأطراف وذوى السفه، نافرا من الفقهاء والطلبة، مظهرا مقت من لا يخاف جاهه الدنيوى منهم، بذىء اللسان ...، وكان يرمى بأمر فظيع» وكانت وفاته سنة ٨٨٦، انظر الضوء اللامع ١١ / ١١٠.

(٢) يلاحظ أن الرأى الذى يسوقه الصيرفي هنا يخالف كل المخالفة الرأى الذى ساقه أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ٧ / ١٠٠ س ١٥ — ١٦ من أنه «لما أتى القبض على عبد الباسط بن خليل زال بمسكه غمة كبيرة عن الناس فإنه كان غير محبب للناس حتى ولا لأصحابه لبادرة كانت فيه وسوء خلق وبطش مع سفه وبذاءة لسان» وذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ٧ / ١٠١ س ١ هذا المعنى بأنه كان «يكرهه حتى أعز أصحابه»، ويمكن تفسير اتجاه الصيرفي بما ذكره من أن أباه كان من جماعة القاضى عبد الباسط وخواصه وألزامه».

يوم الاثنين رابع عشرينه : خُلع على ناصر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ابن سلام[(١)] واستقر فى ولاية دمياط عوضا عن سودون المغربى بعد أن سعى فى ذلك ، ووعد بحمل مال للسلطان وللناظر الخاص وللدوادار .

يوم الخميس ثامن عشريه : صعد القاضى عبد الباسط[(٢)] [بن خليل الدمشقى] إلى القلعة لحضر خدمة القصر وهو فى غاية الصحة ، ثم جلس السلطان بالحوش السلطانى فوقف له الخواجا التوريزى ، وشكا[(٣)] على القاضى عبد الباسط وقال إنه ظلمه وأخذ أمواله وتسلط عليه فى الدولة الأشرفية برسباى ، وكان مع القاضى عبد الباسط العلم بأن التوريزى زوق على شكواه من السلطان حيلة على قبضه وأخذ أمواله ، فرسم السلطان بالقبض عليه وأُودع بالمقعد المطل [على] الحوش الذى هو فى الدهيشة ، ورسم بالحوطة على موجوده وداره ، فنزل[(٤)] الطواشية والمماليك السلطانية إلى داره فقبضوا على زوجته شكرباى[(٥)] وعلى ولده

---

(١) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٦ / ١٠٢٨ ، أن ابن سلام هذا تولى دمياط فى أواخر هذه السنة ثم صرف عنها فى السنة التالية « حين انتصر لبعض النصارى » .

(٢) وكان إذ ذاك ناظر الجيش .

(٣) الواقع أنه بعد تخلص جقمق من قرقماس وجه همه للتخلص من القاضى عبد الباسط ، وليس من شك فى أن السلطان كان يضمر له فى نفسه أشد الكراهية ، فقد ذكر أبو المحاسن أنه كان هو ذاته بمجلس جقمق حين قال الأخير عن عبد الباسط « والله أشتكله بشكال مثل ما كانت تعمل الجغتية ، هذا أخرب مملكة مصر » ، وكان إذا كلمه أحد من أعيان الأمراء صفر له بفمه فى وجهه « انظر النجوم الزاهرة (طبعة بوبر) ٧ / ١ س ٩ — ١٢ .

(٤) فى الأصل « فنزلوا » .

(٥) لم يرد فى النساء اللائى ترجم لهن السخاوى فى الضوء اللامع من اسمها « شكرباى » سوى واحدة كانت فى الأصل من سرارى الناصر فرج لكنها لم تلد له ، فلما مات تزوجت الأمير أيرك الجكمى —

أبي بكر وعلى مملوكه جاني بك الأستادار ، وعلى دواداره أرغون ، وعلى صيرفيه[1] شرف الدين بن البرهان ، وعلى عدة من ألزامه وخواصه ، وأخذوا خيوله وخيول مماليكه فكانت تزيد على سبعين فرسا ، وأما خيوله هو بالخصوص فوجدت أربعة وأربعين رأسا ، وبغاله خمسة عشر بغلا ، ورُسم بإيقاع الحوطة على جميع موجوده فى بلاد الشام والحجاز والإسكندرية من بضائع ومال وخيول وغير ذلك ، فانزعج أهل القاهرة بسبب ما وقع ، وكاد غالب الأمراء أن يموت لمحبتهم[2] فى عظيم الدولة عبد الباسط ولكثرة ما كان يحسن إليهم ، وطلب منه ألف ألف دينار ، وقيل إنهم لم يطلبوا

— فولدت منه ولدا وبنتا فلما مات أيرك تزوجها الظاهر خشقدم وظلت معه حتى تسلطن ، وماتت سنة ٨٧٠ ، وليس فى هذه الترجمة ما يشير من قريب أو بعيد إلى أنها هى المقصودة فى المتن إلا أن يكون هذا الاسم سهو قلم .

(١) كان مولده سنة ٨٠٤ ، وكان أبوه قد نشأه نشأة علمية طيبة فأقرأه كثيرا من كتب الفلسفة والأدب والفقه ، وإذا كانت قد نزلت به هذه النكبة بسبب غضب جقمق على أبيه إلا أنه سرعان ما استرد مكانته حتى إنه فى زمن الأشرف قايتباى تحدث فى الجوالى الشامية والمصرية معا ، وقد ذمه السخاوى فقال فى عبارة مؤلمة « كان زائد الإسراف على نفسه راغبا فى تقريب الأطراف وذوى السفه ، نافرا من الفقهاء والطلبة ، مظهرا مقت من لا يخاف جاهه الدنيوى منهم ، بذىء اللسان ... » وكان يرمى بأمر فظيع ، وكانت وفاته سنة ٨٨٦ ، انظر الضوء اللامع ١١ / ١١٠ .

(٢) يلاحظ أن الرأى الذى يسوقه الصيرفى هنا يخالف كل المخالفة الرأى الذى ساقه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ١٠٠ س ١٥ — ١٦ من أنه « لما ألقى القبض على عبد الباسط بن خليل وزال بمسكه غمة كبيرة من الناس فإنه كان غير محبب للناس حتى ولا لأصحابه لبادرة كانت فيه وسوء خلق وبطش مع سفه وبذاءة لسان » ويكرر أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ١٠١ س ١ هذا المعنى بأنه كان « يكرهه حتى أعز أصحابه » ، ويمكن تفسير اتجاه الصيرفى بما ذكره من أن أباه كان من جماعة القاضى عبد الباسط وخواصه وألزامه » .

منه شيئا معينا وإنما يقولون : « زن المـال » ، وصار(١) المماليك السلطانية مرسمين عليـــه .

يوم السبت سابخه — وقال الشـيخ بدر الدين العينى فى تاريخـه : إن يوم الخميس سـابخه » ولم أره إلا سبق قـلم منه لأن الشهر أوله الجمعـة — حضر البريدى على هجن برأس تغرى برمش نائب حلب ، فأشهر بالقاهرة على رأس رمح ، ثم عُلّق على باب زويلة ودقت البشائر لقدومه ، وكان يوما عظيما .

• • •

وفيـه طُلب شـيخ الشيوخ محب الدين بن الأشقر واستقر فى نظر الجيوش عوضا عن عظـيم الدولة عبد الباسط وهو أحد جلسائه وندمائه ، ولولا القاضى عبد الباســط ما كان له فى المملكة رسم ولا اسم ، وسبحان مغـير الدول ومقلّب الأحوال .

وخُلع أيضا على الأمير ناصر الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبى الفرج ، واستقر أستادارا عوضا عن جانى بك الزينى عبد الباسط ، وهو(٢) من جـملة غلمان القاضى عبد الباسط لابل دوادار جانى بك المذكور ، ولولا القاضى عبد الباسط ما وصل أحد منهم إلى أن يعرف بين الناس .

وقُرر القاضى فتح الدين [محمد بن] المحرق(٣) وهو من أصحاب السلطان فى نظر الجوالى عن عظيم الدولة .

---

(١) فى الأصل « وصاروا » .

(٢) أى ابن أبى الفرج .

(٣) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب المخزومى الذى عمر قرابة قرن من الزمان وإن تشكك السخاوى فى ذلك فى الضوء اللامع ٧ / ١٩٤ ، والإجماع منعقد على الثناء عليه .

أما النجوم الزاهرة ٧ / ٢٩٠ فقد سمته بصدقة المحرقى ، وذلك وهم كما أشار إلى ذلك السخاوى فى الضوء ٧ ص ١٥٩ س ٢٠ .

وقُرِّر الشيخ ولي الدين السفطي وكيل بيت المال في نظر الكسوة عوضا عن عبد الباسط ولم يخلع عليهما .

وقدم مبشرو الحاج فأخبروا بسلامته وأمنه ورجائه .

* * *

وانقضت هذه السنة على حوادث عظيمة ، وسُر السلطان فيها و بلغ غاية مأموله في مدة يسيرة ، وما ذلك على الله بعزيز ، منها ظفره بالملك العزيز بعد أن خلص من سجنه ، وصرف مماليك أبيه وهم عدد كبير ولم ينتج منهم أمر ، و كذا ظفره بالمماليك الأشرفية الذين كانوا بالصعيد وتحركوا مع الملك العزيز .

وأعظم الأمور ظفره بإينال الجكمي نائب الشام ، و بتغرى برمش نائب حلب وقطع رءوسهما ودخولهما القاهرة ، والله وَلِيُّ الدنيا والآخرة .

* * *

وآخر الأمر قُبض على عبد الباسط فكانت هذه السنة عظيمة الحوادث ، وأزال الله بها نقما[1] عديدة عن خلائق جمة بالقاهرة ومصر والشام ، والله وَلِيُّ الإنعام ، و بيده مقاليد السموات والأرض ، ذو الجلال والإكرام .

* * *

---

(١) في الأصل « نقم » .

ذكر من توفى من الرؤساء
والأعيان بمصر والشام

(٧٨١) ــ حافظها[1] ومحدثها الشيخ الإمام، عمدة الأنام، أبو عبد الله شمس الدين محمد[2] ابن أبى بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد المعروف بابن ناصر الدين القيسى الدمشقى الشافعى. [مات] فى ثامن عشرى ربيع الآخرة بدمشق، وكان عارفا بصناعة الحديث، وسمع على الشيخ زين الدين أبى بكر بن المحب وغيره، واجتهد وجدّ وطلب، والقى عدة من المشايخ فبلغ رتبة علية، وصار حافظ الشام بغير منازع له فى ذلك، وصنف التصانيف المفيدة، وكتب كثيرا، وكان دينا خيرا متواضعا عفيفا طريفا، ولم يخلف بعده فى دمشق مثله.

---

(١) أى حافظ الشام ومحدثه.

(٢) فى النجوم الزاهرة «محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد القيسى» كما ورد بصورة مختلفة فى الضوء اللامع ج ٧ ص ١٧٠ حيث قال «محمد بن أبى بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن ناصر الدين، هكذا نسبه بعضهم وهذا غلط، فأبو بكر كنية عبد الله لا ابنه»، ثم ترجم السخاوى له وسماه «محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف»، وأطال فى ترجمته، ج ٨ ص ١٠٣ — ١٠٦. هذا ولقد ورد تعليق فى نسخة من نسخ إنباء الغمر موجودة بالهند لأحد قرائها جاء فيه «توفى حافظ دمشق ناصر الدين محمد بن أبى بكر عبد الله بن محمد، مات فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة»، على حين جعل أبو المحاسن وفاته فى ربيع الآخرة كما جاء فى النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٣، ومنه نقل الصيرفى سنة الوفاة.

(٧٨٢) — وتوفى شهاب[1] الدين أحمد المالكى الشهير بابن تقى ، وكان من أعيان نواب المالكية وفضلائهم ، نادرة من النوادر، آية من آيات الله فى الحفظ ، بلغنى ممن أثق بنقله أن الشيخ شهاب الدين بن تقى كان يسمع القصيدة نحوا من ثلاثين بيتا من لفظ منشيها المرة الواحدة فيحفظها .

وكان مقداما فى الأمور ، له طلبة يقرءون عليه ويلازمون مجلسه ، وإفتاؤه فى غاية ما يكون . غير أنه كان قليل التجمل فى ملبسه ، ووقع له مع قاضى القضاة ولى الدين بن العراقى أنه أبطل حكما من أحكامه ، فلما ولى قاضى القضاة علم الدين صالح [البلقينى] القضاء على بغتة من غير أن يعلم به أحد ، توجه ابن تقى لمنزل العراقى وكان أول من علم بولاية صالح وكان له من حين أبطل حكمه لم يدخل إليه ، فبمجرد ما جلس قال له : « قد تولى قاضى القضاة علم الدين صالح وظيفتكم قضاء الشافعية » فكاد أن ظهر منه لما سمع ذلك أن يموت وذلك بسفارة ابن الكويز ، كون العراقى هدم دارا لبعض أقاربه من النصارى ، عالية على دور المسلمين .

(٧٨٣) — ومات الأمير صفى الدين جوهر [بن عبد الله الجلبانى] الزمام واللالا الطواشى ، الحبشى الجنس ، وكان أصله من خدام الأمير بهادر المشرف[2] ، اشتراه من مكة وأحضره إلى القاهرة ، فوهبه لأخته زوجة

(١) أما اسمه الكامل فهو أحمد بن محمد بن أحمد بن على الدميرى ، ولما كانت أمه أخت القاضى تاج الدين بهرام ، ولما كان ينسب إليها لا لأبيه فقد كان هو يكتب فى الفتيا « أحمد بن أخت بهرام » وكان فى صباه آية فى سرعة الحفظ ، وكان موته فى صفر من هذه السنة ، انظر أيضا ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧ / ٢٤٢ .

(٢) جانبت الدقة الصيرفى فى سوق بعض الأسماء هنا ، فقد ذكر بهادر المشرف وهو فى الحقيقة « عمر بن بهادر » وقد وقع فى هذا الخطأ نفسه أبو المحاسن حين ترجمه فى النجوم الزاهرة فى وفيات هذه —

الأمير جلبان [الحاجب] فخدمها وترقى فى خدمتها فأعتقته ، فخدم بعدها الأمير برسباى الدقماقى فى الأيام المؤيدية شيخ ، وصار معه لما توجه إلى نيابة طرابلس ، وحصل عليه ما حصل من الكسرة من التركمان ، وغضب المؤيد عليه وسجنه وهو يبالغ فى خدمته فى سجن المرقب ، ثم إنه توجه من عنده فخدم علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش وقبض الأمير برسباى يكاتبه ويراسله فبادر لقضاء حوائجه على أتم ما يكون ، مع ما يهديه له من السكر والصوف والسمور ، حتى خلص برسباى وترقى عند الظاهر ططر ورجع معه إلى القاهرة ، واستقر دوادارا كبيرا ونظام الملك ، وكان من أمره ما قدمناه إلى أن تسلطن ، فاستدعى جوهر المذكور وخلع عليه ، وجعله لالا ولده محمد ، فصار لا يعرف إلا بجوهر اللالا ، وهابه أعيان المملكة ، واشتهر فيها لإقبال السلطان عليه ، وتمكن من السلطان ، فسأله أن يكون أخوه جوهر القنقبای خازندارا فرسم له بها ، وصارا فى غاية ما يكونان من النعمة والأفضال ، واجتمع لهما من العز والجاه والكلمة النافذة ما لم يجتمع لغيرهما لا من الخدام ولا من الأعيان إلا النادر ، والنادر لا حكم له .

ثم إن السلطان وَلّاهُ زمام الأدر الشريفة مضافا لما بيده ، فصار من جملة أمراء المقدمين الألوف ، وصار هو وأخوه يتعاضدان ويتعاونان ويميلان إلى الفقهاء ، وحصل للفقهاء منهما خير كبير ، وقويت شوكتهما .

= السنة فقال : « والأمير بهادر المشرف » مما يدل على أن الصيرفى كان ينقل من أبى المحاسن . كذلك أشار الصيرفى فى الترجمة أعلاه إلى « جلبان » وهذه هى أيضا رواية النجوم ، على حين أنه « أحمد بن جلبان » حسب رواية السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ٣٢٨ ، أما ابن حجر فنص صراحة فى إنباء الغمر على أنه عتيق أحمد بن جلبان وليس عتيق زوجته .

ومن أغرب ما وقع لهما أن شخصا من زفاقنا بسوق الجوهر يسمى محمد الأدمى الشافعى ، وكان قد قرأ على شيخ الإسلام البلقينى و يعرف علم التوحيد ، وله جماعة يقرءون عليه فيه ، وكان يتردد إليهما و يستنجد بهما فى أموره وقضاء حوائجه عند الأكابر وخلاص حقوقه ، فقدر الله أن جوهر لما عظمت شوكته فى أيام الملك الأشرف كونه خازندارا كبيرا ومتكلما فى المماليك ، قال له شمس الدين [محمد بن الأدمى] بحضور جماعة من الطواشية وأخوه جوهر الزمام حاضر : « أنت كذا ، أنت كذا » وصار يبالغ فى مدحه و إطرائه ، حتى قال له : أنت أعطيت خزائن مصر بغير سؤال ، وفرق عظيم بين السائل والمسئول » فكان جوابه أن قال : « نحن وأخى هذا عبيد ودخلنا فى الرق ، حاشا لله أن تنسبنا إلى هذا » ، وصار فى غاية ما يكون من الألم بسبب هذا القول .

ثم إن الشيخ شمس الدين الأدمى كان بينه وبين شخص من مصر مشاجرة بسبب دار يسكنها بمصر ، فأراد أن يرفع عليه دعوى عند المالكية ، فسبق بنفسه إلى بيت قاضى القضاة بدر الدين العينى وادّعى عليه بذلك وعزر وحقن دمه . فانظر لمحاسن هذين العبدين (١) .

ثم إن جوهر الزمام عظم قدره وارتفع ذكره فى أيام الملك العزيز وصار هو المتكلم ، إلى أن خُلع العزيز وتسلطن الأمير الكبير جقمق ، وكان بينه وبين المذكور مدة منافسات ، فقبض عليه وحُبس ببرج القلعة وكان عليلا وصودر ، ووزن مالا كبيرا نحوا من ثلاثين ألف دينار .

---

(١) فى الأصل « هذان العبدان » .

[ومات] فى يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الأولى عند نحو ستين تخمينا وعمّر مدرسته ، وأوقف عليها أوقافا ، وقرر فيها أيتاما ، وكان يعتقد الصلحاء ، وفيه خوف من الله مع الشفقة على خلقه .

(٧٨٤) — وتوفى الأمير قرقماس [بن عبد الله] الشعبانى[١] مضروب العنق بثغر سكندرية ، وبقيت جثته مطروحة زمنا طويلا حتى واروها التراب بعد العز والإقبال . وهو من المماليك الظاهرية برقوق اشتراه طفلا صغيراً ووهبه لولده الأمير فرج فخدمه إلى أن تسلطن بعد أبيه ، ولقب بالملك المنصور ، فترقى فى الخدم إلى الدولة المؤيدية شيخ ، ثم استقر دوادارا ثم نقل إلى إمرة مائة فى الأيام الأشرفية برسباى ، ثم استقر حاجب الحجاب فظلم[٢] فى الرعية لاسيما النسوان ، وثقل على أهل البلد إلى أن ولاه [الأشرف برسباى] نيابة حلب ، ثم استدعاه منها إلى ديار مصر واستقر به أمير سلاح ، ثم عينه مقدم العساكر وأخرجه لتجريدة أرزنكان فسار إليها وملكها ، وتوفى الأشرف [برسباى] وهو فى التجريدة ، وبلغه ذلك فقدم فى غاية ما يكون من الجنون ، وصار ليس له همة إلا القبض على الأمراء الأشرفية ، وأعقب ذلك بخلع الملك العزيز وقام فى هذا الأمر أتم قيام ، ثم سئل بالسلطنة فامتنع ، فتسلطن الملك الظاهر جقمق وجعله أميرا كبيرا وأنعم عليه بالأموال والخيول والجمال والجواهر والمماليك ، فما

(١) وكان يعرف بأهرام ضاغ أى جبل الأهرام ، راجع تفسير ذلك فى النجوم الزاهرة ، وإن قال إنه سمى بذلك قديما لتكبره وتعاظمه .

(٢) أشارت النجوم إلى إنه فى أثناء توليه الحجوبية باشرها بحرمة زائدة وصار يخلط فى حكوماته (أى أحكامه) ما بين ظلم وعدل ولين وجبروت . أما السخاوى فقد نعت حكمه بالعفامة والبطش ، « بحيث هابه كل أحد » .

استمر ذلك إلا عدة أيام ، وركب على السلطان وقاتله ، فلم يظهر له سعد ولا إقبال ولا ثبات ، وجرح وانهزم إلى غيط له ، فقُبض عليه وسجن بالاسكندرية وضربت عنقه — بها كما قدمنا ذلك — في يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة .

وكان عمره نحو الستين أو أكثر تخمينا .

وكان عفيفا عن اللواط والخمر والزنا مطلقا ، مشهورا بالفروسية والشجاعة ، وينقاد إلى الخير ، إلا أنه كان متعاظما رقيعا ، معجبا بنفسه ، يزهو بها ويحتقر من سواه . وكان في أحكامه إذا ضرب لا يرحم ، سواء كان المضروب طفلا أو شيخا أو امرأة . وأما الإشهار للشهود والطلبة فليس عنده من فعله تأثير ، فلذلك لقى سوء فعله ، والجزاء من جنس العمل وإلى الله عاقبة الأمور .

(٧٨٥) — ومات الشيخ الإمام قاضي القضاة المالكية وإمام عصره في المعقول والمنقول أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطي ، وأصله من قرية في الريف ، فقدم القاهرة وطلب العلم واشتغل وجدّ فوجد ، وحصّل وأكب على الأستاذين من علماء العجم ، فأتقن فن معرفة المنطق وغيره مع الفقر الشديد ، حتى إن الشيخ تقي الدين المقريزي ذكر في تاريخ ترجمته عنه « إنه عاش دهرا في بؤس وقلة ، بحيث أخبرني أنه ينام على قش القصب » . انتهى كلامه .

فلما عمر الأمير جمال الدين الأستادار مدرسته قرره شيخ المالكية بها ، وكانت ولايته بها من غير معرفة جمال الدين الأستادار به ولا يعرفه ولا بسعْي أحد

له فى ذلك ، غير أنه لما قرر شيخ الشافعية وحضر[1] معه العلماء حضر من جملتهم الشيخ شمس الدين البساطى فوقع الكلام بينه وبين الطلبة ، فأظهر علما عظيما وذلك بحضور جمال الدين الواقف فسأل عنه واستقر به فى مشيختها ، ثم أضيفت له مشيخة المدرسة التى بتربة السلطان فرج بالصحراء ، ثم فوض إليه ابن عمه الجمال البساطى الحكم فباشره مدة ثم عزله . فلما توفى قاضى القضاة جمال الدين عبد الله الأقفهسى استقر المؤيد شيخ به قاضى القضاة المالكية بالديار المصرية مع سَعْى عدة فيها ، وأقبل [المؤيد شيخ] عليه رغبةً فى فقره وعفته ودينه ، فإنه بلغه عنه أنه كان يتعهد ويأكل من صيده شيئا ، فباشر وظيفة القضاء نحوا من عشرين سنة بصرامة وعفة ، وانتفع به عالم كبير ، وصنف أشياء فى الفقه وغيره من العلوم ، ومولده فى المحرم سنة ستين وسبعمائة ، ويكون عمره على هذا إحدى وثمانين سنة وشهورا لأنه مات فى ليلة الجمعة ثالث عشرين[2] شهر رمضان ، ولم يخالفه أحد بعده فى شىء من العلوم .

(٧٨٦) – وتوفى القاضى علم الدين أحمد بن تاج الدين محمد بن كمال الدين محمد بن قاضى القضاة علم الدين محمد[3] بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الإخنائى المالكى أحد نواب الحكم بالقاهرة فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان ،

---

(١) فى الأصل « وحضروا » .

(٢) هو ثالث عشر رمضان فى كل من النجوم الزاهرة ٧ / ٢٥٤ س ٢٠ ، والضوء اللامع ٧ / ٧ .

(٣) أورده ابن حجر فى إنباء الغمر باسم « أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد » ، على حين أضاف الضوء اللامع ج ١١ ، ص ١٨٣ بعد ذلك « بن أبى بكر بن عيسى » ثم ترجم له فى نفس المرجع ج ٢ ص ١٧٠ تحت رقم ٤٨٤ باسم « أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن عيسى بن رحمة بن ظهير » ولم يشر إلى كلمة « بدران » الأخنائى .

وله استحضار فى فقه الإمام مالك، وودّ مع الناس وحشمة وافرة ، وهو من بيت علم وفضل ورياسة .

(٧٨٧) ـ ومات الشريف أحمد بن حسن بن عجلان [الحسنى] أمير مكة بزبيد ، وكان قد فارق[1] أخاه بركات [بن حسن] وسار لليمن .

(٧٨٨) ـ وتوفى محيي الدين يحيى بن حسن محمد الحيحائى[2] المغربى قاضى القضاة المالكية بحلب والشام، وكان قد باشر القضاء بعفة وصرامة، ولم يَقْبل على الحكم شيئا .

(٧٨٩) ـ ومات الفقيه الفاضل أبو عبد الله على بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم العقيلى النويرى المالكى، قاضى القضاة المالكية بمكة المشرفة فى السابع عشر من شهر ذى القعدة ، فمولده سنة ثلاث وثمانين بمكة . وكان عالما عفيفا فى مباشرة القضاء ، جميل الهيئة والهيبة ، له ثروة ومال وحشمة وافرة ونعمة متظاهرة ، وولى حسبة مكة مدة .

---

(١) كان أبوهما قد أشركهما معا سنة ٨١١ فى إمرة مكة فى حياته ، وتكرر ذلك منه ، فلما مات الأب توجه صاحب الترجمة إلى زبيد مفارقاً لأخيه بركات (انظر الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧٤) ، وكان موت الأب بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة ٨٢٩ حيث قدم ولده بركات إلى مصر ليأخذ الامرة لنفسه بعد أبيه فتم له ما أراد وذلك بعد أن التزم للسلطان بأن يحمل إليه كل سنة عشرة آلاف دينار ، على ما جرت به العادة من كون مكس جدة له وما تجدد من مراكب الهند يختص بالسلطان ، انظر الضوء اللامع ٣ / ٤١٧ .

(٢) ورد فى تعليق البقاعى على إنباء الغمر لابن حجر (مخطوطة المنهد) قوله : « كان يكتب الحيحى ــ بحاءين مهملتين مكسورتين بينهما تحتانية ساكنة » ، أما السخاوى فقد نسبه إلى بلدة من بلاد المغرب تعرف بحيحانة ، وقد ذكرت النجوم الزاهرة أن وفاته كانت يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة .

(٧٩٠) - وتوفى حافظ[1] حلب البرهان إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمى الحلبى ولم يخلف بعده مثله، فإنه كان إماما عالما فاضلا محدثا مصنفا مجيدا، ذا ملكة زائدة فى إتقان العلوم، وتصانيفه كلها مقبولة، وخلف ولدا نشأ على حال والده فى هذه السنة .

(٧٩١) - ومات محمد بن بلبان الرافضى شيخ كرك نوح قتيلا بدمشق . قتله عوامها هو وولده فى يوم الجمعة ثالث شهر ذى القعدة، وقُتل معه من أتباعه عدد كبير . قال الشيخ تقى الدين المقريزى فى تاريخ هذا المذكور : « إن أهل دمشق قتلوه ومن معه بغيا وعدوانا، وكان متهما[2] أنه رافضى ولذلك قتلوه، وكان صاحب همة عالية ومروءة غزيرة وأفضال وكرم وحال واسعة، ومال جم » .

(٧٩٢) - ومات الأمير إينال الجكمى نائب دمشق وهو من مماليك الأمير جكم، وانتقل منه إلى الأمير المؤيدى المحمودى فرباه صغيرا ورقاه وقربه لحضرته لما تسلطن، وقرره شاد الشراب خاناه، ثم ترقى فى أيام ططر إلى تقدمة ألف، ثم استقر به برسباى الملك الأشرف نائب الشام، فلما وقع للعزيز بن برسباى أن خلعه الملك الظاهر جقمق لم يخرج إينال عن طاعته، بل صار أهل الشام يخطبون للملك العزيز، فجهز إليه الملك الظاهر الجيوش والعساكر فحاربهم وحاربوه، وآخر أمره انهزم منهم وقبضوا عليه وقتل بقلعة الشام فى ليلة الاثنين ثانى عشرين ذى القعدة . وكان من الشجعان الأبطال المشهورين، ومن الفرسان المشهود

(١) أشار الضوء اللامع، ج ١ ص ١٣٨، إلى أنه كان كثيرا ما أثبت بخطه أنه « المحدث» وأيس « الحافظ »، كما أنه قال : « مشايخى فى الحديث نحو المائتين » . انظر أيضا نفس المرجع والجزء، ص ١٤٠ ص ٢١ - ٢٢، كما عدد فى ص ١٤١ مؤلفاته .

(٢) فى الأصل « متهم » .

لهم بالثبات فى مواقع الحروب ، ومع ذلك فلم يكن له سعد ، ولا نفعته شجاعته ولا أغنت عنه شيئا ، وقاسى بعده أخوه أهوالا[1] عظيمة وسجنا مديدا .

(٧٩٣) — وقتل الأمير يخشباى [المؤيدى[2] ثم الأشرفى] ضربت عنقه بثغر سكندرية ، وهو من جملة مماليك المؤيد شيخ وصار من المماليك الأشرفية برسباى ، فترقى فى أيامه إلى أن صار أمير طبلخاناه واستقر به أميرآخور ثانيا ، وكان شكلا عظيما حسن الهيئة ، طويل القامة ، بومة فى الصراع ولعب الرمح ورمى النشاب وضرب السيف ، وهو من أنيات الأمير جوهر اللالا ، ومن المقربين عنده .

ولما توفى الأشرف برسباى قبض عليه السلطان الظاهر [جقمق] وحبسه بثغر سكندرية ، وضربت عنقه بها فى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة . وكان من من الجبارين المتمردين الشريرين[3] الذى ألجأه خلقه الخبيث أن سب[4] شريفا وأبويه فجوزى فى الدنيا .

(٧٩٤) — وقتل الأمير تغرى برمش بقلعة حلب ، وأصله من التركمان بمدينة بهسنا ، وكان اسمه حسين [بن أحمد] ، وقدم القاهرة وخدم الأمراء ولم يمسه رق قط ، وأول ما قدم القاهرة صنع خياطا وأقام فى المصنع تحت القلعة عند

---

(١) فى الأصل « أهوال عظيمة وسجن مديد » .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ١٠ / ١٠٦٨ .

(٣) أما أبو المحاسن بن تغرى بردى فقد وصفه فى النجوم الزاهرة ٧ / ٢٥٩ بأنه « كان شابا طوالا عاقلا عارفا بأنواع الفروسية ، وعنده فهم وذوق ومعرفة ومحاضرة وتذاكر بالفقه وغيره بحسب الحال » ثم دعا له فقال : « عوض الله شبابه الجنة بمنه وكرمه » .

(٤) أشار ابن حجر فى ترجمته له فى إنباء الغمر إلى أنه كان مسجونا فأخرجوه منه بأمر السلطان وادعى عليه أحدهم بأنه سب شريفا من أهل منفلوط وهو حسام الدين محمد بن حريز قاضيها .

بعض الخياطين مدة طويلة ، وغيّر اسمه فتسمى تغرى برمش ، وخدم عند قراسنقر الجمالى الذى كان كثير السفر إلى مكة تبعا ، ثم انتقل منه إلى خدمة بعض الأمراء وسافر معه إلى حلب ثم خدم الأمير جقمق ، فلما استقر دوادار المؤيد شيخ استقر به دوادارا إلى أن استقر [المؤيد] نائب الشام توجه فى خدمته . فلما مات المؤيد وقبض الأمير جقمق على برسباى وسجنه وقصد قتله صار تغرى برمش يرد عنه ويدافع عن قتله مرارا ، وصار يخدم برسباى بماله وجاهه ومأكله ومشاربه ويقضى(١) حوائجه حتى تسلطن الأمير ططر وأفرج عن برسباى الدقماقى ، واستقر به دوادارا كبيرا ، فحفظ لتغرى برمش حق مساعدته ومدافعته عنه لمن أراد قتله ، وقربه إليه ، وأدناه إلى أن تسلطن فصار يرقيه ، ولم يزل به حتى استقر به من جملة الأمراء بمصر ، ثم استقر به أمير آخور كبيرا وعمله نائب الغيبة فى سفره إلى آمد ، ومكنه من التصرف ، ووافق رأيه رأى السلطان فى عدة مواطن ، واعتمد عليه فى حياته وبعد موته ، ثم استقر به نائب حلب فتوفى الأشرف [برسباى] وهو نائبها وهو مسافر فى تجريدة أرز نكان صحبة العساكر ولم يتفق معهم ، فقدم حلب فخامر العزيز ابن برسباى فخرج عن طاعة الملك الظاهر جقمق فلم يسعد جده ، وتقاتل هو وأهل حلب قتالا شديدا وأخرجوه من حلب ، فالتقى بالعساكر المجهزة من حلب فقاتلهم فهزموه ، وقبض عليه التركمان وقتل فى سابع عشر ذى الحجة بعد أن قاسى عقوبات شديدة ، وكان قد أخرب فى حلب عند محاربة أهلها له دورا كثيرة .

وقتل معه الأمير طرغلى بن سقلسيز من أمراء التركمان .

---

(١) فى الأصل « ينقاضى » .

(٧٩٥) — ومات الملك الظاهر سلطان اليمن المسمى هزبر الدين عبد الله ابن الأشرف إسماعيل بن على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول فى يوم الخميس سلخ شهر رجب الفرد ، وكان ملكه باليمن اثنتى عشرة سنة . وفى أيامه ضعفت مملكة اليمن لقلة رجالها وجبى أموالها واستيلاء العربان عليها ، وأقاموا بعده فى الملك ولده إسماعيل ، ولقبوه بالأشرف ، وعمره نحو العشرين سنة ، فسفك الدماء واحتاط على الأموال وأكثر الفساد فى العباد فساءت سيرته ، وقتل برقوقا القائم بدولتهم فى عدة من الأتراك .

(٧٩٦) — وتوفى الرئيس شرف الدين موسى بن نور الدين على بن جُمَيع الصنعائى ، العدنى[1] الأصل والمولد والمنشأ باليمن وقد جاوز الخمسين ، وكان قد استقر فى وظيفة أخيه وجيه الدين ، وهو آخر بيت ابن جُمَيع . وكان من الأذكياء الحذق ، عارفا بالأحوال ، بحرا فى الاستحضار ، كثير النوادر ، لينّ المعاطف ، حسن العشرة . و بعينه عور .

(٧٩٧) — وتوفى الفقيه العالم الفاضل جمال الدين[2] محمد بن سعيد كَبَّن[3] الشافعى الطبرى العدنى ، قاضى عدن بها فى سابع شهر رمضان وقد جاوز الستين .

---

(١) هو « الصنعانى الأصل العدنى » كما جاء فى كل من إنباء الغمر ترجمة رقم ٩ وفيات سنة ٨٤٢ والضوء اللامع ١٠/٧٥٣ ، كذلك ذكر السخاوى فى نفس المرجع ٤ /٢٩٦ أخاه واكتفى بتسميته « الوجيه العدنى » مسقطا نعته « بالصنعانى » لكنه لما ترجم لأبيه على فى الضوء اللامع ٦/١٣٨ سماه بعلى بن يحيى الطائى الصعدى اليمانى متجاهلا كلمة « الصنعانى » أيضا ، وقد نقل ذلك من ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٢ ص ١٧٥ ترجمة رقم ٧٧ .

(٢) انظر الضوء اللامع ٧ ص ٢٥٢

(٣) فى الأصل « كنين » وقد صحح الاسم بناء على ما جاء فى ترجمة ابن حجر له فى إنباء الغمر فيمن مات فى هذه السنة حيث قال : « كبن : بفتح الكاف وتشديد الموحدة الثقيلة بعدها نون » وقال

(٧٩٨) — ومات الشيخ الإمام العالم الفقيه المفتى[١] موفق الدين على بن محمد ابن نحر[٢]، فى زبيد فى شهر شوال، وكان قد انتهت إليه الرياسة فى العلم والفتوى والاشتغال بزبيد، ومولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة.

(٧٩٩) — ومات أيضا بزبيد الشيخ الإمام العالم المفنن الفقيه المفتى، المشهور بالعلم الغزير والفضل الكثير، جمال الدين محمد بن على[٣] المعروف بالطيب، الحنفى فى عاشر شهر رمضان، وهو فى عشر السبعين وقد احتوى على رياسة الحنفية بزبيد.

(٨٠٠) — وتوفيت خوند بنت الملك المؤيد زوجة الأمير قرقماس الشعبانى فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الأولى، ودفنت فى المدرسة المؤيدية التى داخل باب زويلة. وكانت عظيمة الشأن، حاكمة على زوجها ومتلفة لأموالها. رحمها الله.

= إن مجموع ولاياته لقضاء عدن بلغت أربعين سنة. أما قول الصيرفى إنه جاوز الستين فالواقع أنه مات فى السادسة والستين من عمره، يدل على ذلك ماذكره السخاوى فى الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٢ من تصحيحه ما ذكره ابن حجر فى إنبائه من أنه بلغ الثمانين، حيث عد السخاوى ذلك القول «سهوا» من ابن حجر لأن مولد صاحب الترجمة كان سنة ٧٧٦.

(١) كانت فتواه على مذهب الشافعى، كما أنه أول شافعى ولى مسجد الأشاعرة بزبيد سنة ٧٧٩، انظر الضوء اللامع ٥ / ١٠٣١.

(٢) فى الأصل «نحز» وهو تصحيف من قلم الصيرفى، وقد صححنا الاسم على ما جاء فى إنباء الغمر حيث قال: «نحر» بضم القاف وسكون المهملة، بعدها راء».

(٣) سماه السخاوى (الضوء اللامع ٨ / ٦٠١) بمحمد بن على بن الطيب اليمانى، على حين أنه ذكر أن المقريزى سماه «بالفقيه المعروف بالطيب».

ذكر حـــوادث
سنة ثلاث وأربعين وثمـانمائة من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

• • •

أهلت هذه السنة بشهر الله المحرم وأوله الأحد .

والخليفة المعتضد بالله .

وسلطان مصر والشام والحجاز : الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ، وأتابك العساكر الأمير الكبير يشبك [الشعبانى] .

ونائب دمشـق الأمير آقبـغا التمرازى .

ونائب حلب : الأمـير جلبان الكمشبغاوى .

ونائب حمـاة : الأمير بردى بـك العجمى .

ونائب طرابلس : الأمير قنباى الحمزاوى .

ونائب صفد : الأمير إينال الأجرود ، وبقيـة العساكر قد تقدّم لنـا ذكر كل منهم ووظيفته وانتقاله إليها .

• • •

والقضاة الأربعة هم : شيخنا العلامة حافظ العصر وأمير المؤمنين فى الحديث شيخ الإسلام أحمـد بن على بن حجر الشافعى ؛ وشيخنا البحر الحبر سـعد الدين الديرى الحنفى ، وقاضى القضاة المـالكية بدر الدين بن التنسى ، والقاضى الحنبلى محب الدين البغدادى .

وكاتب السر القاضى كمال الدين بن البارزى ، وناظر الجيش شيخ الشيوخ محب الدين بن الأشقر ، والوزير كريم الدين بن كاتب المناخ ، والأستادار ناصر الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبى الفرج ، وناظر الخاص الصاحب جمال الدين بن كاتب جكم[١] ، وناظر الدولة الصاحب أمين الدين ابراهيم بن الهيصم[٢] ، وناظر الديوان المفرد هو أيضا .

• • •

ففى أوله[٣] أفرج عن القاضى زين الدين عبد الباسط وعن أرغون دواداره ، وصار المباشرون والأمراء يترددون إليه ما خلا الدوادار الكبير الذى هو تغرى

---

(١) هو الأمير يوسف بن عبد الكريم بن بركة السعدى المعروف بابن كاتب جكم ، ولد بالقاهرة سنة ٨١٩ هـ ، وكان أصله من القبط ولكنه حفظ القرآن برعاية أبيه وعنايته ، وتعلم العربية والفقه على أكثر من مدرس ، كما تدرب فى المباشرة ، وكانت وفاته سنة ٨٦٢ هـ .

(٢) هو ابراهيم بن عبد الغنى بن ابراهيم القبطى المصرى المعروف بابن الهيصم المولود فى أوائل القرن التاسع الهجرى ، وكان بارعا فى الحساب ، وباشر كثيرا من المباشرات فى عدة جهات بمصر ، وشغل الوزارة زمن الأشرف برسباى ولكن لفترة قصيرة ، كما ولى نظر الديوان المفرد ، وتعرض لكثير من المصادرات ، وكانت وفاته سنة ٨٥٩ هـ ، انظر عنه السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٦٧ — ٦٨ .

(٣) هذا خطأ وقع فيه الصيرفى ، ذلك أن السلطان لم يفرج فى أوله عن عبد الباسط ولا عن دواداره ، يؤيد هذا أمران أولهما أن النجوم الزاهرة قالت فى هذه السنة « استهلت سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة والسلطان مصمم على أنه لا يقنع منه (أى من عبد الباسط) بأقل من ألف ألف دينار ويهدده بالعقوبة ويعدد له ذنوبه ، حتى قال فى بعض مجالسه بحضرتى (أى بحضرة أبى المحاسن صاحب النجوم الزاهرة) « والله أشنكله بشنكال مثلما كانت تعمل الحنفية » ، انظر النجوم الزاهرة ٥ /٢٢٨ ، أما الأمر الثانى فهو ما يورده الصيرفى نفسه فيما بعد من الإشارة الى أن الزينى كان لا يزال محبوسا حتى يوم ١١ محرم ، وعلى ذلك فربما كان الصيرفى يريد أن يقول « ففى أوائله » فكانت « أوله » التى بالمتن زلة قلم منه .

بردى البكلمشي المؤذى ، وأما قانباى الجركسى والشيخ ولى الدين السفطى فساعداه مساعدة كبيرة ، وآخر الأمر سأل أن يقوم للسلطان بثلاثمائة ألف دينار ، وحمل فى هذا اليوم إلى الخزانة الشريفة ثلاثين ألف دينار ذهبا ، وهو مطالب بالمال من غير تعيين ، ووضع جماعة السلطان أيديهم له على خمسين ألف أردب من الغلة ومائة هجين ، ليس[1] لها قيمة لعدم مثلها فإنها فى غاية الحسن ، ومن البهار ما قيمته خمسون ألف دينار ، و بعدة من الجمال .

• • •

ثانيه : خلع على الشيخ ولى الدين السفطى وكيل بيت المال وأحد أعيان الخواص عند السلطان واستقر فيما عين له من وظيفة الكسوة عوضا عن عظيم الدولة عبد الباسط ، مضافا لما بيده من وكالة بيت المال ، فإن شرط الواقف أن من كان وكيل بيت المال يكون ناظر الكسوة ومضافا لما بيده من إفتاء دار العدل .

وخلع على فتح الدين محمد بن المحرقى فيما عين له قبل هذا ، واستقر فى نظر الجوالى عوضا عن القاضى زين الدين عبد الباسط ، وكان قد وليها قبل هذا فأعيدت له .

وتأخر فى هذه السنة مبشرو الحاج ولم يحضروا إلا فى ثالثه ، فأخبروا بسلامة الحاج وأمن الطريق ورخاء الأسعار .

---

(١) أى لا تقدر بمال لنفاستها .

خامسه: أفرج عن الزيني أبي بكر بن القاضي عبد الباسط، وعن شرف الدين موسى بن البرهان الكازروني[1]، وقرر عليه مال يقوم به بسفارة الأمير تغرى بردى البكلمشي فإنه من جهته، وصار يحط في جانب أستاذه عنده، بل هو السبب في مسكه مع أقوام غيره، وهذه أفعال أولاد الزنا، فإن القاضي عبد الباسط لما قدم القاهرة في أيام المؤيد [شيخ] خدمه شرف الدين هذا المذكور وهو فقير لا يملك شيئا فصار له من الأموال والأملاك والقماش والمتاجر ما لا يُحصى ولا يُحصر مما كان معه منه، ولكن يرجع إلى أصله فإنه كان يباشر اليهودية صغيرا، وكان من القرائين[2] ولم ينتقل من حاراتهم ولم يأكل من غير أطعمتهم، وفساده منهم. وكان قاضي القضاة شيخنا أحمد بن علي بن حجر إذا عرض له أمر ضروري عند عبد الباسط يتوجه إلى حارة اليهود لبيت المذكور حتى يقضيه له عند أستاذه.

أما القاضي زين الدين عبد الباسط فندب أرغون دواداره أن يبيع موجوده ويورده أولا بأول، والمقصود المهم عند عبد الباسط أن يقرر عليه السلطان مبلغا معينا، والسلطان لا يجيب إلى ذلك بل يقول: « المال ». وشاع وذاع أنه لا يرضى منه بأقل من ألف ألف دينار، وصاروا يعدّون له ذنوبا حقدها عليه السلطان، ويهدّدونه بعقوبات وهو صابر محتسب.

يوم الاثنين ثانيه: نودى على النيل وقد أخذ قاع البحر ــ وهي القاعدة ــ فبلغت أربعة أذرع وعشر أصابع، وزاد ثلاثة أصابع.

---

(١) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١٠/٧٤٦ فقال « لازم بالمباشرة والكتابة عند الزين عبد الباسط بحيث كان القائم بأموره كلها، وصودر معه في محنته سنة اثنتين وأربعين فما بعدها على مال جزيل » ولم يزد على ذلك ؛

(٢) طائفة من اليهود.

تاسعه : نقل الأمير جانى بك مملوك القاضى عبدالباسط ـ الذى كان أستادارا ـ من برج القلعة إلى بيت الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى الدوادار الكبير ليحاسب على مال الديوان المفرد، فقرر عليه عشرة آلاف دينار يحملها، ولم يتأخر بالقلعة سوى القاضى زين الدين عبد الباسط بمفرده وهو فى الترسيم فى عدة من المماليك السلطانية على الحوش فى المقعد الذى بالدهيشة ،وأرغون الدوادار و جماعته يبيعون فى أملاكه وحوائجه و يوردون ذلك للخزائن الشريفة أولا فأولا .

حادى عشره : رسم السلطان بالإفراج عن الأمير جانى بك الزينى وتوجه إلى داره من بيت الأمير تغرى بردى الدوادار وقد ألزموه بألف ألف وثلاثمائة ألف للديوان المفرد بغير وجه من الوجوه، فإنها باقية فى جهة الفلاحين والمشايخ المتسحبين .

رابع عشره : قدم القاضى معين الدين عبد اللطيف بن القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر كاتب سر حلب، وصحبته تقدمة سنية قيمتها خمسة آلاف دينار، فقدمها فى خامس عشره ، فقبلت .

وفى هذا اليوم رسم بالإفراج عن سودون المغربى الذى كان متولى دمياط من سجن الاسكندرية وأن يتوجه إلى القدس بطالا ويقيم به .

وفيه رسم بالقبض على الخواجا شمس الدين بن المزلق[1] رأس التجار وكبيرهم بدمشق، وسجنه بقلعتها و إلزامه بثلاثين ألف دينار للسلطان ؛ وعشرة آلاف

(١) هو الشمس محمد بن على بن أبى بكر بن محمد ، الخواجا الكبير الشمسى الحلبى ، كبير تجار الزلبق، وكان كثير الصدقات ، شيد كثيرا من الخانات وأصلح كثيرا من الطرق ، وكانت وفاته سنة ٨٤٨ ودفن خارج باب الجابية بدمشق، انظر الضوء اللامع ٨/٢٢٩ .

دينار أخرى لديوان الخاص ، فحضر أحد أولاده فصالح السلطان بخمسة آلاف دينار ، و[الديوان] الخاص بألف دينار وخلع عليه . والسبب فى هذا أن ابن المزلق كان من جهة عبد الباسط ، وكان غالب متاجره لا يقوم عنها بشىء من الفلوس لا للخاص ولا لغيره ، بل يخدم القاضى عبد الباسط بالهدايا وغيرها ، فلما مُسك عبد الباسط فعلوا به مارأيت وسمعت .

ثانى عشرينه : قدم ركب الحجاج وأخبروا بما أخبر به المبشرون من الأمن والسلامة والرخاء ، غير أن متيان[1] أمير المدينة عزل سليمان بن عزيز[2] ، وأن جماعة من الحجاج لما قدموا المدينة الشريفة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — توجهوا لزيارة البقيع ، فخرج عليهم جماعة من العربان الرافضة فقاتلوهم ، فقتل من المماليك السلطانية ثلاثة أنفار ، والله الواحد القهار .

وفى هذه الأيام شاعت الأقوال وكثرت الإشاعات بأن الأمراء مختلفون[3] وكذلك المماليك السلطانية ، فأشهر النداء فى يوم الخميس سادس عشرينه أن أحدا لايخرج فى الليل ، وأن كل حارة يصلح سكانها الدروب .

سلخه[4] : وصل الأمير يشبك [السودونى] أمير كبير من بلاد الصعيد وصحبته

(١) هكذا فى الأصل لكن السخاوى أدرجه باسم أميان بن مانع وترجم له بهذا الاسم فى الضوء اللامع ٢/١٠٤١ وذكر أن المقريزى ذكره فى أكثر من موضع باسم «وبان» بالواو .

(٢) أورده السخاوى فى موضعين أحدهما حين ترجم له فى الضوء اللامع ٣/١٠١٣ باسم «سليمان ابن عزيز بن هيازع» والآخر بهذا الرسم أيضا ورد فى الضوء اللامع ج ٢ ص ٤٢١ س ٢٢ ، ولكن الناشر ذكره فى الفهرست (نفس المرجع ، ج ٣ ص ٢٤١ ، ع ١ س ٧) باسم سليمان بن غريز » .

(٣) فى الأصل مختلفين .

(٤) التاريخ الوارد فى ابن حجر ؛ إنباء الغمر ، ج ٤ ، هو السبت ٢٨ من الشهر وليس سلخه .

المماليك[١] والأمراء المجردون[٢]، لخلع عليه بوظيفة الإمرة الكبرى للأتابكية التى كانت عُيِّنت له، عوضا عن آقبغا التمرازى بحكم استقراره فى نيابة الشام.

* * *

وفى هذه الأيام وصلت الأخبار بأن ملك المسلمين محمد بن الأيسر[٣] صاحب

(١) هم المماليك الأشرفية، راجع ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠٢/٠٧.

(٢) فى الأصل المجردين.

(٣) كانت أمور المسلمين داخل قرطبة قد اضطربت من جراء النزاع بين كل من أميرها أبى عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالأيسر الذى كان حكمه « بداية سلسلة من الاضطرابات والقلاقل المتعاقبة » كما يقول محمد عبد الله عنان، وإذ كان الأيسر ضعيفا شأن ملوك هذه الفترة من المسلمين فقد كثرت الاضطرابات داخل مملكته، وأدت هذه الاضطرابات إلى ضياع العرش منه أكثر من مرة. ولما كانت قشتالة — خاصة — والنصارى عامة يتطلعون لضرب بقايا القوى الإسلامية فى الأندلس للقضاء نهائيا على الاسلام والمسلمين هناك فقد أخذوا يشجعون الفتنة حتى تجرءوا سنة ٨٢١ هـ (= ١٤٢٨ م) على دخول مملكة غرناطة وأفسدوا فى نواحى وادى آش، فغضب مسلمو غرناطة وخلعوا الأيسر وولوا مكانه واحدا عرف فى التاريخ باسم محمد بن محمد بن يوسف وقد اختلفت الروايات فى تحديد هويته فمنها ما جعله ابن السلطان المخلوع، ومنها ما قال أنه ابن أخ له وإن اتفقت على تسميته « الزغير »، ورأى أن يقر الأمور لنفسه بالقضاء على أسرة الوزير يوسف بن سراج مما اضطرها للالتجاء إلى خوان الثانى ملك قشتالة الذى بعث فى استدعاء الأيسر من تونس التى كان قد فر إليها ونزل فى ثغر « المرية » ونودى به ملكا مرة أخرى، ثم زحف على غرناطة بمن معه من جند زوده بهم أبو فارس سلطان تونس وبمن انضم إليه من عسكر غرناطة ودخلها واستقرت له الأمور فيها ظاهريا، وأراد تجديد الهدنة التى كانت بينه وبين قشتالة التى اشترطت لذلك شروطا قاسية لم يستطع الأيسر قبولها مما حمل خوان الثانى — ملك قشتالة — على الزحف على غرناطة مرة ثانية ورجع إلى مملكته تفيض يداه بالسبايا والغنائم كما أن الاضطرابات عادت تطل من جديد داخل غرناطة بين أهلها الذين نادوا بأميرهم يوسف بن المولى ملكا مكان الأيسر، وحينذاك حضر يوسف بن المولى إلى خوان الثانى يلتمس منه المعونة لقاء تبعيته له وأداء الجزية والتزام ... وذلك فى محرم سنة ٨٣٥ هـ (= سبتمبر ١٤٣١ م)، ويعلق عنان على هذه الاتفاقية بأنها كانت « أخزى ما انتهت إليه الخلافات الداخلية والحروب الأهلية فى مملكة غرناطة »، لكن يوسف بن المولى مالبث أن مات فأعيد الأيسر إلى عرش غرناطة، وحينذاك بادر بعقد اتفاقية سلم بينه وبين قشتالة ولعلها هى التى يشير إليها الصيرفى فى المتن، كما يشير إلى سفارة أرسلتها غرناطة لأول مرة. انظر فى ذلك كله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين (الطبعة الثالثة) لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦: ص ١٥٤ — ١٦٢، وعبد العزيز الأهوانى، مجلة كلية الآداب، المجلد ٦، الجزء الأول، ص ٩١ — ١٢١.

غرناطة من بلاد الأندلس وقع الصلح بينه وبين الفنش ملك أشبيلية وقرطبة وغيرها من ممالك الفرنج بعد أن ثارت الفتن بينهم سنينا عديدة ، والحمد لله على الصلح .

• • •

شهر صفر

أهل يوم الاثنين .

قدم فيه الأمير قانباى [الأبو بكرى الناصرى][1] البهلوان أتابك عساكر دمشق فقرّبه السلطان وأدناه وأكرمه وخلع عليه ، واستقر به فى نيابة صفد عوضا عن الأمير إينال [العلائى الناصرى] الأجرود بحكم استقراره فى جملة الأمراء المقدمين بالقاهرة المحروسة .

ورسم للأمير إينال الششمانى[2] أحد المقدمين الألوف بالشام أن يستقر أتابك العساكر بها عوضا عن قانباى البهلوان .

---

(١) هو قانباى بن عبد الله الأبو بكرى الناصرى فرج المعروف بالبهلوان ، وقد تولى نيابة ملطية وأصبح أتابك حلب فدمشق ، وكان موته سنة ٨٥١ ، وقد وصفه أبو المحاسن بأنه كان مسرفا على نفسه ، وبجرده من الشجاعة ومعرفة أى فن من الفنون مما لا يتفق مع تلقيبه بالبهلوان ، وكان ذلك على سبيل المجاز لا الحقيقة ، كما يقول أبو المحاسن ، وقد اكتفى السخاوى فى وصفه إياه بأنه كان «ذا حشمة ورجال» انظر ابن تغرى بردى : حوادث الدهور . تحقيق نهيم شلتوت ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٢) كان إينال الششمانى ممن باشروا الحسبة بدلا من العينى ، وتدرج فى الوظائف المملوكية حتى صار أتابك دمشق بعد انتقال قانباى البهلوان إلى نيابة صفد ، وقد أجمع كل من السخاوى وأبى المحاسن على وصفه بالتدين والعفة عن الفواحش .

يوم الخميس رابعه : أمطرت السماء مطراً غزيراً جداً[1]، وطبق السحاب بالقاهرة وما حولها فكان هذا من العجيب المستغرب، لأن الزمان صيف، والشمس فى برج الأسد ، والبحر قد بلغ العشرة أذرع ، والموافق لهذا الشهر من شهور القبط أبيب ، ولكن الله يحكم ما يريد .

سادسه : وصل الأمراء المجردون من البلاد الشامية بمن معهم من المماليك الشامية ، فخلع على الأمير قراقجا الحسنى باستقراره أمير آخور وصعد إلى باب السلسلة ، وخُلع على الأمير تمرباى [التمربغاوى] واستقر فى وظيفة رأس نوبة النوب .

وفيه خلع على شمس الدين بن عز الدين الحنفى الرازى، واستقر قاضى العسكر بالديار المصرية عوضا عن شمس الدين محمد بن التفهنى ، بحكم عزله .

حادى عشره : رسم السلطان بنقل القاضى عبد الباسط من المقعد المطل على الحوش السلطانى إلى البرج الذى عند بيت نائب القلعة ، فرسم عبد الباسط لأتباعه بالمبادرة إلى تبييض البرج وتبليطه و إطلاق البخور فيه وفرشه و إحضار سرير فيه ، ففعل ذلك فى يومه .

وسبب نقله من المقعد أن المقر الكمالى بن البارزى تدخل على السلطان فى حطيطة الألف ألف دينار التى صمم السلطان فى طلبها ، وساعده[2] أعيان الدولة على ذلك ، وآخرا الحال استقرت ــ بعد ألف جهد ــ أربعمائة ألف دينار ،

---

(١) راجع التوفيقات الإلهامية ص ٤٢٢ ، ويلاحظ أن التاريخ الذى أورده الصيرفى فى المتن أعلاه يعادل منتصف يوليو تقريبا وأخريات أبيب ، وهو الشهر الحادى عشر من شهور القبط ، أى فى شدة الحر .

(٢) فى الأصل « ساعدوه » .

وعبد الباسط يورد الأموال من أثمان مايباع له من العقارات وحوائج جواريه وإقطاعاته إلى غير ذلك ، ثم إنهم تلطفوا بالسلطان فى حطيطة الأربعمائة ألف دينار، فغضب وأمر أن يخرج من المقعد المطل بالحوش على حالة قبيحة ، فلطف[1] الله به ولم يخرج الا على هيئة جميلة ماشيا وفى خدمته الخاصكية المرسمون[2] عليه وعدتهم ثمانية ، فأنعم عليهم بألفى دينار ومائتى دينار ، هكذا ذكر المقريزى ، وقال العينى : ثلاثة آلاف دينار والله أعلم .

وكان مدة إقامته فى هذا المقعد الذى هو معدّ[3] لجلوس السلطان والرواتب تحمل إليه من السلطان فى كل يوم : سماط من المطبخ السلطانى وكذا الحلوى والفواكه ، والخلق من أصحابه وغيرهم يدخلون عليه ولا يُمنع أحد من الاجتماع به ، حتى إن أمراء الدولة والمباشرين[4] وأعيان المملكة وجميع غلمانه وأصحابه لا يزالون يتناوبون مجلسه كما هى عادته فى أيام دولته وولايته ، وأبلغ[5] السلطانَ أعداؤ عبد الباسط عنه أن معه الإسم الأعظم ، وأن السلطان مايتمكن من عقوبته ولا كلامه لهذا المعنى ،

---

(١) الواردة فى النجوم الزاهرة ٦/١٠٣ عكس هذا فقد ذكر أبو المحاسن أن السلطان أمر به « فأخرج الى البرج على حالة غير مرضية ومضى من المقعد ماشيا الى البرج المذكور وسجنوه به » ورسم السلطان له أن يدفع للرسمين عليه — لما كان بالمقعد وهم ثمانية من الخاصكية — مبلغ ألفى دينار ومائتى دينار فدفعها لهم » .

(٢) فى الأصل « المرسمين » .

(٣) فى الأصل « معدا » .

(٤) فى الأصل « المباشرون »

(٥) فى الأصل « وبلغوا » بتشديد اللام وهو تعبير مصرى دارج .

فأرسل السلطان فى إثر عبد الباسط إلى البرج قراجا العمرى[1] الوالى فنزع جميع ما عليه من الثياب حتى العمامة وألبس غيرها وأحضرها إلى السلطان، ووجد معه قطعة أديم فى عمامته فسئل عنها فقال إنها من نعل النبى صلى الله عليه وسلم، ولما أراد الوالى أخذها منه نهش منها قطعة بأسنانه وابتلعها فى جوفه، وأخذوا خواتم إصبعيه وأوراقا فيها أدعية ونحو ذلك، وأخبروا السلطان بما وقع من قصة الأديم، فردّها إليه وكذا قماشه.

وفى أمسه الذى هو العاشر: قدم الأمير إينال الأجرود نائب صفد، ونزل فى البيت الذى كان السلطان الملك الظاهر — لما كنا فيه [وهو] المجاور لبيت الأمير تمرباى رأس نوبة، وصحبته الأمير طوغان نائب القدس والأمير طوخ أتابك العساكر بغزة، وقد انتقل إلى تقدمة مغلباى[2] الجقمق بالشام فخلع عليهم، وأركبوا خيولا بسروج ذهب وكنبا بوش زركش، وهم فى خدمة الأمير إينال الأجرود.

يوم السبت ثالث عشره الموافق له أول مسرى: نودى على البحر بزيادة خمسين إصبعا لتتمة أربع عشرة ذراعا وإصبعين، وهذا أمر عظيم، ولكن جرى عرس النيل، ولله الحمد والشكر.

---

(١) هو قراجا العمرى الناصرى فرج، وقد ذكر السخاوى أنه أقام فى الجندية حتى استقر به جقمق وهو خاصكى فى ولاية القاهرة عوضا عن دمرداش الأشرفى ثم عزل ثم أعيد إليها مرة أخرى بعد عزل علاء الدين بن الطبلاوى فى شوال سنة ٨٤٣ ثم نفاه جقمق، وكان موته سنة ٨٧٠ هـ، انظر الضوء اللامع ٦ / ٧٢.

(٢) هناك أكثر من واحد يسمى كل منهم بمغلباى الجقمقى، وكلهم غير الذى يعنيه الصيرفى فى المتن ولكن المقصود هو مغلباى الجقمقى جقمق الأرغون شاوى.

وفى هذا الشهر ارتفعت أسعار الغلال فأبيع القمح كل إردب بمائة وتسعين درهما بعد مائة وأربعين درهما ، والشعير أبيع بمائة وخمسين الإردب بعد ثمانين ، والفول بمائتين الإردب بعد مائة درهم . وطمعت أنفس الناس فى شراء الغلال خوفا من أن يغلو بسبب أن أكثر الأراضى كانت شراقى فى السنة الماضية وبما وقع من الفساد من الفار، وبما وقع فى الصعيد من الفتن ورعى أراضيها المزروعة، فلطف الله سبحانه بالبلاد والعباد ، وأجرى النيل جريا سريعا كثيرا ، وانكسرت قلوب الخزانين للغلال ، واطمأنت قلوب العباد فكفوا عن طلب الغلال ، فسبحان اللطيف الخبير ، المتصرف بغير وزير ولا مشير ، لا إله إلا هو .

• • •

وفى هذه الأيام رسم السلطان لصاحب الشرطة بنقل الأتربة التى اجتمعت فى الرميلة ، فنقلت إلى الكيمان .

• • •

رابع عشره : رسم[1] السلطان للأمير أسنبغا الطيارى بإحضار المسجونين من ثغر اسكندرية وهم مصفدون فى الحديد إلى بلبيس ، ويسلمهم إلى أرباب الأدراك ليذهبوا إلى القلاع التى فى البلاد الشامية ، ما خلا قراجا [الجقمقى الأرغون شاوى] الذى كان أحد الأمراء المقدمين فإنه يدعه بسجنه لأنه أوعد بخير ، فأخذ المذكورين وسلمهم لمن أمر بتسليمهم ، وهم : الأمير جانم أمير آخور كبير ، والأمير إينال الذى تقدم ، وعلى باى أمير طبلخاناه وجكم وبيبرس خال الملك العزيز

(١) الوارد فى إنباء الغمر (ج ٤) أن السلطان رسم بإرسال الملك العزيز يوسف بن الأشرف إلى الإسكندرية على طريق البر وذلك بصحبة أسنبغا الطيارى ليسجن بها ، كما أمر فى الوقت ذاته بنقل الأمراء المسجونين بالثغر إلى قلعة صفد ، ثم « بطل العزم عن سجن العزيز واستمر تحويل الأمراء » .

وتنم و يشبك الدوادار وتنبك الفيسى ويشبك و بيرم تجا [أمير مشوى] وأزبك تجا[1] .

وفى هذا اليوم توجه الأمير قانباى البهلوان نائب صفد إلى محل ولايته وكفالته بعد أن حصل له من المقام الشريف إنعام كثير و إقبال عظيم .

ثامن عشره : الذى هو الخميس الموافق السادس من مسرى زاد الله بكرمه فى ماء النيل عشرة أصابع ، فوفى الله وزاد على الستة عشر ذراعا إصبعين ، وهذا من المحاسن والمآثر والنوادر ، فرسم السلطان للأمير يشبك [السودونى] بالتوجه لتخليق المقياس وفتح فم الخليج على العادة ، فركب فى عدة من مماليكه والخاصكية والأمراء العشرات حتى عدّا فى بحر النيل إلى المقياس فخلّقه ، ومُدت له المدة على العادة ، وركب فى مركب آخر وتوجه إلى السدّ ففتح فم الخليج ، وأخلع على والى القاهرة ومن له عادة بالخلع ، مثل أولاد أبى الرداد والرؤساء وغيرهم ، ورجع إلى السلطان فأخبره بذلك فأخلع عليه ونزل إلى داره ، وحضر الأمير أسنبغا الطيارى فى خلال هذه الأيام بمن معه من المسجونين فى اسكندرية إلى بلبيس ومدتهم أربعة عشر أميرا ، وإنما أقول حضر الأمير أسنبغا الطيارى فى خلال هذه الأيام لأن المؤرخين اختلفوا فى يوم حضوره ، فقال قاضى القضاة بدر الدين العينى : « وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من صفر حضر الأمير أسنبغا الطيارى أحد المقدمين بالدّيار المصرية بمن معه من الأمراء المحبوسين فى الإسكندرية » ، وقال الشيخ تقى الدين المقريزى : « فى ثانى عشريه قدم الأمير أسنبغا الطيارى بمن معه من المسجونين بالإسكندرية إلى بلبيس » . انتهى كلامهما رحمهما الله .

(١) راجع فى تحقيق هذه الأسماء النجوم الزاهرة ٦ / ١٠٤ .

ورسم السلطان بإطلاق بيرم خجا من السجن والحديد، لكنه يتوجه إلى طرابلس منفيا ، وأخرج السلطان من برج قلعة الجبل أميرين فضمهما إلى الثلاثة عشر أميرا الذين حضر بهم الأمير أسنبغا الطيارى ، فرسم بسجن سبعة منهم بقلعة صفد عند نائبها المقر الجمالى سيدى يوسف الأزدمرى ، والد سيدنا ومخدومنا وجارنا ونادرة أولاد الناس المجلس الصارمى إبراهيم حفظه الله ورعاه ، وأفاض عليه من الخير وبلغه مناه .

وهذا الشاب أجمع أهل مصر وصفد على كرمه مع انشراح خاطره وبشاشته وحسن خلقه ومراعاته لأصحابه وعرفانه بما ينفع دنيا وأخرى .

و [أما] الأمراء الذين سجنوا بصفد فهم : الأمير إينال [الأبو بكرى الأشرفى] الذى كان دوادارا فى الأيام العزيزية وانتقل إلى التقدمة فى الأيام الظاهرية ، وعلى باى [المشد] شاد الشراب خاناه وأمير طبلخاناه ، وقانى بك [الإينالى المؤيدى] الفيسى ، وأزبك خجا وجرباش [مشد سيدى] ، وحزمان وقانباى اليوسفى ، ومسفرهم الأمير سمام [الحسنى] أحد العشرات ، وكلهم فى القيود الحديد ، وثلاثة أخر إلى قلعة الصبيبة ليسجنوا بها وهم الأمير جانم أمير آخور ، وأبو يزيد[1] خال الملك العزيز ويشبك بشق[2] ومسفرهم ، وخمسة آخرون معهم

(١) أوردته النجوم الزاهرة ٦ / ٤٠٥ س ١٢ باسم « بايزير » لكن إذا رجعنا إلى كشاف الأعلام لنفس المصدر وجدنا عبارة « بايزير من إخوة نوروز » ، نفس المرجع ج ٧ ص ٨٧٥ س ١ ، ثم فى السطر التالى « بايزيد من بابا » ، أما « أبو يزيد » فلم يرد فى هذا المرجع إلا مقصودا به بايزيد بن مراد بك بن أرخان بن عثمان .

(٢) كلمة غير واضحة القراءة فى الأصل ، وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٦ / ١٦٥ س ١٢ .

ليسجنوا فى قلعة المرقب وهم : أزبك البواب وجكم خال الملك العزيز وتنم الساقى ويشبك الفقيه الذى هو من صفر نجا حتى لايشتبه بالأمير يشبك الفقيه الذى [كان] هو دوادارا كبيرا فى أيام الظاهر خشقدم وجانى بك قلقسيز وإينال أخو قشتم [المؤيد] وسافروا فى أتعس ما يكون من الهيئة القبيحة والفظيعة .

تاسع عشرين هذا الشهر : نقل المقر الزينى عبد الباسط من البرج إلى موضع عال مرتفع على مكان يجلس فيه نائب القلعة مطل على المدرج وينظر إلى بعد الصحراء ، وقد أوعد بكل جميل من السلطان بعد أن كان أُوعد بأشياء من العقوبة ، ولله الحمد .

سلخه : الموافق لثامن عشر مسرى زاد الله فى نيل مصر ثلاثة أصابع فتم بهم تسع عشرة ذراعا وأصبعين من عشرين ذراعا ، وهذه زيادة قليلة الوقوع فى ثامن عشر مسرى ، ولله الحمد والشكر .

• • •

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الأربعاء .

سادسه : خلع على الأمير طوخ مازى نائب غزة وعاد إليها بعد أن أكرم وقرب ، وأنعم عليه بجملة من الأموال والخيول .

عاشره : نودى للناس بالسفر إلى الحجاز صحبة الأمير والناظر المتوجهين[1] إلى مكة فى رجب . فسروا بذلك سرورا عظيما .

---

(١) فى الأصل « المتوجهان » .

وفيه توجه محمد الصغير الكاشف بالوجه القبلي ومعه عدة من المماليك والبلاصية[١] ليملكوا أسوان ، وأنفق فيهم الذهب وفرق عليهم السلاح من الزرد خاناة .

ليلة السبت التي هي حادي عشره : سفّر الملك العزيز يوسف بن الملك الأشرف برسباى من سجنه بالقلعة بعد ما أركب فرسا ومعه عدة من الخاصكية المؤيدية وعدة من الظاهرية الجقمقية وقد احتاطوا به كما يحتاط الخاتم بالإصبع ، فأنزلوه الحراقة[٢] ومضوا بها في البحر ووكلوا به عدة من المماليك مع الأمير جانى بك القرماني[٣] ليحتفظ به إلى حين يودعه بسجنها بعد أن رسم أن يرتب له من أوقاف العزيز ألف دينار لكونه مسفّره .

وتوجه معه لخدمته من الجوارى ثلاثة ، وحمل له من أوقافه مال لصرفه عليه بحسب ما يقتضيه الحال . وقرر له على أوقافه ألف درهم في كل يوم ، واجتمع عدة من جوارى بيته وأمه[٤] في هذه الليلة وصرن يندبن ويعددن وهن بين أيدى الخيل ، ثم عدن بعد انحدار مركبه في البحر إلى تربة والده الأشرف وتربة والدته جلبان ، فعملن عزاءً مهولا .

---

(١) عرف بوبر Popper « البلاصى » بأنه جندى جرت العادة أن يكون في خدمة الكاشف ومهمته جمع الضرائب ، انظر النجوم الزاهرة Editor's Note, Vol. VI, P. xiv, ll. 18 - 20

(٢) كان نقله إلى ساحل بولاق حيث أنزل في الحراقة .

(٣) هو جانى بك القرمانى الظاهرى برقوق ، وقد كتب له السلامة بعد الأمر بتوسطه زمن فرج ابن أستاذه ، وحينذاك توجه إلى بلاد ابن قرمان فعرف بالقرمانى ومن العجب أنه أحد المجردين إلى بلاد ابن قرمان ، ومات سنة ٨٦١ هـ .

(٤) في الأصل « جواريه وأمه » .

حادى عشره : خلع على شمس الدين أبى المنصور[1] [القبطى] كاتب اللالا واستقر ناظر الإصطبلات عوضا عن زين الدين يحيى[2] [بن عبد الرزاق الأشقر] قريب ابن أبى الفرج وقد سعى فيها ، ووعد بمال يحمله للخزائن الشريفة .

يوم الأحد ثانى عشره : عمل المولد النبوى — على صاحبه أفضل الصلاة والسلام — بين يدى السلطان بالحوش ، واجتمع الأمراء والعساكر والقضاة والقراء على العادة ، وعملت المدة العظيمة والمشروب .

وفى ثامن عشره : رسم بنفى عدة من المماليك الأشرفية إلى البلاد الشامية ، وبرز المرسوم الشريف أيضا بنفى القاضى ناصر الدين الشنشى[3] الحنفى وولده الكبير خير الدين [محمد] والقاضى عز الدين الهساطى المالكى والترسيم عليهم[4] إلى قوص وذلك بسبب ما شكاه الناس من أحكامهم الجائرة، فشُفع فى عز الدين الهساطى فاعفى ، وتوجهوا بالشنشى وولده . ولايظلم ربك أحدا .

وفى سابع عشره [وهو] خامس أيام النسىء : نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا ، وهذه الزيادة قبل النوروز مما يندر وقوعه ، ولله الحمد .

(١) وكان يعرف أيضا « بالوزة » وهذا ما سماه به أيضا الصيرفى فيما بعد ، على أن السخاوى سماه فى الضوء اللامع ١٠ / ٥٥٤ « بابن كاتب الورشة » ، والصحيح أنه هو « الوزة » بدليل قول أبى المحاسن حين عرض لنظار الاصطبل السلطانى بعد عزل زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبى الفرج فقال معرضا بالأخير « وأى فخر أو سابق ناصه لمن يتولى بهذا الوزة » .

(٢) هو يحيى بن عبد الرازق القبطى ويعرف بالأشقر وبقريب ابن أبى الفرج ، وقد مارس الخدمة فى الديوان على أيدى الكتاب القبط ، وقد كثرت ديونه لاستيفاء حاجات الديوان المفرد ، انظر ترجمته بالتفصيل فى الضوء ١٠ / ٩٨٣ .

(٣) هو ناصر الدين عمر بن محمد بن موسى بن عبد الله الحنفى وكانت وفاته سنة ٨٥١ ، أما ابنه خير الدين فكانت وفاته سنة ٨٧٣ هـ .

(٤) فى الأصل « عليهما » .

ووصل الخبر بأن عدة من الفرنج فى أربعة شوان قاربوا ثغر رشيد واختطفوا بقرا وغنما وغير ذلك ، فرسم للأمير شادبك الظاهرى ططر وللأمير أسنبغا الطيارى وهما من المقدمين الألوف أن يتوجها لدفع هؤلاء الكفرة ، وأنعم على كل منهما بخمسمائة دينار ، فركبوا السفن بمقتهم وعددهم وانحدروا فى البحر . فأما الطيارى فرمى بالنفط والمكاحل على الفرنج فعاد الرمى على مركبه فأحرق كثيرا من الآلات وبعض الناس وكادوا [أن] يهلكوا حتى أن أسنبغا الطيارى ألقى فى البحر من مركب صغير وسار .

وفى العشرين منه : حضر بيبرس [بن نمير] إلى أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى الفتح داود ، وترامى عليه وتعلق بأذياله بسبب هرو به من السلطان ، وصحبته الأمير بيبرس بن نمير وشفع فيه ، فقبلت شفاعته ولم يحدث عليه سوء .

وفى العشر الثالث من هذا الشهر : رسم للقاضى زين الدين [عبد الباسط] أن يتوجه إلى مكة المشرفة بأهله وأولاده وحريمه وأخذ فى هيأة السفر .

وفى هذه الأيام وردت مطالعات الأمير آقبغا التمرازى نائب الشام مضمونها شكواه على بهاء الدين محمد بن حجى قاضى القضاة وكاتب السر بدمشق ، وأنه ظلم أهل المدينة ، فرسم بعزله و إخراجه من دمشق إلى القدس ، ثم رسم له بنظر الصلاحية بالقدس وتدريسها عوضا عن عز الدين المقدسى ، ورسم للأمير يلبغا الجركسى رأس نوبة أن يتوجه للشام ويكشف عن قضية ابن حجى وغيره من أرباب الوظائف .

ووصل الخبر أن الأمير آقبغا التركمانى الناصرى نائب الكرك لما قدم عليه جابر أمير بنى عقبة وهو لابس الخلعة السلطانية من الأبواب الشريفة نزعها عنه وقتله .

وفى سلخه : خُلع على القاضى زين الدين بن السفاح خلعة الرضا لأنه قدم قبل هذا تقدمة سنية قيمتها خمسة آلاف دينار ، وكان قدومه القاهرة فى تاسع عشره ، وقدم لأرباب الوظائف ، وتكلف كلفة كبيرة فساعدوه ، ورسم لخمسين نفر من المماليك السلطانية بالسفر فى خدمة القاضى زين الدين عبد الباسط إلى مكة حفظا لجنابه ، وأقيم عليهم رأس منهم .

* * *

شهر ربيع الآخرة

أهل بيوم الجمعة : خلع فيه على شهاب الدين أحمد بن العجلونى موقع الأمير أركماس الظاهرى الدوادار الكبير كان ، واستقر كاتب السر بدمشق عوضا عن [بهاء الدين محمد] بن حجى بحكم عزله لما صدر عنه من الموجب لذلك ، ورسم بإعادة نظر الصلاحية لعز الدين عبد السلام وكذا تدريسها من ابن حجى ، وأن يحضر هو إلى القاهرة ، ورسم لصلاح الدين خليل بن محمد بن محمد بن محمود ابن السابق[1] كاتب سر حماة أن يستقر ناظر الجيش بحلب عوضا عن سراج الدين عمر بن أحمد بن السفاح .

(١) فى الأصل « ابن سابق » وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة ترجمته الواردة فى الضوء اللامع ٣ / ٧٦٧ حيث قال « يعرف بابن السابق » وكان مولده بحماة بعد سنة ٧٨٠ هـ ، وكانت وفاته سنة ٨٥٩ هـ ، أما السراج بن السفاح فقد ولد فى سنة ٧٩٥ بحلب وكثر دخوله القاهرة ، وقد وصفه السخاوى فى الضوء ٦ / ٢٣٠ بأن « اشتغاله بالعلم كان قليلا » « وكان عاريا منه » ، وكان موته سنة ٨٦٦ هـ .

ثانيه الذى هو يوم السبت: خلع على زين الدين بن السفاح واستقر ناظر الجيش بدمشق عوضا عن جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى .

وفيه ـ وهو رابع عشر توت[1] ـ انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا وعشر أصابع .

سابعه : أنفق السلطان فى المماليك المجردين إلى مكة المشرفة صحبة القاضى عبد الباسط خمسين أشرفيا كل واحد ، سوى الخيول والجمال .

وفيه خلع[2] على الشيخ شمس الدين محمد بن إسماعيل بن محمد الونائى واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بالشام عوضا عن البهاء بن حجى بسؤال السلطان له فى

---

(١) فى الأصل «مسرى» ولكن يستدل من جدول سنة ٨٤٣ فى التوفيقات الإلهامية ، ٤٢٢ على أن «الجمعة أول ربيع الثانى يوافق ١٢ توت سنة ١١٥٦ ق (١١ سبتمبر ١٤٣٩ م)» . هذا وقد ورد فى نفس المرجع والصفحة أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة كانت قيراطا وعشرين ذراعا .

(٢) فسر ابن حجر سبب هذا التعيين بأنه وردت إلى السلطان مطالعة من نائب الشام تتضمن الشكوى من القاضيين الشافعى والحنفى ، فلم يكن من السلطان إلا أن عزلهما معا ، وكان عزله بهاء الدين بن حجى من كتابة السر بدمشق ومن قضاء الشافعية بها ، واستقر فى قضاء الشافعية بها مكانه الشمس الونائى . أما قضاء الحنفية بدمشق فتولاه بعض المصريين . وكان الشمس محمد بن إسماعيل ابن محمد بن أحمد الونائى صعيدى الأصل وإن كان مولده فى بساتين الوزير من ضواحى القاهرة سنة ٧٨٨ ، وتعلم علوم عصره من حفظ القرآن والعربية والفقه والنحو ثم كبر فتكسب بالشهادة ولكنه مالبث أن تركها وتصدى للاشتغال والإفادة ، ودرس بالصلاحية بالقدس ، ثم اختاره جقمق لقضاء دمشق «فأجاب بعد شدة تمنعه واختفائه» على حد قول السخاوى ، وكان الونائى شديد الحرص على كرامة المنصب حتى إنه لما عاد لقضاء دمشق للمرة الثانية عاد إليه بعد «تمنع وتعالل واشتراط منه لإعادة ما أخذ من القاضى من الوظائف ، فأجيب» .

ذلك، وأنعم عليه بخيل و بغال و جمال، ورسم للقاضي كاتب السر بتجهيزه والقيام بكلفته .

ومولد الشيخ شمس الدين في شهر شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، بقرية من أعمال الفيوم تسمى وفا ، ثم نشأ وقدم الفيوم فاشتغل بالعلم من عام سبع وثمانمائة ، وكان بارعا في الفقه والنحو ويتكسب من الشهادة وتحملها زمنا طويلا ، ثم صار له شهرة ، ونبغ وارتفع قدره فتصدّى للاشتغال ، فأقبل عليه الناس وصحب جماعة من أعيان الدولة الأشرفية ، منهم الأمير جقمق ، فلما تسلطن تردّد إليه ولازمه في مجلسه حتى ولاه الشام — كما قدمنا ذلك — بغير سؤال ، ونعم ما صنع جقمق — رحمه الله — فإنه كان عالما خيرا دينا .

يوم الأحد عاشره : استدعى السلطان أولاد القاضي زين الدين عبد الباسط الثلاثة ، فأخلع على أبي بكر[1] — الذي هو أكبرهم — كاملية مخمل بسمور ، والاثنين بحرير بقاقم ، وشقوا المدينة ودخلوا دورهم مسرورين فرحين .

ثاني عشره : استدعى السلطان القاضي زين الدين عبد الباسط ، و [كان] رسوله الذي استدعاه [هو] الأمير قانباي الجركسي ، وكان طلبه من سجنه بعد

---

(١) كان مولده سنة ٨٢٤ ونشأه أبوه نشأة علمية طيبة فأقرأه كثيرا من كتب اللغة والفقه ، وإذا كانت قد نزلت به هذه النكبة بسبب غضب جقمق على أبيه فإنه سرعان ما استرد مكانته حتى أنه في زمن الأشرف قايتباي تحدث في الجوالي الشامية والمصرية معا ، وقد ذمه السخاوي (الضوء ١١ / ١١٠) فقال في عبارة مؤلمة « كان زائد الإسراف على نفسه راغبا في تقريب الأطراف وذوي السفه ، نافرا من الفقهاء والطلبة ، مظهرا مقت من لا يخاف جاهه الدنيوي منهم ، بذيء اللسان ...... وكان يرمى بأمر فظيع » ، وكانت وفاته سنة ٨٨٦ .

الظاهر ، فدخل فى جمع كبير من أعيان الدولة إلى السلطان فأكرمه[1] وأجله وعظمه وبالغ فى تعظيمه ، وأخلع عليه وعلى مملوكه الأمير جانى بك الأستادار كان ، ونزل من القلعة وقد ركب فى خدمته أعيان المملكة ، فاجتمع أهل القاهرة ومصر لرؤيته فكانت المدينة أعظم من يوم المحمل فرحا به وبخلاصه ، فلم يتوجه إلى داره وإنما توجه إلى تربته بالصحراء ، ليتوجه لسفر الحجاز بأولاده ونسائه وأتباعه وغلمانه ، وذلك بعد أن حمل للذخيرة الشريفة من النقد خاصة مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار ، ومن الجواهر — كاللؤلؤ الحب الكبار والقطع البلخش والقطع الماس والتحف — أشياء لا يحصر قدرها لعظم شأنها ، وكذا من الخيول والهجن والبغال والجمال ، وأما الغلال فنحو الثلاثمائة ألف إردب غلة . وكفاه الله السوء ، ودفع عنه بهذا المال فلم يسمع شيئا من الأشياء المكروهة . وهو فى غضون هذا الأمر يتردد إليه أعيان المملكة كالمقر الجمالى البارزى وبقية المباشرين وأمراء الدولة ، وهو فى غاية ما يكون من الشهامة والضخامة ، حتى قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « لا أعلم أحدا رأى من الإجلال والاحترام فى أيام نكبته ما رآه » ، وقدم له الأعيان من المباشرين وأمراء الدولة : الأموال والخيول والجمال والسكر والحلوى وغير ذلك ، وساعده الشيخ شمس الدين والكاتب[2] — فى الباطن والظاهر ، وكذا الشيخ ولى الدين السفطى وكذا من الأمراء عدة ، منهم الأمير قانباى الجركسى ، وما مكن من نزول القلعة إلى أن حضر إليه قاضى القضاة بدر الدين التنسى المالكى وأشهد عليه

---

(١) كان مما أكرمه به السلطان أنه خلع عليه خلعة الرضا ، وهى جبة سمور ، كما أذن له بالسفر إلى مكة .

(٢) يقصد الصيرفى بكلمة « الكاتب » نفسه ، فإن صح ذلك كان هذا دليلا على اشتراكه — بصورة أو بأخرى — فى أحداث هذه الفترة .

بحضوره أن جميع ما حمله من الأموال وما أخذ منه من الغـلال وماقدمه من التحف والخيول والمعجن والجمال والبغال : الكل من مال السلطان ويستحقهم بيت المـال من ذمته ، فحكم بذلك ، والله الولى والمـالك .

ثالث عشره : عزل شمس الدين نصر الله الوزة كاتب الأمـير جوهر اللالا من نظر الاصطبل السلطانى بعد أن حمل ممـا التزم به سبعمائة دينار وسعى فى الوظيفة ، وقـد وعد بمـال تاج الدين محمد بن نور الدين على بن القلانسى الفوى ، فقبل وأخلع عليه صبيحة يوم الجمعـة وقت رحيل القاضى عبد الباسط من تربته بالصحراء ونزل ببركة الحاج وهو فى جمـع عظيم وركب جسيم من ممـاليكه وغلمانه وأصحابه وأتباعه ، والخمسين مملوكا من المماليك السلطانية الذين أنفق عليهم ، ثم استقل بالمسير فى يوم الاثنين ثامن عشره .

خامس عشريه : عزل ناصر الدين محمد بن أحمد بن سلام عن ولاية دمياط وسببه أن جماعة من المطوعة ركبوا البحر يريدون الغزاة، فساروا من دمياط حتى وصلوا على بيروت فأرسوا بها ، وهم فى ثلاثة مراكب ، وقد اجتمع عليهم عدد كبير من المجـاهدين ، وإذا بمراكب الفرنج قـد وصلت مشحونة من أربعة مراكب ، فاقتتلوا معهم قتالا شديدا حتى استشهدوا بأجمعهم ، ولم ينج منهم إلا طائفة البحارة لأنهم ألقوا أنفسهم فى البحـر ، واستولى الفـرنج على مراكب المسلمين وما فيهـا وذهبوا ، فوصل الخبر إلى أهل دمياط وإذا بأهل القتلاء قد ناحوا وصرخوا وأظهـروا العـزاء والنحيب والبكاء والمأتم ، بحيث أن هذه

المصيبة عمت أهل البلاد بأمرهم، فانتدب شخص من نصارى دمياط وتجارها، فإنه رأى ما دخل على الناس من المصائب فلم يلتفت لمساهم فيه وعمل فرحا، وطبخ فيه عدة ألوان من الطعام، وجمع عليه عدة من المنافقين، وأظهر المسرة بما وقع فى المسلمين والشماتة بهم، وكان قبل هذا متهما عند أهل دمياط بأنه يكاتب الفرنج ويغريهم على ضرب المسلمين ويؤلبهم عليهم ويخبرهم بعوراتهم، فلما رأى[1] عوام دمياط فعل هذا النصرانى وشماتته بهم ومسرته وإظهار ذلك وثبوا عليه وقبضوه وأخرجوه وادّعوا عليه عند القاضى بأمور، وأقاموا عليه بينة توجب بإراقة دمه، وما بقى إلا أن يحكم القاضى. فلما تيقن [النصرانى] أنه هالك أظهر الشهادتين من لفظه، ورمى عمامته الزرقاء ولبس عمامة بيضاء، وانتصب ابن سلام لمساعدته بسبب مال قد وعده به، فخلصه منهم، فضج[2] العامة وتعصبوا وقتلوا النصرانى الأسلمى وحرقوه فى النار، وهرعوا إلى كنائس النصارى فنهبوا ما فيها، فتحامق ابن سلام وانحرف وانزعج، وزاد حنقه وكتب إلى السلطان وإلى ناظر الخاص وإلى أعيان المملكة وشنع، وقال إن التجار والعوام كسروا حرمة السلطان، وقتلوا رجلا نصرانيا بعد أن أسلم، ونهبوا كنائس النصارى وقد تعطّل المستخرج، فاحتد ناظر الخاص وازداد غضبه وأعلم السلطان بما جرته الحال، فغضب السلطان على أهل دمياط وجهز ثلاثين مملوكا صحبة بعض الأمراء ليمسكوا تجار دمياط وأعيانها فدخلوها وقد سبقهم الخبر، فهرب غالب أهلها، وتركوا دورهم ومن ليس له قوة على الفرار.

---

(١) فى الأصل « رأوا ».

(٢) فى الأصل « فضجوا ».

هذا ومكاتبات ابن سلام تتواتر بتحريض السلطان على أخذ أموال التجار من دمياط، حتى أن السلطان عزم على الفتك بهم، ولولا لطف الله تعالى وجماعة أعيان المملكة [أنهم] صاروا يطفئون الفتنة، و يقبّلون أيادى السلطان و يسألونه (١) فى الصفح عنهم والعفو حتى رجع عن قتلهم، واتضح له الأمر وعرف الخبر، فرجع عما كان اعتزم عليه وعزل ابن سلام، والسلام.

خامس عشريه : وصل أحد حجاب دمشق (٢) وعليه سيف (٣) الأمير آقبغا التمرازى وأخبر بموته فجأة، وذلك أنه لعب الرمح فى الميدان وطال لعبه هو والمماليك، ثم استند إلى جانب حائط وطلب ماء يشربه، فلا ندرى أشرب أم لا.

سادس عشره : رسم للأمير جلبان الكمشبغاوى نائب حلب باستقراره فى نيابة الشام وعين مسفره الأمير دولات (٤) باى الدوادار الثانى، و رسم للأمير قانباى الحمزاوى نائب طرابلس بنيابة حلب عوضا عن جلبان [الكمشبغاوى]، وعين

(١) فى الأصل « و يسأله ».

(٢) هذا الحاجب هو الأمير تمراز المؤيدى، راجع فى تحقيق ذلك أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ / ١٠٧ ص ٩، وكان تمراز هذا قد استقر حاجبا بدمشق فى السنة الماضية، فلما كانت هذه السنة (أعنى سنة ٨٤٣) أصبح مقدما بها، وكانت وفاته سنة ٨٤٨، راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ١٥٥.

(٣) هذا تعبير يستعمله الصيرفى بمعنى أنه دخل وعلى يده سيف الراحل.

(٤) هناك كثيرون ممن يسمون « بدولات باى » ولكن المقصود فى المتن هو دولات باى الجركسى المحمودى المؤيدى الذى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٢ / ٨٢٧، وذكر أن ابن الظاهر جقمق جعله دوادارا ثانيا فى أوائل مباشرته، وكانت وفاته ٨٥٧، وقد ترقى دولات باى الجركسى المحمودى المؤيدى هذا فى الخدم السلطانية فصار أمير حاج المحمل الأول سنة ٨٢٩، ثم أصبح أمير مائة مقدم ألف فدوادارا كبيرا.

مسفره الأمير أرنبغا الناصري[1] اليونسي أحد رءوس النوب ، ورسم للأمير برسباي [الناصري] حاجب الحجاب بالشام أن يستقر في نيابة طرابلس ، وعين مسفره الأمير سودون المحمدي [المؤيد شيخ] المعروف بايمكجي[2] (وقيل بالشين عوض الجيم) وأن يستقر حاجب الشام الأمير سودون النوروزي حاجب حلب ، وأن يستقر الأمير سودون المؤيدي حاجب حماة في الحجوبية الكبرى بحلب ، وأن يستقر الأمير جمال الدين يوسف نائب خرت برت المعروف بابن قلندر في نيابة ملطية عوضا عن الوزير خليل الذي كان نائب سكندرية ، ورسم لخليل المذكور أن يستقر أحد الأمراء المقدمين الألوف بدمشق عوضا عن الأمير ألطنبغا الشريفي ، ويستقر الشريفي أتابك حلب عوضا عن الأمير قطج [من تمراز الظاهري] ، وأن يحضر الأمير قطج إلى القاهرة ، وجهزت تقاليدهم وتشاريفهم في سابع عشرين ، وخلع على المسفرين المذكورين في هذا اليوم .

وانتهت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء — أعني ثبتت — سابع عشريه الموافق له ثامن بابه — سبع أصابع من عشرين ذراعا وهذا لم يعهد من عدة سنين أن زيادة تنتهي على هذا التاريخ من شهور القبط .

وذكر الشيخ بدر الدين العيني في تاريخه أن الأمير قطج أتابك العساكر بحلب حضر إلى القاهرة .

(١) منطوق هذا الاسم في الضوء اللامع ٢ / ٨٤٠ بضم الهمزة وإن لم تكن هذه هي ترجمته ، على أنه هو أرنبغا اليونسي الناصري فرج الذي صار أمير عشرة ورأس نوبة زمن الأشرف برسباي وجعله جقمق من جملة الطبلخانات ومات سنة ٨٥٧ ، انظر أيضا الضوء اللامع ٢ / ٨٤٢ .

(٢) كان موصوفا بالشجاعة وحسن السيرة وسلامة الباطن والحشمة والكرم ، ومات سنة ٨٥٣ ، انظر الضوء اللامع ٣/ ١٠٨٥ حيث عرف الايمكجي «بالخباز» ، ولكنه في حوادث الدهور ، ج ١ ص ١٨٦ « أتمكجي » .

يوم الجمعة سلخه : خُلع على محمد الصغير نديم السلطان واستقر في ولاية دمياط على عادته عوضا عن ابن سلام .

• • •

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم السبت .

فيه أشهر النداء : من أراد التوجه إلى مكة فليتجهز صحبة الأمير[1] الناظر في نصف رجب .

عاشره : برز المرسوم الشريف للأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير علاء الدين على بن الأمير إينال أن يتوجه لقتال عربان بلى الذين هم بدرب الحجاز، وعُين صحبته خمسون مملوكا .

خامس عشره : استقر الأمير مازى [الظاهرى برقوق] أحد الأمراء المقدمين الألوف بالشام في نيابة الكرك عوضا عن الأمير آقبغا [من مامش] التركماني [الناصرى]، بعد أن رُسم بالقبض عليه وسجنه بقلعة الكرك لما صدر منه من الذنب الشنيع[2] .

وفيه خُلع على الأمير محمد الصغير والى قوص واستقر نائب الوجه القبلى عوضا عن أركماس الجاموس .

يوم الخميس الثالث عشر منه : خُلع على الأمير شادبك [الجكمى] أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية واستقر أمير الحجيج بالقاهرة .

---

(١) كان الأمير إذ ذاك هو شاد بك الجكمى .

(٢) لم تطل ولاية آقبغا من مامش لنيابة الكرك حيث قبض عليه لتمادايه الخمر، وكانت وفاته في هذه السنة بعد قليل من إطلاق سراحه من حبسه بقلعة الكرك ، راجع الضوء اللامع ٢ / ١٠٠٩ .

سابع عشره : حضر صاحب سكندرية وعليه سيف الأمير يلبغا البهائى نائبها .

عشرينه : خلع على الأمير أسنبغا الطيارى أحد المقدمين الألوف بالقاهرة واستقر فى نيابة سكندرية واستمر إقطاعه بيده[1] .

ثانى عشرينه : سافر الأمير أسنبغا الطيارى إلى محل ولايته بالاسكندرية .

خامس عشريه : برز المرسوم بالإفراج عن الأمير قراجا الأشرفى وأن يحضر إلى القاهرة ليستقر أميرا كبيرا بحلب عوضا عن الأمير قطج .

* * *

شهر جمادى الآخرة

أهلّ بيوم الأحد :

فى خامسه - قيل فى سادسه -[2] وصل رسل القان معين الدين شاه رخ بن تمرلنك ملك المشرق وأنزلوا فى بيت الأمير أيتمش المجاور لجامع سرور، وأجرى عليهم من الرواتب ما يكفيهم .

وفى ثامنه : قدم الأمير قراجا الأشرفى من سجن اسكندرية فخلع عليه واستقر أتابكيا بحلب ، وتوجه لها فى ثانى عشره .

وفى ثانى عشره : أحضر رسول القان شاه رخ بين يدى السلطان فى القصر وعليه كتاب[3] مضمونه أنه بلغه موت الأشرف وجلوس الملك الظاهر على تخت

(١) كان إقطاعه تقدمة ألف بمصر ، راجع النجوم الزاهرة ٧ / ١٠٨ ، ص ١٥ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة أن وصول رسل القان شاه رخ بن تيمور لنك إلى القاهرة كان أول جمادى الأولى .

(٣) فى الأصل « كتابا » .

الملك، فسر لذلك وأراد أن يكون على بصيرة منها ليهادى السلطان، فأكرم ودعم بكتابة جوابه .

وفى هذا الشهر وصل الخبر أن أصبهان بن قرا يوسف التركمانى صاحب بغداد حصل بينه وبين يوسف بن عليان أمير العرب بالعراق قتال عظيم، وانهزم فيه أصبهان أقطع هزيمة ، واستمر فى هزيمته إلى بغداد فوجدها خرابا يبابا ، ولم يبق منها من أهلها إلا الضعفاء والعاجزون .

عشرينه : قبض السلطان على مجد الدين بن النحال المصرى كاتب المماليك، وسجنه بالبرج من قلعة الجبل، وطلب منه خمسة عشر ألف دينار .

* * *

شهـــر رجب

أهلّ بيوم الثلاثاء .

فيه خرجت أثقال الأمير قانى بك المحمودى أمـير الرجبية ومقدم المماليك المتجردين إلى مكة ونزلوا ببركة الحاج، فتلاحق بهم المسافرون، واستقل [قانى بك] بالمسير بمن معه من البركة فى خامسه .

يوم الاثنين رابع عشره : أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، بل زاد السلطان فى عدة المماليك الصغار الذين يلعبون الرمح عِدة عما كانوا عليه فى الأيام الأشرفية وزيادة ، مع أن حال الناس والمسلمـين فى هذه الأيام كان فى غاية الأمن والسلامة ولم يحصل فيهـم بحمـد الله شىء[1] من الشناعات التى

(١) فى الأصل « شيئا » .

كانت تحصل فى أيام الأشرف من فساد المماليك وخطفهم وجورهم ، والحمد لله .

وفيه — أو فى الذى قبله — وصل سيف الأمير طوخ مازى نائب غزة ، واستقر عوضه فى نيابة غزة الأمير طوخ [الأبو بكرى] المؤيدى أحد الأمراء المقدمين الألوف بالشام ، وأنعم بتقدمته على الأمير تمراز المؤيدى أحد الحجاب بدمشق ، وأنعم بالحجبة على الأمير برسباى أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق .

عشرينه : وصل الأمير دولات باى [المؤيدى الجركسى] الدوادار الثانى من الشام ، وقد حصّل فى هذه السفرة أموالا جمة من سائر الأعيان بها .

حادى عشرينه : عاد الأمير شهاب الدين أحمد [بن على] بن إينال ومن معه من المماليك السلطانية و بيبرس بن بقر وعربانه من التجريدة التى توجهوا بها إلى عربان بلى بدرب الحجاز ، وصحبته — على رواية — ثلاثة عشر رجلا مسمّرين من العرب ، وفى رواية أحد عشر .

فالشيخ بدر الدين العينى ذكر أنهم ثلاثة عشر رجلا ، والشيخ تقى الدين المقريزى ذكر أنهم أحد عشر ، والعلم عند الله . فأشهروا بالقاهرة ووسطوا وذلك لما صدر منهم من الفعل الفظيع الذى لم يقع للحجاج نظيره ، وهو أنهم أغاروا عليهم ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم فى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، فاحتاج السلطان أن قابلهم على صنيعهم .

* * *

وأما خبر [أحمد بن على] بن إينال فى تحصيل هؤلاء الموسطين وغيرهم فإنه لما سافر من بركة الحجاج التقى بالشريف عقيل أمير ينبع المعزول وكان قد كتب له السلطان بمساعدة المجردين ووعده بأن يستقر به على عادته إن ساعدهم

على بَلَى ، فأرسل أخاه ليأتى بالأكابر منهم وكاتبهم أن يطيعوا السلطان فلم يأمنوا له ، وتوجه هو وابن إينال ومن صحبه من المماليك والعربان حتى دهموا القوم ومسكوا منهم الذين تقدّم ذكرهم ، وانهزم الباقون ، فوقع النهب فى خيامهم وبيوتهم ، وحملوا ما استطاعوا حمله ، وخرجوا من أوديتهم ، وتوجه من المماليك السلطانية إلى المدينة الشريفة ثلاثون فارسا عوضا عن المماليك المجردين مع الأمير خشقدم المقدّم ، وقدم من المماليك المتوجهة صحبة الأمير سودون المحهز إلى مكة المشرفة خمسون فارسا ورجعوا إلى مصر .

• • •

شهر شعبان المكرم

لما كان يوم السبت الحادى عشر منه[1] خُلع على القاضى بهاء الدين محمد بن عمر بن حجى واستقر ناظر الجيوش المنصورة بدمشق عوضا عن سراج الدين عمر ابن السفاح ، وجهز لابن السفاح المذكور تشريف بأن يستقر ناظر الجيش بحلب على عادته فى الأيام الأشرفية ، عوضا عن صلاح الدين بن سابق .

وفيه خُلع على جمال الدين يوسف بن أحمد بن الباعونى واستقر قاضى القضاة الشافعية بطرابلس عوضا عن ابن الزهرى ، وكان قد وليها ولم يصل إليها بخلعته مع ماوزن ، وكذا الذى أخذ عنه زاد عليه . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

• • •

وفى غضون هذه الأيام وصل الخبر بأن دوكات[2] بيلان — يعنى صاحب بيلان — وهى طائفة من الفرنج تعادل مملكة البندقية ولم يزالوا يقاتلونهم ،

---

(١) فى الأصل « الحادى والعشرين » .

(٢) ضبطها الصيرفى فى الأصل بفتح الدال وسكون الواو ، والمقصود بها لفظ « الدوق » الافرنجى DUKE فأما اذا جاءت الاشارة الى البندقية أو جنوة فيسمى بالدوج Doge .

ولدوكات هذا ملك واسع ومملكة ضخمة وله حرمة مع أنه لم يشهر بالعقل والمعرفة ، وهو الذى تملك جنوة مدة سنين ثم انتزعت منه فى سنة أربعين وثمانمائة ، فلما كان فى هذه الأيام كاتب البابا برومية يسأله ويتدخل عليه ويرغب إليه أن يجتمع عليه فى محفل يجتمع فيه القسيسون والرهبان وأعيان الروم والفرنج ليتفقوا على أمر فى دينهم يعتمدونه(١) بينهم ، فأجابه إلى ما سأل وساروا جميعا حتى توافوا على « فرارة » وهى على طرف مملكة دوكات بيلان بجوار مملكة فرنتين ، وذلك فى فصل الصيف وفصل الخريف ، ثم افترقوا وعاد كل منهم إلى وطنه ، فبينما الدوك سائر إذ طرقه البنادقة على حين غفلة فكانت بينهما وقعة شديدة عظيمة ، قتل فيها خلائق لا يحصون ، وانهزم دوكات أقبح هزيمة وفنيت عسكره : معظمه بالقنا ، ونهبت أمواله وأموالهم ، والحمد لله على ذلك ، فإن اجتماعه بالبابا ما كان إلا بسبب محاربتهم للمسلمين ، وكان هو الذى يؤلب الفرنج على هذا ، فكفى الله شره .

• • •

ثالث عشره : خُلع على القاضى علاء الدين على بن محمد المعروف بابن خطيب الناصرية واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضا عن ابن الجزرى .

• • •

شهر رمضان المعظم

أهلّ بيوم الجمعة .

الأسعار وأخبارها وأثمانها :

(١) فى الأصل « يعقدوه » .

فالقمح بثلاثمائة وستين درهما للأردب ، والبطة الدقيق بمائة وعشرة دراهم ، وأما اللحم الضأن فلا يوجد بالأسواق لا بدرهم ولا بدينار ، وكذا عزّ وجود السمن والعسل ، هذا مع زيادة البحر وثباته ، ومع هذا فما أنجب الزرع .

حادى عشره : صُرف معين الدين عبد اللطيف بن الأشقر عن كتابة السر بحلب ، وأضيفت لسراج الدين عمر بن السفاح مع نظر الجيش لكن بعد أن وزن ستة آلاف دينار .

وبرز المرسوم لصاحب الشرطة أن يستخدم عنده مئة ماش ، وأن يكون منهم سبعون بين يديه ، والباقون يركضون فى خدمته .

وكثرت القالة بأن أهل الدولة فى اختلاف ، والله وَلىّ الألطاف .

• • •

ووصل الخبر من الشام بأن عوامها رجموا[1] الأمير جلبان الكمشبغاوى النائب بها وصار منهزما منهم حتى دخل دار السعادة ، فاحتدّ السلطان وحنق واشتد غضبه على عوام دمشق .

ولما كان يوم الأحد رابع عشريه استدعى السلطان أمراء الدولة وأعيان المملكة وقضاة القضاة ، فحضر الحنفى والمالكى ، فقرئ المحضر المجهز من عند جلبان برجم عوام دمشق له ، وصار السلطان يعدّد لهم ذنوبا والأمراء يراجعونه[2]

(١) ذكر ابن حجر فى إنباء الغمر سبب ثورة العامة على نائبها بأن أحد خدمه واسمه عبد الرازق كان قد احتكر اللحم ذبحا وبيعا مما أدى إلى ارتفاع سعره مع احتياله على شراء الغنم بالسعر البخس ، فثار عليه العامة فغضب ، لحبس البعض منهم ، إلا أن البعض الآخر هاجموا السجن وأطلقوا سراح زملائهم ، وترامى الخبر إلى السلطان فجمع الأمراء والقضاة يوم ٢٤ منه كما هو فى الخبر التالى الوارد فى ص ١٧٢ س ٦ وما بعده .

(٢) فى الأصل « يراجعوه ويسألوه » .

فيهم، ويسألونه العفو عنهم والتثبت فى أمرهم ، إلى أن تقرر الأمر أن يجهز للنائب تشريف وفرس بسرج ذهب وقماش ذهب ، وأن يكتب بالإنكار على العامة تهديدهم وإرجافهم وتبكيتهم ، ثم إن شيخ الاسلام ابن حجر والقاضى محب الدين الحنبلى طلعوا[1] بعد أن انفض المجلس وسألوا السلطان فى الاجتماع ، فلم يؤذن لهما وغضب عليهما .

وسبب رجم العامة لجلبان نائب دمشق أمور[2] منها أن تجار الغنم الواردين إلى دمشق طلبهم النائب واشترى منهم أغناما ولم يعطهم الثمن وقال لهم : «اسقطوا الثمن من المكس الذى عليكم لى» فرضوا بذلك .

ثم إنهم وصل لهم غنم فأخذ مكسها منهم ولم يحاسبهم بما أخذه من الغنم ، فقطعوا اللحم عن المدينة ثلاثة أيام متوالية ، فضج الناس واجتمعوا ، فرجموا الأمراء والقضاة ، حتى إن بعضهم تسلق الجدران ، ووصل الرجم إلى دار السعادة ، حتى إن العوام طلعوا موضع الطبلخاناه وصاروا يدقون بها حتى اجتمع أهل دمشق ، فكان يوما مهولا ، ولولا القضاة تلطفوا مع العوام ما حصل خير .

• • •

وفى هذا اليوم صرف قاضى القضاة الونائى[3] عن قضاء الشام واستقر فيها عوضا عنه ابن قاضى شهبة وجهز له التشريف والتقليد ، وكتب للأمير إينال الششمانى

---

(١) فى أسلوب المؤلف هنا تضارب بين استعمال المثنى والجمع فى هذه العبارة حتى نهايتها .

(٢) فى الأصل «أمورا» .

(٣) كان السبب فى صرف الونائى عن قضاء الشافعية بدمشق هو ما رماه به نائب الشام من أنه كان علة لتسلط العامة .

والأمير ألطنبغا الشريفى بأن يحضرا إلى جامع بنى أمية ويقرأ كتاب السلطان على أهل دمشق فيه[1] .

وفى هذا الشهر ختم مجلس البخارى بالقصر السلطانى بقلعة الجبل بحضرة السلطان ، وخلع على القضاة الأربعة وعلى المشايخ والعلماء الحاضرين له ، وفرقت صرر الفضة أيضا للحاضرين ، وازداد الحاضرون[2] فى هذه السنة عدة زائدة .

ثامن عشريه : وصل من دمشق كتاب الأمير محمد بن منجك ، مضمونه أن القاضى عبد الباسط كاتبه أن يسأل الصدقات الشريفة فى نقله من مكة المشرفة إلى القدس الشريف ، فإن الاقامة لم توافقه ، وثقل عليه الضعف هو وأولاده وحريمه ، وصار القاضى كمال الدين البارزى يتلطف للسلطان بسبب هذا حتى يؤذن له بذلك ، وكتب للأمير ناصر الدين بن منجك إذا توجه الحاج فى الموسم يحمله وأهله وولده ومملوكه جانبك إلى القدس الشريف ، وأن يكون ضامنا له ، وكتب للشريف بركات بذلك .

• • •

شهـــر شوال

أهلّ بيوم السبت .

انحل[3] سعر الغلال فى هذا الشهر وكثرت بعد قلتها .

يوم الثلاثاء ثامن عشره : برز محمل الحجاج من القاهرة إلى بركة الحجاج وتبعه[4] الحجاج شيئا فشيئا ، وسافر الأمير جرباش قاشق الكريمى أمير مجلس و

---

(١) أى فى جامع بنى أمية . (٢) فى الأصل « وازدادوا الحاضرين » .

(٣) كان انخفاض سعر الغلال وكثرة المعروض منها فى السوق بعد النصف الأول من هذا الشهر .

(٤) فى الأصل وتبعوه .

ابنته[1] خوند زوجة السلطان الملك الظاهر جقمق من البركة فى يوم الخميس ، ورحل الأمير سمام[2] الناصرى بالأول فى يوم الجمعة ، ورحل المحمل ببقيـة الحجاج صحبة الأمير هادى بك [الحكمى] فى يوم السبت ثانى عشرينه .

يوم الثـلاثاء خامس عشريه وصل الأمـير ناصر الدين بك [محمد] بن [خليل بن قراجا بن]ذلغادر نائب أبلستين ، جهز له السلطان قبل قدومه الإقامات والمطبخ السلطانى فى طول طريقه ، ولمـا قرب مصر خرج للقائه عدة من الأمراء وأعيان الدولة وصحبتهم الخيول المسومة والخلـع المزركشة والإنعامات له ولأصحابه ولأتباعه ، وتمثل بين يدى السلطان وقـد عملت الخدمة بالقصر ، فأنعم عليـه السلطان وعلى أصحـابه بإنعامات ، وأنزل فى دار[3] أعدت له تحت القلعة ، وأظهر السلطان الفرح بمقدمه وضاعف فى إحسانه له ، و بالغ فى احتفاله بأمره والاعتناء به ، وعدم الغفلة عنه وعن أجناده .

• • •

وفى هـذا الشهر وصل الخبر بأن عسكر حلب حصل له جائحة فظيعة شديدة وهو أن موسى بن قراكان محبا للأشرف وواليا له ، فلما عصى تغرى برمش ساعده وعاونه وأمده ــ وكان [يلوك] بن رمضان الذى هو أمير التركمان بينه و بينه عداوة قدم إلى القاهرة واجتمع بالسلطان وأعلمه بموسى وفعله ، وحثه فى

---

(١) هى زينب بنت جرباش .

(٢) كان الأمير سمام ــ المشار إليه فى المتن ــ أحد أمراء العشرات من أتباع برقوق وترقى عنده وعند ابنه فرج حتى صيره الأخير من الخاصكية ثم جعـله أمير عشرة . وكانت وفاته سنة ٨٥٧ . انظر الضوء اللامع ٣ / ١٠٣٠ ، وحوادث الدهور ، ١ ، ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩ ، وسمام بضم السين وفتح الميم المخففة .

(٣) كانت الدار التى نزل بها هى بيت نوروز .

القبض على موسى المذكور ، فقال له على أمارة[1] يقولها لنائب حلب لجمع ما يريد
من العساكر ، فلما أعلمه بها جهز معه الأمير خشكلدى الدوادار أحد الأمراء
المقدمين الألوف بحلب ، ومعه عدة من المماليك الأشرفية الأجناد مع مماليكه ،
والجميع عددهم نحوا من مائة فارس ، فتوجهوا من حلب رابع الشهر ويلوك بن
رمضان معهم بجمع من التركمان الأوجيقية ، وكذا اجتمعوا بابن أوزر بجماعته
من التركمان الأوزرية ، فصاروا فى آلاف من الفرسان والشجعان والأبطال ،
وساروا إلى سيس فى عساكر لا تعد ولا تحصى ، بلغ خبرهم موسى فاحتيل لهم
وتحصن واستعد بجماعته فى بيوته فى دربند ، ونزل بأعلاه ومعه حريمه وترك
البيوت ، فلما حضر العسكر ظن أن موسى فر منهم فاشتغلوا بنهب ما تخلف فى
البيوت فنهبوهم ، فانحط عليهم موسى بن قرا بقبائله وأتباعه وقاتلوهم قتالا عنيفا
فظيعا ، فثبت خشكلدى الدوادار بمن معه ، وقتل كل من خشكلدى وابن موسى
ابن قرا ، ووجدا مقتولين : طعن خشكلدى موسى بن قرا فى جنبه فصيره صريعا ،
فوثب عليه بعض أتباع موسى فضربه بالسيف وقطع ذراعه فسقط عن فرسه
هالكا ، وقتل يلوك بن رمضان وغالب العسكر ، وكل ذلك يوم الخميس عشريه ،
حتى إنه لم يرجع إلى حلب من المائة فارس الذين خرجوا منها سوى ستة أنفر
مجروحين قد أشرفوا على الهلاك ، وأخذ أتباع ابن قرا وأصحابه أموال العسكر
وخيولهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

(١) هذا تعبير مصرى (وهو بفتح الهمزة) بمعنى العلامة أو الدليل أو البرهان .

وفى هذا الشهر فاض نهر الفرات فخرب أماكن[1] كثيرة ، منها مدينة الرحبة بأجمعها وأتلف فيها .

• • •

شهـــر ذى القعـــدة

أهل بيوم الاثنين .

ورابعه الذى هو الخميس عقد السلطان على خاتون بنت الأمير ناصر الدين باك ابن ذلغادر ، وكان مهرها ألف دينار وغيرها من الشقق الحرير والمسك والعنبر والسكر والماء الورد وأمثال ذلك ، وكانت قد تزوجت بالأمير جانى بك الصوفى وولدت منه بنتا صغيرة عمرها نحوا من خمس[2] سنين .

وفى هذا اليوم خلع على الشيخ على الخراسانى العجمى أحد أعيان خواص المقام الشريف كاملية بسمور ، واستقر فى حسبة القاهرة .

• • •

وفيه نودى بعرض أجناد الحلقة فكان بداية عرضهم يوم السبت سادسه ، وامتحنهم السلطان برمى النشاب وضيق عليهم فى تعلمه وأكد عليهم ، ولم يحصل

(١) فى الأصل « أما كنا ».

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة (تحقيق طرخان) ١٥ / ٣٢٨ أنه كان لها من العمر ثلاث سنين ، والمعروف أن جانبك الصوفى مات سنة ٨٤١ .

عليهم منه سوء . ثم رسم للأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى الدوادار بعرضهم .

وقد وقع فى هذه الأيام حوادث فظيعة شنيعة ، منها ما سيذكر فيه ، وذلك أن الظاهر جقمق قصد أن تكون أموره وأحكامه على قانون الشرع وفتاوى أهل العلم لما يعلمه من برسباى أن شاه رخ كان يعيب عليه أمورا منها : أخذه عشور التجار الواردين بجدّة ، وأن هذا مكس[1] حرام .

وفطن بعض الفقهاء لمقصود السلطان فرتب سؤالا ونمقه ، مضمونه أن التجار الواردين إلى جدّة كانوا قبلها يردون إلى عدن من أطراف اليمن ، فيظلمهم ملكها ويأخذ أموالهم ، وأنهم احتموا بالسلطان ودخلوا تحت حمايته إلى جدّة لتبقى أموالهم ، وسألوا ورغبوا أن يدفعوا عشور أموالهم ، فهل يجوز أخذ ذلك أم لا ؟ ومال فى السؤال بأن السلطان ينفق أموالا لأجل عسكر يبعثهم إلى مكة بسبب حمايتهم ورعايتهم ، وقدمت هذه الفتاوى إلى الأربع قضاة ، فكتبوا بجواز أخذه وصرفه لأجل المصالح ، وقوّوا ذلك بأدلة تحمّلوها ، وطالت الألسنة فيما صنعوه وبالوقيعة فى قضاة القضاة ، وفى أنهم صاروا أتباع أهواء الملوك حتى تسلم لهم مناصبهم .

قال الشيخ تقى الدين المقريزى رحمه الله « إن الفتوى بهذه الحادثة من جنس ما تقدّم من الفساد فى قرقماس ويخشباى وأعيان المماليك والأمراء والسلطان الظاهر الملك العزيز » . انتهى .

(١) فى الأصل « مكسا حراما » .

قلت : وياليت شعرى ما الفرق بين ما يؤخذ بقطيا من التجار الواردين من بلاد الشام والمتوجهين من القاهرة ، وكذلك من سكندرية وكذلك بالقاهرة وسائر البلدان وبين ما يؤخذ بجدة من عشور التجار، فإن كل من له عقل سليم وطبع مستقيم يعلم ويجزم بأن ذلك حرام ومكس لايحل تناوله ولا الحكم به ، حتى إن الآكل منه فاسق بلا شبهة ولا تجوز شهادته لسقوط عدالته إلا أن يتوب توبة نصوحا ، ولكن أين من يسمع ويبصر .

وما كفاهم كتابة السؤال وأخذ خطوط القضاة الأربعة عليه بذلك حتى أرسلوا بالسؤالات وعليها الخطوط ، فقرئت على رءوس الأشهاد فى وسط المسجد الحرام ، ولا حول ولاقوة إلا بالله .

يوم الخميس عاشره : رسم بكتابة مثال شريف إلى دمشق بأن يستقر البرهان إبراهيم الباعونى فى خطابة جامع بنى أمية بدمشق عوضا عن قاضى القضاة المشهور بابن قاضى شهبة .

وفى ثامن عشره — وقيل فى سادس عشره — قدم الأميران : إينال الششمانى والطنبغا[1] الأشرفى من الشام .

وفيه حضر قاصد معظّم من عند مراد بك بن عثمان متملك الروم فرسم بإنزاله فى دار تليق به ، وأجرى عليه ما يكفيه .

وفى حادى عشرينه ، وقيل فى ثامن عشره ، خلع على الأمير ناصر[2] الدين بك خاصة السفر وسافر فى يوم الاثنين تاسع عشرينه بعد أن قدم له السلطان من الخيل والقماش والجمال والبغال والذهب ما مبلغه ثلاثون ألف دينار .

(١) فى النجوم الزاهرة « ألطنبغا الشريفى الناصرى » .

(٢) يعنى بذلك الأمير محمد بن قراجا بن ذلغادر نائب أبلستين .

وقدّم قاصد بن عثمان فى حادى عشريه تقدمة سنية زهاء عن ستين حمالا من أنواع الشقق الحرير والسمور والسنجاب والوشق وغير ذلك من أنواع الملبوس، ومن المماليك ثلاثون مملوكا .

* * *

شهر ذى الحجة

أهل[1] يوم الثلاثاء .

خُلع فيه على علاء الدين بن أقبرس أحد نواب الشافعية واستقر فى نظر الأوقاف بالديار المصرية عوضا عن تقى الدين بن نصر الله ؛ وهذا المذكور المستقر نشأ بالقاهرة و بسوق العنبر تاجرا هو وأخوه ، وطلب العلم ، وسعى حتى ناب فى الحكم وصحب السلطان وهو أمير عدة سنين ، ولازم داره وتردّد إلى مجلسه وأخبره بفقره ، ثم إنه لزم مجلسه فى أيام سلطنته .

يوم الأربعاء أشهر النداء بالقاهرة بمنع المعاملة بالأشرفية الفضة ، وأن تكون المعاملة بالدراهم الجدد الظاهرية [الجقمقية] ، وكُرّر هذا النداء وهدّد من خالف أشد تهديد فحصل عند الناس اضطراب ، وتوقفت أحوالهم ، فنودى فى آخر هذا اليوم بأن الأشرفية الفضة تباع للصيارف بثمنها وهو عشرون لكل درهم من الفلوس ، والدراهم الظاهرية كل درهم بأربعة وعشرين درهما

(١) يستفاد مما هو وارد فى النجوم الزاهرة (طبعة بوبر) ٧/١١١ ، س ٣ ، أن أول ذى الحجة كان الخميس حيث قال « الأربعاء سابع ذى الحجة » ، ولعل هذا خطأ . وصوابه « التاسع » على أن الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٢ ، أن أول ذى الحجة من هذه السنة هو الأربعاء .

[من الفلوس]، وجعلوها عددا لا ميزانا ، وصار النصف بإثنى عشر درهما ، والربع بستة دراهم .

و [نودى] على أن [الدينار] الذهب الظاهرى الأشرفى الذى[1] هو الآن من النقود الرائجة فى المعاملات بين الناس بمائتين وخمسة وثمانين درهما .

وفيه — أو فى الذى قبله — قدم القاضى سراج الدين عمر الحمصى من دمشق ، وكان قاضيها .

حادى عشريه : خُلع على غرس الدين خليل بن[2] أحمد بن على السخاوى الذى كان مباشر السلطان وهو أمير ومن خواصه ، لكنه شكا عليه مرة للسلطان الملك الأشرف برسباى بسبب ما تأخر له من الإقطاع ، ومع ذلك فما واخذه واستقر به ناظر القدس والخليل عوضا عن الأمير طوغان نائب القدس ، وقد صار من الأخصاء بمجلس السلطان . وهذا المذكور أصله من « سخا »[3] بالغربية ،

---

(١) فى الأصل « التى هى » .

(٢) كان الغرس خليل بن أحمد السخاوى هذا ممن اشتغل بالتجارة لغير ذاته ، ثم صحب الشمس الحلاوى الذى كان أحد خواص جقمق قبل سلطنته فقربه إليه وظل كذلك حتى بلغ عنده مكانة كبرى لم تخف على أحد ، وولاه نظر القدس والخليل فى ذى الحجة سنة ٨٤٣ ، وقد وصفه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٢٩١/٧ (بأنه « ذقن وشاش ، على لاش » ، أى أنه يتظاهر بالعلم وهو منه عرى ؛ كما ذكر نفس المؤرخ فى مكان آخر (نفس المرجع ١١١/٧) أن أصل الغرس خليل « من عوام القدس السوقة ، وقدم القاهرة وخدم بعض التجار وترقى وركب الحمار ، ثم بعد مدة طويلة ركب بغلا بنصف رجل على عادة العوام . » .

(٣) سخا من المدن المصرية القديمة ، وقد أوردها ابن حوقل فى كتاب المسالك والممالك والادريسى فى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق بالصاد بدلا من السين . وهى من مركز كفر الشيخ حاليا بمحافظة كفر الشيخ ، وتعرف بالقبطية باسم Skhouy أو SeKhou وقد اشتهرت بحماماتها وأسواقها وكنائسها وزيت النخول وما تغله من القمح ، راجع محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

ولما كان صغيرا توجهت به أمه وبأخت له إلى بيت المقدس فتربى به واستقر فيه زمنا طويلا ، ثم إنه اتجر فنبغ وقدم القاهرة قبل هذا، وخدم عند الشيخ الزين القمني[1] حتى إن المقام[2] الجمالي ذكر في تاريخه إنه كان جاويشا ، ثم اتصل بالأمير جقمق وصحبه مدة طويلة وتحدث في إقطاعه — كما قدمنا — وما بيده من الأنظار والجهات ، وثبت عنده دينه وخيره وشطارته ، فلما تسلطن ولازم خدمته أنعم عليه بما رأيت .

وفيه توجه الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن إينال إلى متملك الروم المسمى مراد بن عثمان صحبة رسله الذين قدموا القاهرة قبل تاريخه .

وفيه قدم مبشرو الحاج .

يوم الأربعاء ثالث عشرينه : قبض على الأمير ناصر الدين بن أبي الفرج الأستادار ، ورسم بسجنه ببرج قلعة الجبل .

وخُلع على الأمير طوغان قز واستقر أستادارا عوضه بمساعدة زين الدين يحيى[3] الذي كان ناظر الديوان المفرد ، وكان ناظر الاصطبل .

واستقر عبد العظيم[4] ناظر الديوان .

تاسع عشريه : أفرج عن ابن أبي الفرج الأستادار .

---

(١) مكان هذه الكلمة فراغ في الأصل .

(٢) يعنى بذلك ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة .

(٣) المقصود بذلك يحيى بن عبد الرزاق بن أخت نقيب الجيش محمد بن أبي الفرج وكان يعرف بالأشقر ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ٩٨٣/٤ .

(٤) المقصود بذلك عبد العظيم بن صدقة القبطى الأسلمى ، وكان على حد قول السخاوى « ممن بعد في الكتبة بحيث ولى نظر ديوان المفرد » ، انظر الضوء اللامع ٦٢٥/٤ .

وفى هذه السنة وقعت محاربات هائلة بافريقيـة من بلاد المغرب وهو أن أبا[1] فارس بن عبد العزيز لما مات قام بالأمر بعده حفيده المستنصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله ولى عهد أبى الحسن على بن أبى فارس ببجاية ، فلما مات المستنصر وقام من بعده بالأمر أخوه : أبو عمـرو عثمان بن أبى عبد الله امتنع عمه أبو الحسن من مبايعته لأنه رأى أنه أحق منه بالأمر ، ووافقه على مايخاطره فقيه[2] بجاية المسمى منصور بن على بن عثمان ، وهو ذو عصبية . فانفـرد بالأمر ببجاية وأعمالها ، فتوجه أبو عمـرو من تونس فى خلق كثير لأجل محار بتـه وقتاله ، فاجتمعا بالقـرب من ...... [3] وتقاتلا ، ففـر أبو الحسن إلى بجاية ورجع أبو عمرو إلى تونس ، ثم خرج أبو الحسن من بجاية وضم إليـه عبد الله بن صخـر من شـيوخ إفريقيـة ونزل قُسَنطينة وحاصرها وحارب أهلهـا مدة ، فسار إليه أبو عمـرو من تونس فى جمع كبير ، فلما قـرب منه سار أبو الحسن عائدا إلى جهة بجاية فتبعه أبو عمرو حتى لقيه وقاتله ، فانهزم ففرّ بعد ما قتل أبو الحسن عدة من أصحابه ، ورجع كل منهما إلى بلده ، فلما كان فى هذا العام دبر أبو عمـرو الحيلة فى قتل عبد الله بن صخر حتى قتله وحملت رأسه إليـه بتونس ، ثم جهز أبو عمرو العساكر فى عقب ذلك من تونس فنازلت بجاية مدة أيام ، حتى خرج الفقيه منصور بن على قائد العسكر ، وعقد معـه الصلاح والصلح ودخل به إلى بجاية ، ودخل الجامع وقد اجتمع فيه الأعيان ، وحضر أبو الحسن ووافق على

(١) فى الأصل « أبو » .

(٢) هو منصور بن على بن عثمان الزواوى ثم البجائى . وكان يعرف بفقيه بجاية من أعمال المغرب وكان له دور فى الصلح بين على بن أبى فارس وابن أخيه عثمان بن أبى عبد الله محمـد بن أبى فارس . انظر الضوء اللامع ١٠/٧١٩ .

(٣) فراغ فى الأصل .

الصلح، وأن تكون الخطبة لأبي عمرو ، ويكون هو مقيما ببجاية في طاعته ، وترجع العساكر عن محاربة بجاية إلى تونس . فلما تم عقد الصلح أقيمت الخطبة باسم أبي عمرو وعادت العساكر قاصدة تونس ؛ فبلغهم أن أبا عمرو قد خرج من تونس نحوهم لقتال أبي الحسن، فاستكانوا حتى قدم عليهم ووقف على ما كان من أمر الصلح، فرضي به وأخذ في الرجوع إلى تونس ، فورد عليه الخبر بأن الحسن خاف على نفسه من أهل بجاية فخرج ليلا حتى نزل تل عجيسة ، فأمر العسكر بالفرار حيث سمعوا الخبر، وسار على جرائد الخيل في عدة ممن يثق بهم ودخل مدينة بجاية ، ففرح أهلها بقدومه وأظهروا السرور وزينوا المدينة ، فما ساعه إلا أن رتب أحوالها واستخلف بها جماعة من أصحابه وأتباعه ورجع إلى معسكره، وطلب جماعة من مشايخ مجلسه فحضر إليه طائفة منهم فما لأهم على أن يسلموه الحصن ويبذل لهم الأموال ، فما وافقوه على ذلك ورجع إلى تونس، فازدادت جموع أبي الحسن بتدبير الحيل واستمر مدة ، ثم توهم من عجيسة الغدر به فلم يثق بهم خوفاً على نفسه ، ونزل على جبل عياض بالقرب من الصحراء ، والله تعالى يفعل ما يريد .

* * *

وفي هذا الشهر سار عسكر من طرابلس فملكوا قلعة الكهف ومدينتها ومتوليها إسماعيل بن العجمي أمير الاسماعيلية ، فهدموا القلعة حتى سوّوا بها الأرض ، وأقطع إسماعيل متوليها إمرة بطرابلس ودثرت قلعة الكهف كأن لم تكن ، وكانت أحد حصون الاسماعيلية المنيعة ، وذلك بسفارة ناصر الدين محمد وحجى وفرج أولاد عز الدين المدّعى .

وانقضت هذه السنة ولله الحمد .

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

(٨٠١) - الأمير آقبغا التمرازى[(١)] نائب الشام ، وأصله من المماليك الظاهرية برقوق ، وترق بعد أستاذه إلى أن تقرّد من الأمراء وولى نيابة ثغر سكندرية ثم عاد إلى القاهرة ، وولى نيابة الشام عوضا عن إينال الجكمى ، وتوجه من مصر صحبة العساكر واستولى عليها ولم تطل مدته بها حتى توفى بغأة يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر من غير علة سابقة ، بل ركب فى فى هذا اليوم ولعب بالميدان حتى أتعب نفسه جدا ، ثم أراد التوجه إلى دار السعادة فما قدر ، واستند إلى حائط ، وطلب ماء فما عرف هل هو شرق[(٢)] أم لا حتى طلعت روحه وحملوه إلى دار السعادة وهو ميت . وقال آخر : « بل ركب ولعب بالكرة فى الميدان ثم لعب بالرمح فمال عن سرجه فتلقوه ووضعوه فى بيت ، ثم حملوه وهو غائب الحس إلى دار السعادة فمات آخر النهار » ، والله الواحد القهار .

وكان رحمه الله مشتهرا بالدين المتين وقيام الليل والعقل والتؤدة والشجاعة والفروسية .

---

(١) انظر عنه أيضا المنهل الصافى ، ترجمة رقم ٤٧٩ . والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٦٣ — ٢٦٥ وابن إياس : بدائع الزهور ٢/١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ .

(٢) يمكن قراءة هذه الكلمة على صورتين هما « شرق » و « شرب » لعدم وضوح الحرف الأخير فى الأصل ، ولم نستطع الاستدلال على مايجزم معه بإحدى القراءتين . ولقد جاء فى النجوم الزاهرة ٧ / ٢٦٤ فى خبر موته « أنه سار فى فجر يوم موته إلى الميدان ولعب الرمح ثم ساق البرجاس ثم ضرب الكرة مع الأمراء ، فلما انتهى من ذلك كله وسار الى باب الميدان ليخرج منه مال عن فرسه فاعتنقه رأس نوبته وحمله وأنزله الى قاعة عند باب الميدان فمات من ساعته ، ولم يتكلم كلمة واحدة » وهذه رواية تخالف رواية الصيرفى فى المتن .

(٨٠٢) - وتوفى الأمير يلبغا[1] البهائى نائب اسكندرية، وكان جيدا لينا ، حججت أنا وهو فى عام أربعين وثمانمائة ، وكانت سيرته جميلة .

واختلف فى يوم وفاته ، فقال البدر العينى رحمه الله فى تاريخه إنه توفى يوم الأحد الخامس[2] من جمادى الأولى ، وقال المقريزى إنه توفى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى .

(٨٠٣) - ومات الأمير طوخ[3] مازى نائب غزة ، وأصله من المماليك الناصرية فرج ، فى ليلة السبت خامس شهر رجب ، وكانت سيرته قبيحة ، فاسقا ظالما طامعا فى أموال الناس ، منهمكا على المعاصى واستراح وأراح .

وترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى فقال « ومستراح منه فقد كان من شرار خلق الله : فسقا وظلما وطمعا » . وترجمه الشيخ الإمام قاضى القضاة بدر الدين العينى فقال : « لم يكن مشكور السيرة » والله تعالى أعلم بكل سريرة .

---

(١) وكان يعرف أيضا يلبغا قراجا أى الأسمر لأنه كان أسمر اللون كما فسر ذلك أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ٢٦٥ .

(٢) هكذا فى الأصل ، لكن يستدل مما ورد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٢ ، أن أول جمادى الأولى من هذه السنة كان يوم السبت مما يتفق مع ما نقله المؤلف عن المقريزى ، أما أن يكون الأحد هو الخامس منه فأمر مستبعد فى هذا ويلاحظ أن النجوم الزاهرة ٧ / ٢٦٥ جعلت وفاته يوم الخميس ١٧ جمادى الأولى .

(٣) تدرج سيف الدين طوخ مازى هذا فى سلك الوظائف المملوكية من أمير عشرة فرأس نوبة فمقدم المماليك فأمير طبلخاناه فرأس نوبة ثانى فنائب غزة انظر النجوم ٧ / ٢٦٥ .

(٨٠٤) — ومات الأمير قُطُج [بن عبد الله من تمراز الظاهرى برقوق] الناصرى ، بضم القاف والطاء المهملة وسكون الجيم ، يوم الاثنين الثامن[1] عشر من رمضان بالقاهرة ، وقيل الثامن والعشرين من رمضان .

وأصله من المماليك الناصرية فرج ، ثم ترقى فى الخدم السلطانية حتى صار أميرا مقدما من مقدمى[2] الألوف ، ثم أخرجه الأشرف برسباى من القاهرة منفيا ، وصار ينتقل فى عدة إمريات بحلب ودمشق ، ثم طُلب إلى القاهرة ووُعد بإمرة ، فلم تطل إقامته بها .

وكان شحيحا أطمع من أشعب ، مفرطا فى الحسة ، وخلف أموالا كثيرة . ذكر القاضى بدر الدين العينى أنها تزيد على ثلاثين ألف دينار ، والله الباقى القهار .

(٨٠٥) — ومات الأمير ناصر الدين محمد أمير طبر ونقيب الجيوش ليلة الخميس ثامن عشرين رمضان ، وقيل يوم الأربعاء السابع والعشرين من رمضان . وكان رجلا جيدا مشكورا فى أحواله وأفعاله وأقواله .

---

(١) ذكرت النجوم الزاهرة ٧ / ٢٦٦ ، س ٨ ، أن موته كان يوم الاثنين ٢٨ رمضان وهو مالا يستقيم مع أيام الشهر ؛ فلقد كان الجمعة هو أول رمضان كما ذكر ذلك المؤلف وكما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٢١ . وإذا أخذنا بأنه مات يوم ٢٨ رمضان حسب رواية النجوم الزاهرة المشار إليها وكذلك التاريخ الذى سيذكره المؤلف فى السطر التالى ، كان ذلك يوم الخميس لا الأحد . هذا وقد ذكر ابن حجر — حين ترجم له فيمن ماتوا فى هذه السنة فى إنباء الغمر — ترجمة رقم ٩ ، أنه مات فى العشر الأوسط من رمضان .

(٢) فى الأصل « مقدمين » .

(٨٠٦) - وتوفى علاء الدين على بن محمد بن سعد بن محمد بن على بن عثمان المعروف بابن خطيب الناصرية قاضى حلب الشافعى فى ليلة الثلاثاء تاسع[1] ذى القعدة، وكان مولده سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وكان أمة فى الفقه وأصول الدين وأصول الفقه، وأما النحو فكان أستاذا فيه، وأما الحديث فكان له فيه مشاركة حسنة، وكذلك التاريخ، واشتهر بالحشمة والرياسة وكثرة الأموال. دخل القاهرة غير مرة.

قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « وبلونا منه علما جمًا واستحضارا كبيرا مع الإتقان وحسن المحاضرة، ولم يخلف بعده فى حلب مثله، وكتب تاريخا لحلب ذيل به على تاريخ ابن العديم رحمهما الله تعالى.

(٨٠٧) - وتوفى الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود ابن ابراهيم بن أحمد بن روزبة، الكازرونى الأصل، المدنى المولد والمنشأ والوفاة، الشافعى فى يوم الأربعاء عاشر ذى القعدة بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع. ومولده فى ليلة الجمعة سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالمدينة النبوية.

(١) ذكر ابن حجر فى ترجمته له بإنباء الغمر أنه مات فى الحادى عشر من شوال، وقد صحح البقاعى هذا التاريخ فى هامش نسخة الإنباء المحفوظة بالهند فقال : « إنما مات حادى عشر ذى القعدة » دون أن يسمى اليوم.

على أن الوارد فى التوفيقات الالهامية أن الاثنين هو أول ذى القعدة، ويلاحظ أن السخاوى جعل وفاته فى الضوء اللامع ٥ / ١٠١٦ يوما لخميس منتصف ذى القعدة سنة ٨٤٣، ثم قال : « ومن أرخه بشوال فقد سهى » يشير بذلك الى شيخه ابن حجر. أما النجوم الزاهرة ٧ / ٢٦٨ فقد أرخته بتاسع ذى القعدة.

وكان بارعا فى الفقه والأصول وغيرهما من العلوم . وَوُلِّىَ قضاء المدينة الشريفة مدة يسيرة ثم عزل عنها ، ولم يعاد إلى ولايتها .

وقدم القاهرة مرارا واجتمع على المشايخ والعلماء والفضلاء سنينا . رحمه الله .

(٨٠٨) - وهلك مجد الدين ماجد بن النحال ، كاتب ديوان المماليك وكاتبهم فى ليلة السبت سادس شهر ذى الحجة ، وهو من نصارى مصر ، وبرع فى الحساب على الأسعد البحلاق ، وخدم الأمير نوروز الحافظى ، واستقر فى ديوانه بدمشق مدة ، ثم انتقل إلى ديوان الأمير جقمق الدوادار فى أيام الملك المؤيد شيخ ، وأظهر الإسلام(١) فولى كتابة المماليك .

وكان سيء الخلق ، سيء المنظر أعور ، مبغضا لأهل العلم إلا أنه رجع عن خلقه واستراح وأراح ، ويعجبنى قول الشيخ تقى الدين المقريزى فى ترجمته : « لا دين ولا دنيا » .

(٨٠٩)- وتوفى الأمير آقبغا [بن عبد الله من ما مش الناصرى] التركمانى نائب الكرك مسجونا بها(٢) لما صدر منه فى حق أمير العرب الذى حضر إليه وعليه خلعة السلطان وقتله ، فحبس بسبب ذلك .

---

(١) الوارد فى ترجمته بالنجوم الزاهرة ٧/ ٢٩٩ ، أن الأمير نوروز الحافظى أكرهه على الاسلام فأظهره بلسانه ولكنه ظل على ما هو عليه حيث استبقى جميع من عنده من الخدم والنساء على النصرانية.

(٢) أى بالكرك . هذا ويلاحظ أن أبا المحاسن فى المنهل الصافى جعل وفاته سنة ٨٤٤ ، انظر فى ذلك Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 488 ، على حين أن السخاوى فى الضوء اللامع ٢/ ١٠٠٩ جعل وفاته فى ذى القعدة سنة ٨٤٣ .

* * *

وكان عنده طيش وخفة وجهل وظلم وجبروت .

(٨١٠) - وتوفي سودون المغربي متولي دمياط بطالا بالقاهرة ، وكان قد نفي ثم رُسم بعوده في شهر ذي الحجة .

وكان رجلا ساذجا ، صافيا له أحكام تقترب من أحكام قراقوش ، متعففا عن المنكرات والفواحش ، والله أعلم .

سنة أربع وأربعين وثمانمائة

من الهجرة النبوية

وما وقع فيها من الحوادث والغرايب

استهلت هذه السنة وأولها يوم الخميس ، وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود . وسلطان الإسلام والمسلمين سيف الدين أبو سعيد جقمق .

وأتابك العساكر الأمير يشبك الظاهرى ططر ، وأمير سلاح الأمير تمراز القرمشى ، وأمير مجلس الأمير جرباش المؤيدى الظاهرى ، والمقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الظاهر أحد الأمراء الألوف ، وأمير آخور كبير الأمير قراجا الحسنى ، والدوادار الكبير الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى ، ورأس نوبة النوب الأمير تمرباى الظاهرى ططر ، والأمير الطنبغا المرقبى ، والأمير أسنبغا الطيارى وهو نائب ثغر اسكندرية .

وكاتب السر كمال الدين بن ناصر الدين بن البارزى ، والوزير الصاحب كريم الدين بن محمد بن أبى الفرج كاتب المناخ ، وناظر الجيش شيخ الشيوخ محب الدين بن الأشقر ، وناظر الخاص الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ، وناظر الدولة الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم .

وقضاة الشرع الثلاثة على حالهم ، وهم : شيخنا شيخ الشيوخ حافظ السنة والأثر الشهير نسبه العريق بابن حجر العسقلانى ، وشيخنا شيخ الإسلام نادرة الليالى والأيام سعد الدين الديرى الحنفى ، وشيخنا شيخ الإسلام محب الدين البغدادى

الحنبلى ، والقاضى شمس الدين البساطى توفى إلى رحمة الله تعالى وتولى عوضه قاضى القضاة المالكية بدر الدين محمد التنسى .

ومحتسب القاهرة الأمير تنم المؤيدى ، ووالى القاهرة الأمير قراجا العمرى ، ونائب دمشق الأمير جلبان الكمشبغاوى المؤيدى ، ونائب حلب الأمير قانباى الحمزاوى ، ونائب طرابلس الأمير برسباى الناصرى ونائب حماة الأمير بردى بك العجمى ، ونائب صفد الأمير قانباى البهلوان ، ونائب غزة الأمير طوخ المؤيدى ، ونائب القدس الأمير طوغان السيفى ألطنبغا العثمانى ، ونائب الكرك الأمير مازى ، ونائب الوجه القبلى بالديار المصرية الأمير محمد الصغير . ونائب البحيرة الأمير مسلم المؤيدى .

والأسعار والحمد لله تعالى رخية موجودة .

• • •

المحـــــرم

كما قدمنا أهل بيوم الخميس .

ثامنه الذى هو الخميس : خُلع على طوغان السيفى علان (ويقال له طوغان قز[1] . وهو الصحيح) أحد الأمراء العشرات ومن جملة الأمير آخورية واستقر أستادار العالية عوضا عن محمد بن أبى الفرج بحكم عجزه عن القيام بسداد الوظيفة ، وقُبض عليه وضرب بالقلعة مرارا .

---

(١) سماه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ١١١ س ٢ ، ص ١١٢ س ٧ ، ص ١١٦ س ١٧ بقز طوغان ، أما السخاوى فقد سماه فى الضوء اللامع ٤ / ٣٨ بطوغان قز العلائى علان ، والمعروف عنه أنه تنقل فى الوظائف فى الدولة المملوكية حتى بلغ أعلاها ، ووصفه السخاوى بأنه « كان رئيسا معظما فى الدولة ذا ذرق ومحاضرة فى الجملة ومعرفة بتأدية الموسيقا » .

يوم الأحد حادى عشره : تكلم فيه الصاحب كريم الدين [بن كاتب المناخ] مع السلطان وتسلمه ونزل به إلى بيته على مال يقوم به وهو عشرة آلاف دينار التى[1] كان أخذها من مملوك القاضى عبد الباسط .

يوم الاثنين ثانى عشره : استدعى القاضى سراج الدين عمر الحمصى فخلع عليه واستقر فى قضاء القضاة الشافعية عوضا عن ابن قاضى شهبة بعد أن وعد بمال فى الوظيفة .

يوم الثلاثاء العشرين منه : زاد الله تعالى فى النيل ثلاث أصابع . والقاعدة جاءت — وهى الماء القديم — ستة أذرع وأربع أصابع .

يوم الأحد حادى عشريه : وصل الأمير جرباش الكريمى من الحجاز ومعه ابنته التى[2] هى زوجة السلطان الملك الظاهر جقمق فى ركب من الحاج ، وخرج العامة ، ولاقاه الأمراء والمباشرون ، ومدوا له المدات من عند السلطان والأمراء . ومن الغد وصل [الركب الأول] وأميره سمام [الحسنى الظاهرى] أحد الأمراء العشرات ، ووصل محمل الحاج ، وأميره شادى بك أحد المقدمين فى يوم الجمعة ثالث عشريه . ومات من الحاج فى هذه السنة خلق كثير فى الرجعة وهو أن الحاج أصابهم حر بسموم محرق فهلك منه غالب الجمال والآدميين بحيث أنه مشى من لم يعرف ايش هو المشى ، وصار الناس يرمون ما معهم من الأزواد والأمتعة لعجزهم عن الحمل ، والأحمال كثيرة .

---

(١) فى الأصل « الذى » .

(٢) وتسمى بزينب وقد ماتت شابة سنة ٨٦٤ عن بضع وثلاثين سنة ، انظر الضوء اللامع ١٢ / ٢٣٧ ص ٤٠ — ٤١ .

يوم السبت رابع عشريه خلع على زين الدين يحيى [الأشقر] قريب ابن أبى الفرج واستقر فى نظر الديوان المفرد رفيقا للأمير طوغان [قـبز] بك ، ولولا أن زين الدين حث طوغان فى هذا الأمر وضمن له السداد ما كان دخل فى شئ من هـذا فإنه كان مسافرا بالصعيد وما زال يحـرّكه ويحلف له و يضمن له حتى لبسها[1] . فاحتاج أن لبس زين الدين نظر الديوان المفـرد عوضا عن عبـد العظيم الأسلمى القبطى بعد أن قبض عليـه ، ونقل ابن أبى الفرج من تسليم الوزير إلى بيت الأمير طوغان وصار هو وعبد العظيم مطلوبين[2] بالمال ، فأخذ طوغان فى عقوبة ابن أبى الفرج وبالغ فيها وأفحش ، وكل ذلك بسفارة قريبه يحيى ناظر الديوان المفرد .

يوم الاثنين سادس عشريه : شكى شخص من العـوام على شهاب الدين بن أبى البركات عند السلطان فقبض عليه وهو أحد نواب قاضى القضاة الشافعى ورَسم للوالى — الذى هو قراجا[3] البواب العمرى أن يسجنه بالمقشرة ، فنزل راكبا على بغلتـه مارا من الشارع إلى بين القصرين حتى توجه إليهـا بغير موجب يقتضى هذا الأمر ، ثم أفرج عنه .

يوم الخميس سلخه برز المرسوم الشريف لشيخ الإسلام ابن حجر[4] أن يلزم بيته ،

---

(١) أى أنه لبس خلعة وظيفة نظر الديوان المفرد .

(٢) فى الأصل « مطلوبان » .

(٣) هو قراجا البـواب العمرى الناصرى فرج ، وقـد استقر به جقمق فى ولاية القاهرة وهـو خاصكى ، وكان موته سنة ٨٧٠ ، انظر الضوء اللامع ٦ / ٢٢٠ .

(٤) أشار ابن حجر إلى قصة عزل السلطان إياه فذكر أنه فى ٢٤ محرم رفع أحدهم إلى جقمق أن رجلا مات وأوصى إلى رجل ، وإن ابن حجر — وكان قاضى القضاة الشافعية يومئذاك — ضم إلى ذلك الوصى رجلا آخر بعـد أن أثبت نائب الحكم أهلية الشريك وأن التركة وقع فيها تفريط ، فطلب جقمق نائب الحكم والشريك لحبسهما بالقلعة وراح الوصى يذكر السلطان ما غير خاطره حتى إنه « ظن —

وطلب الشيخ برهان الدين إبراهيم[(١)] بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن ميلق أحد نواب شيخ الإسلام ابن حجر، فخطب بالسلطان يوم الجمعة .

وفى هذا اليوم نُقل ابن أبى الفرج من بيت الأمير طوغان قز إلى بيت الصاحب جمال الدين ناظر الخاص بعدما حمّل عشرة آلاف دينار، وأخّروا عليه أربعة آلاف دينار أخرى ، وتسلم الصاحب كريم الدين الوزير عبد العظيم علَى ألفى دينار .

وفى هذه الأيام رسم السلطان بتجريدة تحضر[(٢)] فى البحر المالح لغزو الفرنج، فاهتم لذلك من له فيها ذكر واسم .

وفى هذه السنة قدم القاضى زين الدين عبد الباسط من مكة المشرفة إلى بيت المقدس الشريف ، وما أحسن هذه التنقلات .

• • •

— أن ذلك بعلم القاضى فتغيظ على ابن حجر وأرسل اليه الا يخطب به يوم الجمعة ، وأمر أن يقوم بالخطبة بدلا منه أحمد بن الميلق أحد نواب الحكم لابن حجر .

(١) فى الأصل « أحمد بن إبراهيم بن الشيخ أحمد »، والصواب فيه أنه « إبراهيم بن أحمد ابن أحمد الميلق الحسينى » و يعرف أيضا بابن الميلق ، وكان جهورى الصوت فى الخطابة جيدها ، لذلك اختاره السلطان جقمق لها ، بالإضافة الى ما كان بينهما من معرفة سابقة وخلطة قديمة ، ثم ما كان بين ذلك من غضب جقمق على القاضى الشافعى . أما فيما يتعلق بتاريخ خطابته للسلطان فالوارد فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٩ ، أنه كان أول جمعة من صفر ولبس صاحب الحرم .

(٢) كان على هذه التجريدة البحرية الأمير تغرى برمش الزردكاش والسيفى يونس أمير آخور ، وكانت جملة الأغربة خمسة عشر غرابا ، انظر النجوم الزاهرة ، ٧/ ١١٢ ، وانظر أيضا :
Habashi (Hasan): Egyptian Expeditions Against Rhodes & Castelrosso.

شهر صفر الأغر

أهلّ بيوم السبت .

يوم الاثنين ثالثه : استُدعى شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة شهاب الله والدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى فخُلـع عليه واستمر على عادته ، ولولا أن أن المقام الناصرى محمد بن المقام الشريف قام فى عوده[1] بالقلب والقالب وإلا كانت الوظيفة عيُنت لقاضى الشام الونائى .

يوم الأربعاء ثانى عشره : وصلت تقـدمة الزينى عبد الباسط من القدس الشريف صحبة دويداره أرغون وقيمتها نحوا من ألف دينار .

وفى هـذا اليوم أفرج عن الناصرى محمـد بن أبى الفرج وتوجه إلى بيته ملازما له .

يوم الاثنين خامس عشريه : خلع على الأمير عيسى[2] بن يوسف بن عمر الهوارى أمير هوارة الصعيد ، وكُتب بإحضار أخيه الأمير إسماعيل[3] من سجن الكرك ليخلع

(١) لم ينكر ابن حجر تلك الوساطة من جانب المقام الناصرى محمد بن جقمق فاستجاب له أبوه بعد أن تبين له براءة ابن حجر مما ظنه به ، وكان من علامة الرضا عن ابن حجر أن فصلت له جبة بسمور .

(٢) هو الشرف عيسى بن يوسف بن عمر بن عبـد العزيز البندارى الهوارى ، وكان ذا معرفة بكثـير من مسائل الفقه المالكى وكان موته سنة ٨٦٣ ، انظر الضوء اللامع ٦/٥١٦ ، أما أخوه إسماعيل فكان مثله معروفا ولكن « لم يكن السلطان جقمق يميل إليه » ، ومن ثم عزله بعض الوقت وولى يوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن مكانه وسجنه هو بالكرك ؛ مما أغضب هوارة فلم تطع ابن مازن مما اضطره فى النهاية إلى الهرب ، ومن ثم رجع إسماعيل ، انظر فيه الضوء اللامع ٢/٩٦٦ وكذلك الحاشية التالية .

(٣) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٢/٩٦٦ أن السلطان جقمق لم يكن يميل إليه دون أن يبين سر هذا الجفاء ، كما أشار إلى أنه عزله وولى مكانه يوسف بن محمد بن إسماعيـل بن مازن على هوارة فلم تطعه مما اضطره للهرب ، على أنه حين ترجم ليوسف بن إسماعيل هـذا (نفس المرجع ١٠ / =

عليه ويستقر على عادته فى إمرة هوّارة بعد أن قرر مع السلطان أن يقدم له سبعين ألف دينار ، منها أربعون ألف دينار عاجلة قبل سفره ، وما بقى يجهزه أولا فأولا .

يوم الثلاثاء سادس عشريه زال غضب[1] السلطان عن أينمش الخضرى ورضى عليه .

سابع عشريه الموافق له رابع مسرى : أوفى النيل ستة عشر ذراعا وزاد إصبعين من سبعة عشر ذراعا ، فركب المقام الناصرى محمد بن السلطان وعدّى النيل إلى المقياس َخلّقه ثم ركب فى السفينة ومعه الأمراء الخاصكية والمماليك السلطانية حتى فتح فم الخليج على العادة وخلع على أصحاب الوظائف كالأمير الزردكاش والأمير الوالى وابن أبى الرداد والريسا أصحاب المراكب ووالى مصر وغيرهم ، وركب فى موكب جسيم عظيم وصعد إلى القلعة فأخلع عليه .

• • •

— ١٢٤٦) قال إنه استقر شيخ لهانة وأمير هوارة البحرية فى سنة أربع وأربعين ولكن عوضا عن على ابن غريب وهو ما سيذكره الصيرفى فيما بعد فى هذه السنة . أما على بن غريب فلم يفرد له السخاوى ترجمة فى الضوء فقد جاء فيه : (الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٧٤ س ١٠) قوله « على بن غريب له ذكر فى يوسف بن محمد بن إسماعيل » . واكتفى بذلك .

(١) لم يرد فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب ما يشير إلى غضب جقمق عليه حتى يزول عنه فى هذا التاريخ المذكور أعلاه ، ولكن بمراجعة ترجمته عند كل من السخاوى فى الضوء اللامع ٢ / ١٠٦٠ وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة لانجد تحديدا لوقت غضب جقمق عليه ، بل كل ما نستفيده من كلا المصدرين أنه « لما تسلطن الظاهر جقمق داخله أينمش وقرب منه جدا ثم لم يلبث أن أبعده ونفاه إلى القدس أيضا » . هذا ولقد كان أينمش الخضرى فى الأصل من مماليك الظاهر برقوق ثم صار من جملة الدوادارية زمن ابنه الناصر فرج ، ثم صار أمير عشرة فى أيام المؤيد شيخ ، واستقر فى الأستادارية الكبرى زمن برسباى ثم عزله . أما فيما يتعلق بالتاريخ فالأصح أن يقال فيه « خامس عشريه » .

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الأحد .

يوم الاثنين تاسعه سافر من بولاق على ظهر النيل بظاهر القاهرة خمسة عشر غرابا لغزو الفرنج[1] بأحسن ترتيب ونظام وهيئة وحرمة واهتمام ، وذلك لما فيها من الغزاة كالأجناد والمطوعة ، وعليهم الأمير تغرى برمش الزردكاش أحد الأمراء العشرات ويونس المحمدى أمير آخور ، وعدة من معه من الأجناد والمطوعة مائتا رجل ، وقيل ستمائة وهو الصحيح ، ورأيته بخط شيخنا البدر العيني « ستمائة نفر » ، ولكن المقريزى قال « مائتين » والله أعلم .

والسبب فى تجهيز هذه التجريدة أن الفرنجة — عليهم لعائن الله — كثر أذاهم وأخذهم لمراكب التجار .

يوم الخميس ثانى عشره : خلع على الأمير إسماعيل[2] بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز [الهوارى] وكان حضر من الكرك فى يوم الثلاثاء عاشره واستقر فى إمرة هوارة على عادته ، وكان قد عزل بيوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن ، وأركب فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش .

وفى هذه الأيام رسم السلطان بالقبض على القلندرية والأعاجم الذين يسألون فى الأسواق فتتبعوا وقبض على جماعة منهم فضربوا ، وجماعة فنفوا ، وجماعة فسجنوا .

---

(١) كانت هذه — كما قالت النجوم الزاهرة ١١٢/٧ — أول بعثة « بعثها الملك الظاهر من الغزاة » .

(٢) انظر ما سبق ص ١٩٤ حاشية رقم ٣ .

وحصل لهذه الطوائف كثير[١] من الضرر والأذى .

يوم الأحد سادس عشره : عمل المولد الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على العادة فى كل عام ، ولم يطلع المقر الكمالى ابن البارزى إلى الخدمة وسأل فى الإعفاء فهرعوا[٢] إليه عظماء الدولة وسكنوا غضبه وتلطفوا به وأصلحوا مزاجه وهو لايوافقهم على شىء من ذلك . ومازالوا به حتى طاوعهم وركب من الغد فى سابع عشره فخلع عليه . وسبب هذا أن السلطان صار يخجله ويمقته ويأمى عليه بإساءات منكية مثل « حشاش » وما أشبه ذلك .

يوم الأحد سلخه — وهو آخر أيام النسىء — نودى على النيل بزيادة إصبع وصار البحر فى عشرين ذراعا إلا أصبعا .

وفيه استقر صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد بن سابق[٣] الحموى فى كتابة السر بالشام عوضا عن شهاب الدين أحمد العجلونى الذى كان موقع الأمير أركماس الظاهرى الدويدار الكبير ، وكتب تقليده وجهز إليه تشريفه فى تاريخه .

شهر ربيع الآخرة

أهل بيوم الثلاثاء .

فى سابعه — وقيل فى ثامنه هو الصحيح — استدعى شيخنا قاضى

(١) فى الأصل ، « كثيرين الضرر » .

(٢) الأصوب أن يقال « هرع » .

(٣) ولد ابن سابق الحموى بحماة سنة ٧٨٠ تقريبا ولكنه نشأ بالمعرة ، وقد باشر نظر الديوان بحماة وطالت مدته فى كتابة سرها حتى بلغت ربع قرن من الزمان . أما فى توليته كتابة السر هذه بدمشق فقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٣/٧٦٧ « أنه باشرها من ثلاث عشر سنة » ، والإجماع منعقد على صلاحه ، وكان موته سنة ٨٥٩ .

القضاة بدر الدين محمود العينى واستقر فى حسبة القاهرة على عادته عوضا عن تنم[1] المؤيدى بحكم صرفه عنها .

وفيه وصلت تقدمة المقر الزينى عبد الباسط من القدس وهى ثمانية أرؤس من الخيول الخاص وعلبة فضة مينا .

يوم الخميس رابع عشريه وخامس عشرى توت[2] — : بلغت زيادة النيل إلى أحد وعشرين إصبعا من أحد وعشرين ذراعا .

يوم السبت سادس عشريه : وصل[3] رسل شاه رخ بن تمرلنك إلى القاهرة ، وكان السلطان رسم أن تزين لهم فزينت بأحسن الزينة ، واجتمع الملأ العظيم لرؤيتهم ، وخرج لملتقاهم المقام الناصرى محمد بن السلطان والأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى الدوادار الكبير ، وكان يوما عظيما لم نر مثله لعظم ما جمع فيه لقدوم الرسل ، فلم يعهد مثل هذا فى الدول السابقة ، ثم أنزلهم فى[4] دار الأمير جمال الدين — الأستادار كان — المجاورة للمدرسة الحجازية ورتب لهم ما يليق بهم ويكفيهم بزيادة من كل شىء إلى يوم الاثنين ثامن عشريه ركبوا من دارهم

---

(١) هو تنم من عبد الرازق الجركسى المؤيدى ، وقد أعتقه المؤيد شيخ وجعله خاصكيا ثم خازندارا صغيرا ، وقد ولاه جقمق الحسبة ثم نيابة اسكندرية ثم حماة ثم حلب فكرهه أهلها حتى رجموه وكان موته سنة ٨٦٨ بدار السعادة بدمشق . انظر الضوء اللامع ٣ / ١٨٢ .

(٢) يطابق هذان التاريخان من حيث العدد واليوم ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٢٢ ويعادلهما يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٤٤٠ .

(٣) جاء فى النجوم الزاهرة ١١٤/٧ ، س ١٢ أن رئيس هذه السفارة هو خواجا كلال ، انظر أيضا فيما بعد ص ٢٠٢ س ١٣ وما بعده .

(٤) وذلك فى خط بين القصرين .

التي هي بخط بين القصرين إلى القلعة، والبلد في غاية مايكون من الزينة والشموع والمغاني والدفوف ، وقد اجتمع أهل القاهرة ومصر وضواحيها لينظروهم ، وحضر إليهم الحجاج[1] فأخذوهم بعد أن أمرت العساكر بالوقوف من تحت القلعة إلى باب القصر في وقت الخدمة الذي هو وقت دخولهم على السلطان ، فلما رأوا هذه العساكر ومثلوا بين يدي السلطان الملك الظاهر جقمق قبلوا الأرض ودفعوا للدوادار كتابا فقرئ على العساكر، مضمونه السلام على السلطان وتهنئته بالجلوس على تخت الملك وسرير السلطنة ، وقدمت الهدية فكانت صحنا[2] عليه مائتا[3] فص فيروزج ، ومن القماش الحرير إحدى وثمانون قطعة وجملة ثياب وفراء وقماش كثير ما بين سمور ووشق وسنجاب وغير ذلك من المسك الأذفر، وثلاثون[4] جملا من البخاتي الذين هم كل بختى بصنمين وغير ذلك ، بجملة قيمة الهدية خمسة آلاف دينار .

ثم قدمت هدية جوكي ولد القانشاه [رخ] بن تيمور كوركان وأعيد[5] الرسل إلى منزلهم ، ورسم أن يزداد في إكرامهم واحترامهم، وأن يبالغ في طعامهم وشرابهم

(١) لانعرف سر الزج بالحجاج هنا ، فليس بين كتب ذلك العهد مايشير إلى خروجهم لقاء رسل شاه رخ .

(٢) في الأصل « صحن » .

(٣) في الأصل « مائتي » ، على أن أبا المحاسن ذكر في النجوم الزاهرة ١١٣/٧، تفصيل هدية شاه رخ هذه بما لايكاد يخرج عما هو وارد بالمتن، ولكنه أورد أن فصوص الفيروز كانت مائة فقط ، أما هدية السلطان (نفس المرجع والجزء ، ص ١١٤) فكان فيها مخمل بوجهين أحمر وأخضر إلى غير ذلك مما أورده الصيرفي فيما بعد ص ٢٠٢ س ١٦ وما بعده .

(٤) في الأصل « ثلاثين » .

(٥) في الأصل « واعيدوا » .

وفوا كهم وحلواهم وشموعهم ، وأن يكون على أبوابهم عدة من الناس يتفقدون حوائجهم وعليقهم ، وأن تفرش لهم الدور من سائر الفرش وأحسنها حتى أنهم انبسطوا وامتلأوا رزقا ونعما .

وقلعت الزينة يوم الثلاثاء سابعه ، وكان أهل مصر قد بالغوا فى هذه الزينة وابتدعوا أمورا ونصبوا قلاعا وظنوا أنها تستمر أياما ، فقدر الله بانقضائها فى خير وسلامة .

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم الأربعاء وقد انحط البحر من الزيادة .

يوم الاثنين سادسه : أشهر النداء بأنه لاتخرج النساء إلى شوارع الطرقات إلا العجائز والجوارى — ولينه او دام — فامتنعن ، ثم اشهر النداء بأن يخرجن على عادتهن ولكن من غير تبرج ولا تبهرج .

يوم الخميس تاسعه خلع على شمس الدين أبى المنصور كاتب اللالا وأعيد إلى نظر الاصطبل عوضا من تاج الدين بن القلانسى .

يوم الجمعة عاشره : قدم الخبر بأن الغزاة[1] انتصروا على الفرنج ، ولله الحمد على ذلك ، إنه الولى والمالك .

يوم الأحد ثانى عشره : استدعى السلطان القُصّاد القادمين من القان شاه رخ الى بين يديه وقدم وليمة عظيمة كان هيأها لهم فأكلوا وشربوا ، ثم أخلع عليهم الأقبية الملونة بالطرز الزركش العراض ، وأنعم عليهم بالخيول الخاص وركبوا إلى دارهم .

(١) راجع ما سبق ص ١٩٦ س ٣ وما بعده .

الأثنين ثالث عشره : خلع على القاضي بدر الدين[1] أبو المحاسن محمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ شرف الدين عبد المنعم البغدادي الحنبلي ، وهو أحد نواب الحنابلة واستقر قاضي القضاة عوضا من شيخ الإسلام محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي بعد موته بسفارة الشيخ شمس الدين الكاتب الرومي ومساعدة شيخ الإسلام ابن حجر له ، وشهادته أنه يستحق ذلك .

يوم الثلاثاء حادي عشريه : وصل الغزاة في البحر ، وكان من أمرهم أنهم لما انحدروا إلى النيل من ساحل بولاق إلى ثغر دمياط وسافروا إلى جزيرة قبرص فقدم ملكها إليهم وقدم لهم الزوادة وما يحتاج إليه وساروا إلى العلايا ، فأرسل معهم متملكها غرابين مشحونين مقاتلة من الغزاة ومضوا إلى أردوس[2] وكان أهلها قد علموا بمجيئهم فاستعدوا لحربهم وقتالهم ، فكان بينهم قتال شديد طول ذلك اليوم ، فقتل من المسلمين إثنا عشر مملوكا وجرح خلق كثير . وأما الفرنج فقتل منهم خلق لا يعد ولا يحصى لكثرتهم ، فلما خلص المسلمون بعد تعب عظيم اجتازوا بقرية من قرى (رودس) فنهبوا وسبوا وقتلوا وأسروا وتوجهوا عائدين إلى دمياط . وقصدوا القاهرة وهم راكبون السفن على وجه البحر حتى وصلوا إلى ساحل القاهرة ، وانكشف الخبر على أن الذين توجهوا لا طاقة لهم بأهل رودس لكثرتهم .

---

(١) هو محمد بن محمد بن عبد المنعم المولود بالقاهرة سنة ٨٠١ ، وقد اهتم بعلوم عصره كما حفظ القرآن الكريم وأتقن تلاوته ، ودرس الفقه وعلم النحو والحديث ، وناب في القضاء عن بعض قضاة الحنابلة ، وولى قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ، وبرع في معرفة الشروط ، وضرب بسهم وافر في المذهب الحنبلي ، وكانت وفاته سنة ٨٥٧ .

(٢) يعني بلدك رودس .

ليلة الخميس ليلة ثالث عشريه : انهدمت قنطرة باب البحر خارج القاهرة ومات جماعة من المارين عليها رجالا وركبانا[(١)] .

يوم السبت خامس عشريه قدم كتاب الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة، مضمونه أنه تجهز للقدوم ودخل المسجد الحرام ليطوف طواف الوداع فتعلق به أهل مكة ما بين رجال ونساء وولدان وأطفال وتجار إلى غير ذلك، «[(٢)] وصاروا يقسمون على برب البيت أن أقيم ولا أسافر فإنهم لا يأمنون على أنفسهم ، وإنى أعرض هذا الامر على آراء مولانا المقام الشريف ، فإن اقتضت الآراء الشريفة أن أحضر حضرت ، أو أقيم أقمت » .

وقرين كتابه مطالعة الأمير سودون المحمدى الأمير المقيم بمكة يذكر فيه أن الحظ والصلح والرأى فى أن يقيم ولا يحضر ، فرسم بإقامته خوف أن يطالب فيتوهم ولا يحضر ، وأعفى من الحضور ولكن بعد أن قرر على قصاده أن يحملوا للسلطان عشرة آلاف دينار ، ورسم له بتشريف ، فوجه له .

* * *

يوم الثلاثاء ثامن عشريه : خلع على خواجى كلال رسول القان شاه رخ وخلع عليه خلعة السفر، وقد حصل له ولمن معه من العناية التامة والإنعام الجزيل ما لم يقع لرسول قبله .

وخلعته التى خلع عليه بها : حرير مخمل بوجهين وطراز زركش قيمته خمسمائة [مثقال ذهب[(٣)]]وقدم له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش قيمته ألف دينار ،

(١) فى الأصل « ركبان » .

(٢) الكلام الوارد بين حاصرتين هو من كلام الشريف .

(٣) فراغ فى الأصل وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ١١٤/٧ س ١٥ .

وجهز صحبته من الهدية سرج ذهب وكنبوش زركش وسيوف مسقطة بالذهب، وقماش حرير سكندرى وقيمة هذه الهدية سبعة آلاف دينار، وجملة ما صرف على الرسل خمسة عشر ألف دينار، فيكون المجموع اثنين وعشرين ألف دينار.

شهر جمادى الآخرة

أهل بيوم الجمعة.

يوم السبت ثانيه - وقيل ثامنه[1] - عقد مجلس بين يدى السلطان فى الحوش، وحضره القضاة الأربعة والعلماء والفقهاء وأفاضل الحسيليين وغيرهم بسبب أن أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى[2] الشافعى، كان بينه وبين شخص من الحنفية يسمى حميد الدين [بن تاج الدين النعمانى الفرغانى] قاضى الشام [الحنفى] مخاصمة، فتعصب على الكورانى جماعة بأنه سب عبد الحميد الذى يدعى أنه من ذرية الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه. وقال له: «أنت حمار» فأجابه عبد الحميد «أنت الحمار» فقال له الكورانى: «أنت حمار وأبوك وجدك وأسلافك» فقال: «أنا من ذرية أبى حنيفة»، فقال: أنت لست من ذرية أبى حنيفة. فادعى عليه بذلك عند السلطان وشهد بذلك

---

(١) الأصح أن يقال «تاسعه» خصوصا وأن المؤلف ذكر أن الجمعة كان أول جمادى الآخرة وهو التاريخ الوارد أيضا فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٢٢، علما بأن ابن حجر ذكر فى أنباء الغمر أن احضار ابن الكورانى كان فى الثانى منه وهو التاريخ الصحيح لهذا الحادث، يؤيد هذا أيضا الترتيب الزمنى اليومى الذى اتبعه الصيرفى فى إيراد الحوادث هنا، ذلك أنه بعد الفراغ من هذا الخبر ذكر ما جرى يوم الاثنين رابعه، انظر أيضا ص ٢٠٥ س ٦.

(٢) راجع عنه الضوء اللامع ج ١ ص ٢٤١، هذا ويلاحظ أنه كان فى ذلك الوقت ابن احدى وثلاثين سنة، إذ كان مولده سنة ٨١٣، انظر أيضا النجوم الزاهرة، ٧/١١٥

محمود بن عبيد الله الحنفى أحد النواب ، ثم إن السلطان فوض الدعوة لشيخنا الشيخ سعد الدين الديرى فتلعثم فيها وتعالل ، فرسم السلطان بنقله إليه ، وأمر الشيخ سعد الدين أن ينظر ما يترتب عليه فنزل ، وأحضروا إليه شاهدا آخر يقال له بدر الدين البلبى معروف ، فطعن فيه الكورانى فأمهل فى إبداء الدافع والمطعن ثلاثة أيام ، ثم بعد ذلك طُلب لمجلس السلطان كما قدمنا ، وعقد بحضور من تقدم ذكره ، وكان شيخنا القاضى بدر الدين العينى حاضرا أيضا لهذا المجلس وهو محتسب القاهرة .

فأول ما سأل السلطان من الشيخ سعد الدين الديرى : « إيش جرى ! » فصار الديرى يهلك و يعطط ، فكان جواب السلطان له : « خلِّ عنك هذا التوقف » ، فقال : « ثبت عندى تعزيره » فعند ذلك أحضروا الكورانى وأوقفوه ، فطلب السلطان العصى وأمر أن يشيلوا[1] رجليه ففعلوا وضربوه[2] سبعين ضربة عدّها السلطان من أولها إلى آخرها ، ثم رسم بإشهاره فى المدينة ، فشفع فيه الحاضرون من القضاة وأعيان المملكة ، فقُبلت شفاعتهم ورسم بنفيه إلى الشام ، فبقى ثم أخرج منها إلى البلاد المشرقية .

المذكور — أعنى الكورانى — قدم القاهرة قبل دخول سنة أربعين وثمانمائة ، وهو فى فقر وفاقة ، ولكنه عنده آلات العلوم ومشاركة فى الفنون وقابلية ولطف ، فاستدعاه المقر الجمالى ابن البارزى وقرّبه وأدناه ، وضاعف إحسانه عليه ، فعُرف عند الناس واشتهر بالفضيلة ، وتردّد إلى الأمراء والأعيان ، ولازم

---

(١) « يشول » كلمة مصرية دارجة بمعنى يرفع .

(٢) ذكر ابن حجر فى إنباء الغمر أن السلطان أمر أن يضرب عريانا فضرب خمسا وسبعين عصاة .

مجلس القاضى عبد الباسط وصار من أخصائه حتى إنه لم يفارقه منذ قبض عليه السلطان إلى أن أطلق ، وحصل وظايف ومرتبات ، وصار من جملة الذين يحضرون مجلس السلطان ، فعودى وحسد وتعصبوا عليه ، فحل به ما حل حتى أعيد فى المجلس السلطانى الذى كان يستعز به ، ولعله دعى عليه أن يؤخذ من الجانب الذى يأمن إليه ، وخرجت وظائفه ففرقها الناس ، وإلى الله ترجع الأمور .

يوم الاثنين رابعه : خلع على الأمير تمرباى[1] رأس نوبة النوب واستقر أمير حاج المحمل .

يوم الخميس سابعه[2] : خلع على الشريف بدر الدين حسن بن أبى بكر الفرا واستقر فى نقابة الأشراف عوضا عن الشريف حسن بن على .

يوم الخميس رابع عشره : قدم الأمير جلبان[3] نائب الشام فركب السلطان وتلقاه الى مطعم الطيور وأخلع عليه وأركبه فرسا[4] بسرج ذهب وكنبوش زركش ، هذا أول نزوله وغيابه عن القلعة

---

(١) لعله سيف الدين تمرباى السيفى الذى تنقل فى الوظائف من دوادار إلى أمير عشرة فأمير طبلخاناة فأمير مائة مقدم الف فوالى اسكندرية ثم صار رأس نوبة النوب سنة ٨٤٢ ، راجع عنه النجوم الزاهرة ٧ / ١١٧ ، ٢٢ ; ، والسخاوى ، التبر المسبوك ص ٦ .

(٢) فى الأصل « ثامنه » .

(٣) هو الأمير سيف الدين جلبان الؤيدى المعروف بأمير آخور الذى ولى نيابة الشام هذه السنة بعد ولايته نيابة حماة وطرابلس وحلب وقد وردت الإشارة إليه والى أعماله فى كثير من المراجع كالنجوم الزاهرة ج ٦ ، ٧ (انظر فهرستهما) ، وابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ حلب ، ص ٦ ، ٢٠٠ ، وصالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، ص ٢٦٠ وابن اياس : بدائع الزاهور ٢/٤٦ ، ٤٨ .
Van Berchem : Corpus Insc. Ar. (Egypte), t. I, P. 224 ;,op.cit. (Syrie), 68.

(٤) فى الأصل « فرس » ، أما فيما يتعلق بمطعم الطيور فقد كان هذا المكان مخصصا لطيور الصيد ورعايتها وهو على مقربة من بركة الحبش بالقاهرة ، انظر أيضا النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) ٩ / ٧٩ .

وجلبان هذا من مماليك الأمير تنبك أمير آخور الملك الظاهر برقوق ، رباه وأحسن إليه فى صغره، فلما مات تنبك خلفه بعده الأمير جركس المصارع وانتقل من خدمته إلى خدمة الأمير شيخ المحمودى وصبر معه فى تلك المعامع والفتن والمجريات حتى تسلطن فتقدّم عنده وترقى وأنعم عليه بأرزاق وخيرات ، وتوصل حتى وصل إلى نيابة الشام ، كما أوردنا ذلك مفصلا .

ليلة الاثنين ثامن عشره : حضر القاضى شمس الدين محمد بن على بن عمر الصفدى[1] قاضى القضاة الحنفية بدمشق مرسّما عليه بسبب ما وقع بينه وبين حميد الدين [النعمانى] الذى يقول إنه من ذرية أبى حنيفة رضى الله عنه ، فعقد لهما مجلس بين يدى السلطان ، فإن أعداء الصفدى نقلوا عنه أمرا يوجب التعزير وبلغوا ذلك للمسامع الشريفة ، فجهز له مملوكا من المماليك السلطانية لإحضاره وأخذ منه مائتى دينار تسفير ولم يثبت عليه شىء مما نسب إليه ، فانتصر على أعاديه وخلع عليه ، واستقر على عادته .

• • •

(1) الواقع أنه كان يعرف بابن الصفدى ، وكان مولده بحلب سنة ٧٧٥ ، وقد نشأ فقيرا ثم تكسب بالشهادة ، ثم قدم القاهرة سنة ٨٠٠ فى صحبة شيخه الملطى فأعجب به الجلال البلقينى وقربه إليه ، ثم تنقل بعد ذلك فى وظائف القضاء وباشر تدريس الخاتونية الجوانية بدمشق . وكان له حرمة فيها وتقاتلا عليها ، وقد أثنى عليه ابن حجر العسقلانى فى معرض محنته هذه ضد حميد الدين النعمانى . ومات سنة ٨٥٢ بدمشق معزولا ، راجع الضوء اللامع ٨ / ١٩٥ ، والدارس فى تاريخ المدارس ١ / ١٩٥ ، ٦٢٧ وما بعدها .

شهر رجب

أهل بيوم السبت .

يوم الاثنين عاشره : أنعم على الأمير طوخ[1] رأس نوبة ثانى بإمرة الأمير الطنبغا[2] المرقبى بحكم وفاته ، وخرج إقطاع طوخ باسم الأمير قانباى الجركسى[3] .

وفيه عين السلطان الأمير جانى[4] بك النوروزى المشهور بنائب بعلبك أن يتوجه إلى المدينة الشريفة وصحبته من المماليك السلطانية خمسون[5] مملوكا خارجا عن مماليكه تجريدة ليدفعوا عن أهلها من يظلمهم ، واستقل بالسفر يوم الجمعة رابع عشره .

---

(١) هناك أكثر من واحد يسمى كل منهم بالأمير طوخ وكان كل منهم رأس نوبة ثانيا وهو سيف الدين طوخ الناصرى المعروف بطوخ مازى ولكنه توفى سنة ٨٤٣ (ص ١٨٣ ترجمة رقم ٨٠٣ من هذا الجزء) وسيف الدين طوخ الناصرى المعروف باسم بنى بازق ، وقد كان أتابكا فى حماة ثم أمير عشرة فرأس نوبة فأمير طبلخاناه فرأس نوبة ثانيا فأمير مائة مقدم ألف سنة ٨٤٤ ، راجع عنه ابن اياس : بدائع الزهور ٢ / ٤٠ ، ٤٣ ، ٦٠ والنجوم الزاهرة ٧ / ١٠ ، ٥١١ ، ثم هناك سيف الدين طوخ الجكمى الذى صار رأس نوبة ثانيا سنة ٨٤٨ ، والأرجح أن الذى يعنيه الصيرفى هو المنعوت بغلوظ الرقبة

(٢) راجع النجوم الزاهرة ٧ / ٢٧٢ — ٢٧٣ ، والضوء اللامع ٢ / ٢٦ ١ .

(٣) راجع ابن إياس : بدائع الزهور ٢ / ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، والضوء اللامع ٦ / ٦٥٧ .
Van Berchem: Corpus Inscriptorum Arab. Nos. 260, 382

(٤) هو جانبك النوروزى نوروز الحافظى و يعرف بنائب بعلبك ، وذكر السخاوى (الضوء اللامع ٣ / ٢٤٧) انه أقام فى هذه السفرة بالمدينة عدة سنين ، وذكر أن وفاته كانت سنة ٨٦٥ . هذا و يلاحظ أنه غير آخر يحمل نفس الاسم وهو جانبك النوروزى نائب صهيون الذى كانت وفاته سنة ٨٥٤ ، وقد سماه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ٢٤٦ بنائب بيروت ، أنظر أيضا الضوء اللامع ٣ / ٢٤٨ ، وابن إياس : بدائع الزهور ٢ / ٤٥ .

(٥) فى الأصل « خمسين » .

وتوجه معهم جماعة منهم خاصكى لإحضار ولى الدين محمد بن قاسم فإن السلطان رسم بحضوره مرارا وأنعم على الخاصكى بأن يأخذ منه ألف دينار تسفيرة، ومنهم ناظر جدة القاضى تقى الدين عبدالرحمن بن تاج الدين عبدالوهاب ابن نصر الله[1] وغيرهما .

يوم الاثنين سابع عشره : صرف سراج الدين عمر الحمصى عن قضاء القضاة بدمشق ، ورسم السلطان بوظيفة القضاء للشيخ شمس الدين محمد الونائى الشافعى .

وفى هذا اليوم خلع على الأمير جمال الدين يوسف[2] بن محمد بن إسماعيل بن مازن ، واستقر أمير هوارة البحيرة عوضا عن على بن غريب .

يوم الخميس عشريه : قدم كتاب الغالب بأمر الله عبد الله بن محمد بن الأمير أبى الحشوش نصر بن أمير المسلمين أبى عبد الله بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أبى الوليد اسماعيل بن نصر متملك غرناطة ، مضمونه أن المسلمين فى هم وغم وشدة فادحة بغرناطة مع النصارى الذين هم من قرطبة وأشبيلية ، وسؤاله النجدة لينتصر على أعداء الدين .

وفى أواخر هذا الشهر — الذى هو رجب — رسم السلطان لبعض الأمراء العشرات أن يتوجهوا إلى الصعيد وصحبتهم مائتا[3] مملوك لأجل عربان [على] بن غريب .

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن نصر الله الفوى ، وكان ممن شغل وظيفة موقع الدست ونظارة الأوقاف ومات سنة ٨٩٦ ، انظر الضوء اللامع ٤ / ٢٩٦ .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ١٠ / ١٢٤٦ ، أنه استقر فى هذه السنة شيخ لهانه وأمير هوارة البحرية بناحية البهنساوية عوضا عن على بن غريب .

(٣) فى الأصل « مائتى » .

شهر شعبان

أهل بيوم الثلاثاء[١] .

فيه أضيف نظر دار الضرب بالقاهرة المحروسة إلى ناظر الخواص كما كانت العادة قديما ، عوضا عن الأمير جوهر[٢] القنقباى الخازندار والزمام بحكم وفاته .

يوم السبت سادسه أخلع على الأمير هلال[٣] الطواشى الأبيض شاد الحوش ونائب الزمام ، وهو أحد الخواص من الخدام عند الملك الظاهر برقوق، واستقر زمام الأدر الشريفة عوضا عن الأمير جوهر المذكور بعد وفاته .

سابعه : خلع على الأمير زين الدين[٤] عبد الرحمن بن علم الدين بن الكويز واستقر أستادار الذخيرة والأملاك والحامات عوضا عن جوهر .

ثامنه : خلع على الوليد جوهر[٥] التمرازى واستقر خازندارا عوضا عن جوهر المذكور بحكم وفاته .

---

(١) الوارد فى كل من النجوم الزاهرة ٧/١١٥ والتوفيقات الإلهامية ص ٤٢٢ ، أن أوله هو يوم الاثنين وهو الصحيح بدليل أن الصيرفى نفسه سيعود بعد قليل (سطر ٦) . فيجعل يوم السبت سادسه .

(٢) انظر فيما بعد ص ٢٢٥ ترجمة رقم ٨٢٥ عن جوهر الطواشى .

(٣) هو جلال الدين الرومى الظاهرى برقوق الطواشى وقد صار شاد الحوش زمن برسباى واستمر فى وظيفة الزمام هذه مدة سنتين حتى صرف عنها فى سنة ٨٤٦ .

(٤) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٤/٢٣٤ ، وكانت وفاته سنة ٨٧٧ .

(٥) راجع النجوم الزاهرة ٧/٣٠٩ .

يوم الأربعاء سابع عشره : خلع على الشيخ شمس الدين الونائي واستقر قاضي دمشق عوضا عن الحمصي .

يوم السبت عشريه : ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى خليج الزعفران وسبقه الطباخون[1] فمدت الأسمطة الجليلة الحائلة ، ثم بعدها الفواكه والحلوى والمشروب ، فأكل وشرب وانبسط ، ثم ركب بعد أن صلى الظهر ودخل من باب النصر وشق المدينة ، فدعوا له بالنصر والتمكين ، وهذا أول يوم شق فيه القاهرة وهو سلطان ، وكان لابسا ثياب جلوسه ولم تكن عادة الملوك ، وإنما الناصر فرج بن برقوق رخص في هذا الأمر فاقتدى به الملك المؤيد شيخ ومن بعده من الملوك ، وعدوا هذا من إضاعة قوانين المملكة وحرمتها .

وفي هذا الشهر برز المرسوم الشريف بإخراج الرزق الأحباسية [والجيشية][2] التي بالجيزة وضواحي القاهرة ، وآخر الأمر أخذ من الرزق الأحباسية عن كل فدان مائة درهم من الفلوس للوزير .

وفي آخر هذا الشهر خلع على عز الدين البساطي[3] المالكي واستقر قاضي القدس الشريف عوضاً عمن به .

(١) في الأصل « الطباخين » .

(٢) الإضافة من النجوم الزاهرة ٧/١١٦ ، س ١٨ .

(٣) هو العز محمد بن يوسف بن خالد بن نعيم : انظر عنه الضوء اللامع ١٠/٢٩٨ ، على أننا لم نجد في هذه الترجمة ما يشير إلى استقراره قاضي القدس في هذه السنة ، وكان موته سنة ٨٦٤ .

شهر رمضان

أهل بيوم الثلاثاء .

وصل الخبر من الشام بالقبض على قانصوه النوروزى[1] فرسم بسجنه بالقلعة بدمشق .

يوم الخميس عاشره : خلع على جارنا وصاحبنا الشيخ شمس الدين محمد بن عامر[2] أحد نواب الحكم المالكية ، وله مدة لم يحكم وإنما هو مقيم بداره يكتب على الفتاوى ، واستقر فى قضاء الاسكندرية عوضا عن جمال الدين عبد الله بن الدمامينى[3] .

يوم السبت ثامن عشره : خلع على القاضى معين الدين عبد اللطيف بن شرف الدين أبى بكر بن الأشقر واستقر نائب كاتب السر عوضا عن والده بحكم وفاته ، واستقر أيضا فى جميع ما كان بيد والده من الوظائف والمباشرات .

---

(١) كان قانصوه النوروزى حسن الرمى بالنشاب وإن وصفه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧/١١٧ فى الوقت ذاته بأنه من « كبار النجاميل الفلاسة المدبوزين » .

(٢) الصحيح أن يقال فيه « محمد بن محمد بن عامر » وقد ولد سنة ٧٩٥ ، ويشير السخاوى فى الضوء اللامع ٩/٢٤٦ إلى قصة استقراره فى قضاء الاسكندرية فيقول إنه لما قام سرور المغربى على قاضى الاسكندرية الجمال بن الدمامينى « حسن للظاهر جقمق عزله والاستقرار بابن عامر عوضه ففعل ، ثم لم يلبث أن أعيد الجمال ورجع ابن عامر إلى محل إقامته بالقاهرة » .

(٣) هو الجمال عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى بكر ، وقد ولى قضاء اسكندرية أكثر من ثلاثين سنة ، وكان كثير التظاهر بما ليس فيه حتى ركبته الديون ، هذا إلى قلة بضاعته فى العلم ، ومات سنة ٨٤٦ انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥/٤٩٦ والضوء اللامع ٤/١٩٨ .

وفى هذا الشهر برز المرسوم الشريف للأمير خشقدم[1] اليشبكى [الرومى] — مقدم المماليك كان — أن ينتقل من المدينة الشريفة إلى القدس الشريف .

سلخه : حضر الأمير طوغان[2] قز الأستادار من الوجه البحرى وقد أخذ الضيافات التى أحدثت .

• • •

شهر شـــوال

أهل بيوم الخميس .

يوم الجمعة ثانيه : كُتب بعزل ابن عامر من قضاء اسكندرية وطُلب ابن الدمامينى فقدم القاهرة فى يوم الثلاثاء ثالث عشره فخلع عليه فى يوم الخميس نصفه ، وأنفق مالا للسلطان وحاشيته .

يوم الاثنين تاسع عشره : خرج محمل[3] الحاج صحبة الأمير تمرباى رأس نوبة

(١) كان أصله لنائب الشام تغرى بردى اليشبغاوى الظاهرى والد المؤرخ أبى المحاسن يوسف فقدمه إلى برقوق ، فلما كان عهد جقمق حبسه بالإسكندرية أوالاته للملك العزيز يوسف بن برسباى ، ثم عاد فأطلقه ونفاه إلى المدينة المنورة ، ثم عفا عنه وأذن له فى الرجوع إلى القاهرة فمات بها سنة ٨٥٦ ، راجع عنه النجوم الزاهرة ٧/٢٨٦ — ٢٧٧ والضوء اللامع ٣/٦٧٧ .

(٢) راجع ما سبق ص ١٩٠ حاشية رقم ١ .

(٣) راجع ما سبق ص ٢٠٥ س ٦ — ٧ .

النوب وأمير الأول سودون [الإينالى المؤيدى المعروف بسودون] قراقاش[1] ، وسافر فى هـذه إلى الحجاز من المقدمين الألوف ثلاثة أمراء [هم] : تمرباى المذكـور وطوخ وتمراز [القرمشى] أمير سـلاح ، وسـبعة أمراء عشرات وطبلخانات ، منهم والى القـاهرة قراجا العمرى وسودون قراقاش الذى هو أمير [الركب][2] الأول ، فخرج من بركة الحاج الأمير تمراز أمير سلاح فى حادى عشريه وصحبته خلق كثير من الحـاج ، ورحل سـودون قراقاش عقبه بيوم ، ورحل الأمير تمرباى بمن معه ثالث عشريه ، وكنت فى هذه السنة مع الأمير تمرباى مسافرا للحج ، فإن والدى رحمه الله كان من أخصائه ، وكان بيـدى وظيفة نظر المحمل وحسبته ونظر المواريث .

ورسم السلطان لأمير الحاج وأمراء الأوّل أن لا يكلفوا أمير مكة وأمير المدينة وأمير الينبـع بدرهم واحد ، وكتب إليهـم بذلك ، وأكد السلطان ذلك على الأمراء عند وداعهم له ، وما أحسن هذا لو عملوا به ودام .

حادى عشريه : قدم ولى الدين محمد بن قاسم مضحك الملك الأشرف برسباى ونديمه ومن كان يستهزىء بالملك الظاهر وهو أمير ولا يلتفت إليـه ولا يعوّل

---

(١) فى الأصل « قرقس » لكنه ورد فى النجوم الزاهرة ٧/١١٧ س١٤ باسم « قراقاش » ، وانظر نفس المرجع والجزء والصفحة حاشية رقم « g » حيث أشار الناشر الأستاذ بوبر Popper إلى انه ورد فى إحدى نسخ المخطوطة التى راجعها باسم « قش » فقط ، ونضيف إلى ذلك أن اسمه الكامل هو سودون الإينالى المؤيدى شيخ و يعرف بقراقاش ، وكان من عتقاء المؤيد ، وكانت وفاته بجزيرة قبرص سنة ٨٦٥ ، أنظر ابن إياس : بدائع الزهور ٢ / ٤٨ ، ٦٣ ، وراجع أيضا
Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 1148.

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين للإيضاح .

عليه ويسميه المؤذن ، فرسم السلطان للأمير دولات باى الدوادار الثانى بتسلمه وأن يخلص منه مالا .

وفى هذا الشهر غاب ماء بحر يوسف على مدينة الفيوم فأخربها ، وأخلاها أهلها لغابته على أراضيها .

شهر ذى القعـدة

أهل بيوم الأحد .

يوم الاحد سابعه[1] : قـدم الأمير قانباى الحمزاوى نائب حلب باستدعاء ، فركب السلطان ولاقاه إلى مطعم الطيور وخلع عليه وعاد السلطان وهو فى خدمته إلى أن صعد القلعة ، وتوجه نائب حلب لدار أعدت له فنزلهـا وهى دار نوروز الحافظى التى بالرميـلة ، وقدم من الغد تقدمته وهى ثلاثون مملوكا ومائة رأس من الخيول البغال ، وأما من الهجن فنحوا من خمسين . وأما السنجاب والسمور والوشق والبعلبكى فكذا وكذا لعلهم نحو المـائة ، وذكر أن فيها ذهبا وفضة لا أعلم كميتهـا .

يوم الاثنين[2] حادى عشره : قرر على ولى الدين محمد بن قاسم خمسة عشر ألف دينار يحملها ، وأفرج عنه .

وفيها زاد النيل ذراعين ونصفا وصار من إثنى عشر ذراع ونصف ، والوقت الآن زمن الربيـع ، والشمس فى برج الحمل والموافق من شهور القبط برامودة ،

(١) الاصح أن يكون « ثامنه » .

(٢) يظهر أن فى هذا غلطا ، والأرجح أن يكون « الأربعاء » .

وهذا الأمر من الغرائب، إلا أنه اتفق في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة نظير هذا .

حادي عشريه : خلع على نائب[1] حلب واستقل بالسير إلى محل كفالته .

وفي هذا اليوم رسم لأيتمش الخضري أن لا يجتمع بالسلطان، ولله الحمد على ذلك .

• • •

شهر ذي الحجة

أهل بيوم الأحد .

في يوم الأربعاء خامس عشريه : قدم مبشرو الحاج وأخبروا بكثرة الرخاء والأمن والمراعي والسلامة ، إلا أنه وقعت واقعة بين أمير ركب الركبيين وبين حجاج ينبع ، وقتل من الينابعة نحو من عشرين رجلا ، وكانت الوقعة بالقرب من خليص .

وضبط مصروف السلطان من حين موت الأشرف برسباي وإلى أواخر هذه السنة — وذلك ثلاث سنين — ما بين نفقات المماليك السلطانية وإنعام على الأمراء والتركمان وثمن مماليك اشتراهم ونفقات التجاريد وغير ذلك فكانت ثلاثة آلاف ألف دينار ذهبا ، وهي التي خلفها الملك الأشرف برسباي من الذهب والفضة والبهار والخيل والجمال وثياب الحرير والبعلبكي وأنواع الفرو، ومن الغلال والسكر والأعسال والسلاح وغير ذلك مع ما دخل الخزانة الشريفة في سلطنته وهو نحو خمسمائة ألف دينار ، فأنفقه جميعه . والله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب .

• • •

(١) يعني بذلك قانباى الحمزاوى الذى كان أصله لنسم الحسنى ثم لسودون الحمزاوى ، وكان مماليكه قد أسرفوا فى ظلم الأهالى بدمشق .

وفى هذا الشهر نقص النيل ثم زاد حتى بلغ إثنى عشر ذراعا وذلك فى بشنس من شهور القبط .

* * *

وفى هذه السنة تجددت أماكن وعمرت جوامع وخطب فيها ، منها مشهد السيدة رقية بالقرب من المشهد النفيسى جدده السيد الشريف بدر الدين حسن نقيب الأشراف . [ومنها] تجديد عمارة جامع الصالح طلائع بن رزيك خارج باب زويلة ، وصنع ذلك رجل من الباعة[1] .

---

(١) أما هذا البائع فيسمى بعبد الوهاب العينى ، ذكر ذلك أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ١١٨ ص ٨ — ٩ ، أما فيما يتعلق بجامع ابن رزيك فهو من إنشاء الصالح طلائع بن رزيك ، وكان يقع خارج باب زويلة وعمر زمن الدولة الفاطمية ، وقيل إن سبب إنشائه أن الصالح طلائع أراد أن يبنيه لينقل اليه رأس الحسين بن على بن أبى طالب من عسقلان حين خاف على عسقلان من هجوم الصليبيين عليها ، وقد بنى الصالح صهريجا كان يملأ من ساقية على الخليج قرب باب الخرق ، وقد أقيمت فيه الخطبة سنة بضع وخمسين وستمائة ، وكان الصالح فى الأصل من فقراء الشيعة الإمامية ، وقد وفد إلى مصر استجابة لحلم رآه له بعضهم وهو فى النجف الأشرف بأنه سيكون له شأن ضخم فى مصر بخاء ، وتقلبت به الأحوال ولكنها كانت تصعد به دوما ، وكان مقصودا من الجميع لاسيما أهل العلم ، وقد أفرد الدكتور أحمد فكرى صفحات كثيرة من كتابه مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ١ ص ١١٠ — ١٢١ لجامع الصالح طلائع الذى لم يصبح جامعا إلا بعد قرن من الزمان من إنشائه حين أقيمت به أول خطبة للجمعة زمن المعز أيبك التركمانى سنة بضع وخمسين وستمائة ، وجاء فيه أيضا أنه كان يسمى بالمسجد المعلق لأنه كان مقاما على أبنية طابق تحت سطح الأرض ، أما من الناحية المعمارية فيذكر فكرى (نفس المرجع ، ص ١١٤ حاشية رقم ١) أن بعض الأثريين يفترضون أنه لم يكن للصحن رواق فى مؤخره لأن البابين المفتوحين على الصحن من شرقيه وغربيه كانا يجب أن يقعا فى مستوى يجتازه الى البيت ، وقد أشار الى أن أرضية المسجد المقامة فوق الحوانيت كانت تعلو مترا عن مستوى الشارع وترتفع جدران المسجد فوق هذه الأرضية خمسة عشر مترا .

وجدّد أيضا جامع الفا كهانيين بشارع القاهرة بالقرب من حارة الروم وجامع الفخر بخط سويقة الموفق قريب من بولاق .

وفى يوم الجمعة رابع شهر رمضان أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه جوهر نائب مقدم المماليك بالرميلة مقابل القلعة .

وفى أول شوال أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه تغرى بردى البكلمشى الدوادار الكبير بخط الصليبة .

وانتهت هذه السنة على ما رأيت وسمعت ، والله الدائم على الدوام .

* * *

ذكر من توفى فى هذه السنة

ممن له ذكر من العلماء والفضلاء والرؤساء والأعيان

(٨١١) — قاضى القضاة باليمن، موفق الدين على بن أبى[1] بكر الناشرى فى خامس عشرين صفر بمدينة تعز وقد جاوز التسعين ، وكان لابأس به فى دينه ودنياه .

(٨١٢) — وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير منجك اليوسفى فى يوم الأحد خامس[2] شهر ربيع الأول وقد بلغ من العمر سبعين سنة بالشام، وكان عفيفا عن المحرمات والمنكرات، دينًا ، مقبول الكلام عند الملوك والسلاطين ، ومستشارهم فى الأمور . حظى فى الدولة المؤيدية شيخ

(١) فى الأصل « أبو » .

(٢) فى النجوم الزاهرة ٧ / ٢٧٠ « خامس عشر » .

بالكلمة المقبولة والقرب من الملك، وكان يركب هو والسلطان ويسيران فى الحوش الذى بالقلعة تحت الدهيشة مرارا . وفى الأيام الأشرفية برسباى تقدم فيها أكثر من أيام شيخ . وكان يحضر فى كل سنة إلى مصر فيشتى بها ويصيف بالشام ، وكلما حضر قدّم للسلطان تقدمة ، وينزله ويؤاكله وصاحبه الزين عبد الباسط ، وكان له دنيا واسعة وكرم مخصوص وأفضال على أقوام يتفقدهم بدمشق . وكان مغرما بالصيد، محترما مهابا جميل الخلق والخلق .

(٨١٣) — وتوفى سعد الدين إبراهيم بن المرة بالقاهرة واستراح، فإنه تعطل من المباشرة وخمل ، ولزمته ديون حبس بسببها ، وسأل من كان يسأله .

[ومات] فى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخرة وكان له مكارم ومحاسن وأفضال ، وكان ذا[1] حشمة وفخار ، متلفا لماله ومبذره ، عفا الله عنه .

(٨١٤) — وتوفى مبارك شاه قاصد القان شاه رخ بغزة وهو متوجه إلى مرسله فى يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخرة . وكان فاضلا عارفا حاذقا ذكيا عاقلا متواضعا .

(٨١٥) — وتوفى الخواجة كيلان[2] بن مبارك شاه المذكور بعد وفاة والده ، فإنه قدم إلى القاهرة بعد وفاة والده وهو متمرض فدفع للسلطان الهدية والكتاب المجهزين لابن عثمان متملك الروم، وازداد مرضه فمات فى يوم الثلاثاء سابع جمادى الأولى ودفن خارج باب النصر بالقاهرة ، ثم نقل هو وأبوه إلى القدس فدفنا هناك حسبما سألا فى ذلك .

---

(١) فى الأصل « ذوا » .

(٢) فى الأصل « كنلان » والصواب ما أثبتناه .

(٨١٦) — وكذا توفى القاضى شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن رسلان البلقينى المعروف بالعَجَيْمى[1] والد هذا الخلف الذى هو الآن عوضه فى قضاء المحلة . وكان استولى على أوقاف الحرمين وأكل أموال الأيتام وتجاهى[2] على سيدنا ومولانا قاضى القضاة شرف الملة والدين يحيى[3] المناوى شيخ الإسلام ، وتعصب له بعض جماعة من الذين لا يفرقون بين الحق والباطل ، وآخر الأمر أنه سُلِّم لنقيب الجيوشى على أن يؤدى ما فى جهته للسلطان الملك الظاهر خشقدم فى يوم الاثنين حادى عشرين سنة سبعين وثمانمائة ، فإن مولانا وشيخنا شيخ الإمام المذكور قام بهذا المال من ماله واقترض حتى جهزه لأربابه ، وصار هذا المذكور يتجاهى عليه فاحتاج أن أحال به السلطان ، فالله تعالى يمد فى بقائه ويحفظه على المسلمين دواما بمحمد وآله وصحابته .

ولنرجع إلى ما نحن فيه فان هذه جملة معترضة .

---

(١) فى الأصل « العجمى » والتصويب من الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) يشتق الصيرفى هذه الكلمة من « وجاهة » ويقصد بها أنه تعالى على الشيخ يحيى المناوى .

(٣) انظر عنه البقاعى : عنوان العنوان ، ويلاحظ أن السخاوى حين ذكر وفاة أحمد بن أبى بكر بن رسلان فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٥٤ س ٤ — ٥ قال « صلى عليه عمر ولده وهو المستقر فى قضاء المحلة بعده » لكن لم أجد ترجمة لعمر هذا عند السخاوى بل الذى وجدته أنه قال فى نفس المرجع ، ج ١١ ص ٢١٤ « أحمد بن أبى بكر بن رسلان بن نصير وابنه أوحد الدين محمد » ولم يذكر له ابنا اسمه عمر ، ثم وجدت ترجمة لأوحد الدين محمد هذا فى نفس المرجع ، ٢٩٦ — ٢٩٧ يشير فيها إلى توليه القضاء بعد أبيه حيث قال « وولى قضاء المحلة شريكا لأبيه ثم بعده استقلالا إلى أن مات سنة ٨٨٧ بالمحلة » ، ومعنى هذا أن الشخص المقصود فى المتن هو أوحد الدين محمد .

توفى العجيمى المذكور يوم الثلاثاء رابع[1] عشر جمادى الأولى وكان يستحضر فقه السادة الشافعية .

(٨١٧) — وتوفى قاضى القضاة محب الدين أبو الفضل أحمد شيخنا ، وقرأنا عليه واستفدنا منه وأجازنا .

[وهو] ابن الشيخ جلال الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التسترى[2] البغدادى الأصل والمولد والمنشأ ، الحنبلى ، [مات] فى يوم الأربعاء خامس[3] عشر جمادى الأولى ، وولد بمدينة بغداد فى شهر رجب عام خمس وستين[4] وسبعمائة ،

(١) هــذا هو التاريخ الوارد فى ابن حجر : إنباء الغمر فى ترجمته للبلقينى ، على أنه ورد فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٤ ، أنه مات عصر الاثنين ١٣ جمادى الأولى ، هذا وقد علق البقاعى على خبر موته فى نسخة الإنباء المحفوظة بالهند بقوله : « إنه مات فى عصر يوم الاثنين ثالث عشره » .

(٢) وردت بهذه الصورة أيضا فى الضوء ٢ / ٦٥٦ ، لكن أبا المحاسن ذكرها « الششترى » فى النجــوم الزاهرة ٧ / ٢٧١ ص ١٠ ، وعلى أية حال فالنسبة إلى تستر الــتى هى قاعدة اقليم خوزستان ، والتى سماها العرب بهذا الاسم ، أما الفرس فيسمونهــا أحيانا « شوستر » وأحيانا أخرى « شوشتر » كما أشار إلى ذلك لى سترانج بناء على ما توفر لديه من المراجع الجغرافية العربية والفارسية ، كما نقل عن المقدسى أن بساتين الأترج والعنب والنخل كانت تحف بالمدينة « وليس بالاقليم أطوب ولا أحصن ولا أجل من هذه المدينة » « وكانت أسواقها عامرة ، وهى معدن كل حاذق فى عمــل الديباج والقطن » ، راجع لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٦٩ — ٢٧٠ .

(٣) فى الأصــل « خامس جمادى الأولى » لكن راجع النجوم الزاهرة ٧ / ٢٧١ ، على أن الوارد فى جدول سنة ٨٤٤ بالتوفيقات الإلهــامية ، ص ٤٢٢ ، أن الأربعاء هــو أول جمادى الأولى من هذه السنة .

(٤) فى أبى المحاسن : نفس المراجع والجــزء والصفحة « خمس وسبعين وسبعمائة » ، أما الضوء اللامع فقد جعل ولادته كما بالمتن سنة ٧٦٥ ، على أننا بمطالعة ترجمته فى إنباء الغمر نجد أن ابن حجر يقول : « مات عن أكثر من ثمــانين سنة ، ثم ذكر لى ولده أوحد الدين محمد أنه ولد سنة ٧٦٧ فأكمل سبعا وسبعين سنة » .

وكان قدومه القاهرة فى سنة ثمان وثمانين[١] ولزم الشيخ صلاح الدين بن الأعمى الحنبلى وتفقه به وواظب مجالسه ، ثم واظب شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى والشيخ سراج الدين بن الملقن فصار بارعا فاضلا فى كل من الفقه والأصول والحديث والنحو ، ولازم القراءة بنفسه والسماع على المشايخ فى عدة من الكتب . وناب فى القضاء عن قاضى القضاة ابن المغلى ، ثم ولى قضاء القضاة بعده سنينا إلى أن مات .

وأفتى ودرس فى عدة مواضع ، ولم يخلف بعد ابن مغلى فى الحنابلة نظيره . قال الشيخ تقى الدين المقريزى لما ترجمه « ولم أعلم فيه ما يعاب به لكثرة نسكه ومتابعته للسنّة إلا أنه ولى القضاء ، فالله يرضى عنه أخصامه . » قلت : لم يشع عنه ولا قيل إنه فى ولايته للقضاء حاف على خصم ولا التفت إلى شىء من حطام الدنيا ، إلا أن ولده موفق الدين[٢] رحمه الله كان هو القاضى ووالده آلة . وكان له دوادار يسمى ناصر الدين محمد بردادار القاضى كمال الدين البارزى كان فى بابه مشهورا ذكيا ، فأخذ السلطان يوقع به أمرا ففر إلى الشام ، وخدم القاضى كمال الدين البارزى بها . رحمه الله .

وقال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه[٣] بعد ما أثنى عليه : « تولى عوضه القاضى بدر الدين بن القاضى ناصر الدين عبد المنعم البغدادى وكان أحد نوابه وليس عنده من العلم إلا قليل » .

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٧ / ٢٧١ أنه قدم القاهرة فى أول القرن .

(٢) هو موفق الدين محمد بن أحمد بن نصر الله وكان قد احترف التجارة ، وقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٧ / ١٥٢ أنه مات بالاسكندرية دون أن يعرف تاريخ وفاته ، لكنه قال « إنه كان حيا سنة ٨٥٤ أو قريبا » .

(٣) أى فى كتابه عقد الجمان .

وقال غيره : « لا قليل ولا كثير » .

قلت : بل كان فيه خدم للأكابر[(١)] ، إن مرض أحد منهم فهو يعوده ، وإن أوصى أحد منهم فهو الموصى له ، وإن ولى أحد منهم فهو المبشر له ، وإن مات أحد منهم فهو السابق لصلاته ودفنه ، وإن عمل أحد منهم فرحا فهو أستادار الصحبة .

قربه الصفتي[(٢)] عند السلطان ، وسبب ولايته أن كان ملازما في الغالب مجلس شيخنا ابن حجر في الليل فسعى له عند السلطان بسفارة شمس الدين الكاتب ، فلما ولى تعاظم على أقرانه وصار متأنقا في مأكله ومشربه وملبسه . رحمه الله .

(٨١٨) — ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن عيسيلى[(٣)] الحنبلى أحد أعيان نواب الحنابلة بالقاهرة في يوم الخميس ثالث عشرى[(٤)] جمادى الأولى ، وكان رئيسا عفيفا كثير الصلاة والتلاوة والذكر فاضلا مشكور السيرة .

(٨١٩) — ومات الأمير ناصر الدين محمد أبو والى[(٥)] بالشام ، وكان قد تولى

---

(١) يقصد أن يقول « في خدمة الأكابر » .

(٢) هو الواوى محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج الصفطى المولود بالقاهرة في أواخر العقد الأخير من القرن الثامن الهجرى ، وكانت وفاته سنة ٨٥٤ ، وقد أوجز حياته أبو المحاسن في قوله « صاحب العظمة في أوله ، والأهوال في آخره » ، انظر ترجمته بالتفصيل في النجوم الزاهرة ١٥/ ٥٥٥ — ٥٥٨ ، والضوء اللامع ٧ / ٢٥٦ .

(٣) في إنباء الغمر « عيسى » .

(٤) في الأصل « ثالث عشر » ، لكن انظر التوفيقات الإلهامية ص ٤٢٢ حيث أول جمادى الأولى الأربعاء ، راجع حاشية رقم ٣ ص ٢٢٠ .

(٥) الوارد في النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٢ أنه يعرف « بابن بوالى ، وهو اسم كردى غير كنية » .

أستادارا فى الأيام المؤيدية شيخ ، ثم نقل إلى دمشق واستقر بها أستادارا ، وهو من أكابر الظلمة [مات] فاستراح وأراح الله البلاد والعباد منه ومن ظلمه .

(٨٢٠) — ومات أمين الدين عبد الله بن سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين موسى فى يوم الأحد ثالث[1] شهر جمادى الأولى وكان من الرءوس الضخمين فى أيام والده سعد الدين ناظر الخاص ، وتولى بعده نظر الاصطبل مدة ، ثم انحطت مرتبته وأقعد ولكن له مرتبات فى كل يوم على الديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص وغير ذلك ، مجموعها فى الشهر مائة دينار .

وكان كثير النوادر والحكايات والمداعبات ، اختص بمعرفة الأكابر من المباشرين ، ولزم مجلس القاضى زين الدين عبد الباسط ، وكان إذا دخل إليه حمله خدمه حتى يجلسوه ، ثم يحملوه[2] حتى يركب ومعه طشت وإبريق فإنه ما كان يقدر يكتم البول والغائط ساعة ولا أقل من ساعة .

وحج غير مرة وكان يُحمل حتى يطوف بالبيت ، وبذر أموالا فالبها على الخدم ، وكان خفيف الروح ، حلو المفاكهة .

عفا الله عنه .

(٨٢١) — وتوفى الأمير سيف الدين ألطنبغا المرقبى وهو من المؤيدية ، ولاه المؤيد فى أيام تلك الفتن والأهوال قلعة المرقب من أعمال طرابلس فدام بها

(١) جعل ابن حجر فى إنباء الغمر (الجزء الرابع تحت الطبع) وفاته فى « الثانى من جمادى الآخرة » ، على حين أن الضوء اللامع ٥ / ٤٤ ١ جعله السادس من جمادى الآخرة ، ويلاحظ أن السخاوى سماه « عبد الله بن أبى الفرج بن موسى » (لعلها موسى) بن إبراهيم » كما ذكر أنه ألف فى حدود سنة ٨٢٤ ، وكان أديبا حسن العبارة ، كما نقل السخاوى عن البقاعى له مواليا .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصحيح « يحملونه » .

مدة نُعرِّف بها ، فلما تسلطن [شيخ محمودى] قربه وأدناه وجعله أمير مائة مقدم ألف وحاجب الحجاب بالديار المصرية ، ثم بعد أن مات المؤيد صار خاملا كابيا متلاشيا متعطلا ، فلما ولى السلطان الملك الظاهر جقمق شم النسيم[1] واغتدى وترعرع وانتعش ، وبقى من جملة الأمراء المقدمين الألوف حتى مات فى يوم الاثنين عاشر[2] شهر رجب . قال شيخنا قاضى القضاة العينى : « وأنعم السلطان بتقدمته على الأمير طوخ غليظ الرقبة ، وكان مع طوخ طبلخاناه ورأس نوبة ، وأنعم بإقطاع طوخ على الأمير قانباى الجركسى شاد الشرابخاناه ، وأعطى إقطاعه لشخص[3] ما وقفتُ على اسمه » .

(٨٢٢) — وتوفى زين الدين قاسم بن البشتكى فى يوم السبت ثامن شهر رجب بناحية يُبْنَى[4] من عمل فلسطين ولم يدفن إلا فى يوم الاثنين عاشره ، وكان كثير الحشمة والهيئة الجميلة والرياسة والأدب .

(٨٢٣) — وتوفى الأمير ممجق [بن عبد الله النوروزى] نائب القلعة فى أول يوم من شهر رجب ، وهو نشو الملك الظاهر جقمق .

---

(١) يقصد بهذا أنه ظهر وقوى شأنه .

(٢) هكذا أيضا فى الضوء اللامع ٦٤٨/٦ ، أما فى إنباء الغمر فهو أول رجب وأما فى النجوم الزاهرة فثانيه .

(٣) لم أستطع الاستدلال على اسم هذا الشخص ، فقد خلت من الإشارة إليه تراجم كل من الطنبغا المرقبى (الضوء اللامع ١٠٢٦/٢) ، وقانباى الجركسى (نفس المرجع ٦٥٧/٦) وطوخ غليظ الرقبة (نفس المرجع ٢٩/٣) .

(٤) عرفها ياقوت فى معجمه بأنها بلد قرب الرملة ، وأن فيها قبرا لأحد الصحابة يقول البعض إنه قبر أبى هريرة ، والبعض الآخر أنه قبر عبد الله بن عبد الله بن أبى سرح ، أنظر أيضا :
Le Strange: Palestine Under The Moslems, P. 553.

(٨٢٤) — وتوفى القاضي الرئيس الوجيه وجيه الدين[1] بن سويد المالكي المصري ليلة السبت السابع من شعبان ودفن في مدرستهم .

(٨٢٥) — ومات الأمير صفي الدين جوهر طواشي القنقبائي[2] اللالا زمام الأدر الشريفة وخازن دار السلطان عن سبعين سنة ليلة الاثنين ، وصلى عليه يوم الاثنين مستهل شهر شعبان قدام باب القلعة ، وحضر السلطان والأمراء وأعيان المملكة الصلاة عليه ، ولم يحضر القاضي الشافعي ابن حجر ، ودفن بمدرسته التي أنشأها ملاصقة للجامع الأزهر الذي فتح لها بابا إليه ، وصار غالب الناس يصلون الجمعة فيها ، قال قاضي القضاة بدر الدين العيني : « وأفتى بصحة ذلك من كان يخدم للجاه ، وامتنعتُ من الفتوى بجواز ذلك » ، ولنذكر ماجرياته حتى ترقى . من أصلها هو أن الحطي داود بن سيف أرعد ملك بلاد الحبشة جهزه إلى السلطان الملك الظاهر برقوق صحبة هدية أهداها ، فأنعم به السلطان على الأمير قنقباى اللالا — لالا المقام الناصري — محمد ولد المقام الشريف فأحسن تربيته وأقرأه القرآن إلى أن كبر فخدم بعد أستاذه قنقباى عند جماعة من الأمراء زماما لدورهم ، وقاسى تغيرات الدهر وخطوبه ألوانا ، وخدم عند ابن الكويز والد عبد الرحمن إلى أن مات وسأل أن يكون زماما لدار الزيني عبد الباسط لما قبله ، فصار منفردا بالكلمة مع وجوده ، ثم استدعاه الملك الأشرف برسباى واستقر به خازندارا كبيرا فاحتوى على عقل السلطان وتقرب منه وطالت يده وباعُه في تحصيل

---

(١) هو وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن بن سويد ، وكان متزوجا من ابنة الفخر القاياتي ، وقد ذكر الضوء اللامع ٣/١٤ ، أنه مات ليلة سادس شعبان ، وكان في أخريات أيامه قد تعاورت عليه الأمراض حتى غلب عليه الزحير ثم حبس الإراقة .

(٢) سمى بذلك لأنه كان من خدام الأمير قنقباى الأبلالي العلائي ثم من بعده لخوند تنقباى أم الملك المنصور عبد العزيز .

الأموال لذخيرة السلطان ، وضبط أموال أستاذه بعفة وشهامة وضخامة ورياسة .

ولما مات الأشرف أضيفت له أزمة الدور السلطانية عوضا عن أخيه جوهر .

وكان عفيفا عن سائر المنكرات . له بر وأفضال مع عقل زايد . ولا سمع منه فى مجالسه شىء[1] من الهزليات . [وكان] مهابا وافر الحرمة يتلو القرآن الكريم بالسبع ، إلا أنه ابتلى بخدمة السلطان وتعب فى رضاه ، وسلك فى خدمته المهالك ، حتى أنه لم يكن فى آخر دولة الأشرف [برسباى] أحد أخص منه بالسلطان ولا أجدر بمكانته ولم ينكب قط . وخلف أموالا كثيرة من سائر الأصناف لاتعد ولا تحصى لكثرتها استولى عليها السلطان ، ولم يصرف لتكميل عمارة مدرسته ولا الدرهم ، حتى ولا نزّل شيخاً ولا طلبةً . وقال شيخنا البدر العينى رحمه الله فى تاريخه : « لم يظهر منه معروف لا فى حياته ولا فى مرض موته ، وكان محبا شرها للدنيا مشبكا » .

وقال الشيخ تقى الدين المقريزى : « ولم يخالف فى أبناء جنسه مثله[2] » .

ودخلت إليه مرة فسألته فى شىء مرتب فأنعم به وأكرمنى وأحسن الىّ ، فعفا الله عنه وسامحه . آمين .

---

(١) فى الأصل « شيئا » .

(٢) قال أبو المحاسن فى ترجمته إياه إنه « كان أحد من أدركناه من عقلاء الخدام » .

(٨٢٦) - ومات القاضي شرف الدين أبو بكر بن سليمان الأشقر المعروف بابن العجمي[١] الحلبي نائب كاتب السر في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان وقد أناف على الستين . وهذا الرجل حضر من حلب في أيام الأمير جمال الدين الأستادار، وعنده[٢] يومئذ ابنة أخي جمال الدين فقربه عنده، واستقر في توقيع الدست عند الأمير الدوادار الكبير[٣] فصار معـدودا من الرؤساء بالقاهرة إلى أن زالت أيام جمال الدين فنكب مع من نكب من خواصه وأتباعه والزامه[٤] نكبة فظيعة ولكن الله سلمه منها بعد أن أشفى على التلف ، فلما كانت الأيام المؤيدية شيخ رجع إلى غزة و باشر التوقيع عند الأستادار مدة سنين ، ثم إنه رغب عن ذلك و باشر التوقيع في ديوان الإنشاء مع القاضي بدر الدين بن مزهر كاتب السر .

ثم لما توفي ابن مزهر رحمه الله استقر بعـد وفاته نائب كاتب السر فصار حَلَّ الديوان وعقده عليه ، ومرجع مايعول في الأمور إليـه ، ثم ولي كتابة السر بحلب مدة سنين ،ثم رغب عنها لولده معين الدين عبد اللطيف ورجع إلى نيابة كتابة السر حتى توفي .

وكان عارفا بصناعة الإنشاء ، ماهرا باهرا لطيف الفكاهة جميل المنظر ، له تودّد وتواضع و رياسة وحشمة ، مذكورا بالفضيلة مشكور السيرة بشوشا .

---

(١) في الضوء اللامع ١١/ ٩٠ ص ٣٢ « سبط بن العجمي » أما النجوم الزاهرة فقد ذكرته كما جاء بالمتن مما يدل على نقل للصيرفي من أبي المحاسن .

(٢) الضمير هنا عائد على بن الأشقر لأنه كان متزوجا بابنة أخي الجمال الأستادار المرى .

(٣) وكان يومئذ قجاجق الظاهري برقوق الذي ولاه فرج إلى الدوادارية الكبرى ، وقد يسمى أيضا قجاجق كما نص على ذلك السخاوي في الضوء اللامع ٦/٦٩٨ .

(٤) أي من يلوذ به و يلازمه .

(٨٢٧) — وتوفى العبد الصالح المعتقد شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن ابن رسلان الشافعى، الفقيه الفاضل المحدّث البارع المفسر المحقق المدقق بمدينة القدس فى يوم الاثنين ثانى عشرين شهر رمضان[1] عن نيف وسبعين سنة، وهو ملازم العبادة وقيام الليل والتهجّد والنسك، ولم يخلف فى بلاده نظيره فى العلم والصلاح.

(٨٢٨) — وتوفى القاضى شمس الدين محمد بن شعبان المحتسب بالديار المصرية كان، وعزل عنها مرارا وعاد إليها كذلك، وكان لطيفا فى شغله، وليس له فضل فيذكر به ولا فضيلة[2].

مات فى يوم الاثنين ثالث عشرين ذى القعدة[3] وقد زاد على الستين سنة.

---

(١) الوارد فى إنباء الغمر «٢٢ شعبان» ولعله الأصح فإن أوله الاثنين، أنظر التوفيقات الإلهامية ص ٤٢٢، وإن وردت الإشارة إلى شهر شعبان فى كلام ابن أبى عذيبة كما سيلى، أما السخاوى فلم يزد فى الضوء اللامع، ج ١ ص ٢٧٨ عن قوله انه مات فى رمضان دون ذكر اليوم والتاريخ، ثم قال عقب ذلك «قال ابن أبى عذيبة: فى يوم الأربعاء رابع عشرى شعبان» ومما يؤيد أن وفاته كانت بشعبان كما نقله السخاوى فى نفس المرجع والجزء، ص ٢٨٧ س ٧ — ٨ عن ابن قاضى شهبة من قوله، «انهم صلوا عليه فى دمشق صلاة الغائب بالجامع الأموى يوم الجمعة رابع رمضان» وعقب السخاوى على ذلك بقوله «وهذا يؤيد أن موته فى شعبان».

(٢) لذلك وصفه النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٤ بأنه «كان عاميا يتزيى بزى الفقهاء» كما جاء فى ترجمته بالضوء اللامع ٧/ ٦٧٥ أن المؤيد ضرب به مرة على رجليه وألزمه بعدم السعى فى الحسبة التى كثرت مرات توليه إياها حتى بلغت على مدى عمره عشرين مرة، وكان هو يفتخر فى أخريات أيامه بذلك لولا أن سفهه أبو المحاسن حيث قال له «هذا هجو فى حقك لا تتكلم بعد ذلك لأنك تسمى ولى ثم تعزل بعد أيام قلائل».

(٣) الوارد فى كل من النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٤ والضوء اللامع ٧ / ٦٧٥ أنه مات يوم ٢١ شوال.

(٨٢٩) — ومات الشيخ نور الدين على بن عمر[1] بن حسن بن حسين التلوانى الشافعى فى يوم الاثنين[2] ثالث عشرين ذى القعدة وقد أناف على الثمانين .

وأصله من بلاد المغرب . وسكن والده ناحية جروان فأقرأ الأطفال القرآن ثم تحول إلى تلوانة فُولد له بها « على » هذا وغيره من الأولاد ، ثم قدم القاهرة فاشتغل بها ونبغ وصار فاضلا فقيها يستحضر مذهب الإمام الجليل الشافعى رضى الله عنه . وأفتى ودرس واشتهر بالعلم فولى مشيخة الخانقاة الركنية بيبرس ثم صرف عنها ، ثم ولى تدريس الناصرية المجاورة لقبة الامام محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه من القرافة عدة أعوام ، وكان من أهل الخير والصلاح والدين ، يحب الطلبة ويحسن إليهم ، ومروءته وافرة ، وفتوته ظاهرة وباطنة ، وله مكارم وأنعام تغمده الله برحمته .

(٨٣٠) — وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن عمار بن محمد [بن أحمد] المالكى عن نيف وثمانين سنة ، وكان دينا معتقدا من أهل الخير ، نافعة فتواه للناس .

وأما دروسه فمحررة من غير التباس ، وحصل له داء الأسد وظهر على وجهه ويديه .

---

(١) أورده السخاوى على هذه الصورة فى موضعين من كتابه الضوء اللامع ١/٤ ص ١٩٥ ، ٥/٥٥٧ ، لكن ابن حجر سماه فى إنباء الغمر «على بن الحسن بن على بن حسن بن حسين ابن صالح الشلوانى» .

(٢) علق البقاعى على تحديد تاريخ موته فى إنباء الغمر فى نسخة منه بالهند بقوله : « إنما مات يوم الثلاثاء سادس عشريه » ، ويتفق تاريخ البقاعى هذا مع ما هو وارد فى الضوء اللامع ٥/٨٥٧ وكذلك فى جدول سنة ٨٤٤ بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٢ .

مات رحمه الله فى يوم السبت رابع عشر ذى الحجة ، وذكره شيخنا شيخ الاسلام العينى فى تاريخه لما ذكر وفاته فقال : « كان من أهل العلم ولكن كان عنده طرف تمتمة وحركة المجانين ، وكان يركب الحمار وتحت فخذه عصا تخينة[1] » .

(٨٣١) — ومات الشيخ الصالح المعتقد الناسك[2] المسلك ، شهاب الدين أحمد أبو العباس بن صالح بن تاج الدين المحلى الشافعى فى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى الحجة ، وكان رجلا من أهل العلم والفضل يستحضر الفقه ، فاضلا فيه وفى الفرائض ، وأما النحو فبحر فصيح فى الخطابة ، طلق اللسان فى الدرس . رحمه الله .

(٨٣٢) — وهلك[3] الرئيس إبراهيم بن فرج الله بن عبد الكافى الاسرائيلى اليهودى الداودى ، الطبيب الحاذق الماهر فى صنعة الطب فى يوم الجمعة عشرين ذى الحجة وقد عدّى السبعين . قال الشيخ تقى الدين المقريزى : « ولم يخلف بعده مثله من يهود مصر فى كثرة حفظه نصوص التوراة وكتب الأنبياء وفى

(١) وصفه السخاوى فى الضوء اللامع ٢/٢٢٩ بالامام العالم العلامة فى الفقه وأصوله والعربية والصرف وأنه كان ممتع المحاضرة والفوائد ، حسن الاعتقاد فى الصالحين ثم قال « وقل أن يوجد فى آخر عمره فى مذهبه بمجرده ، ولولا مزيد حدته التى أدت إلى أن خرج عليه جذام قبل موته بسنين واستمر يتزايد إلى موته لأخذ عنه الجم الغفير » .

(٢) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٢/٣٩١ أنه كان خطيب جامع ابن ميالة بالقرب من بين السورين فسكن فيه ، ووصفه بأنه كان فاضلا فى الفقه والفرائض والنحو واشتهر بالنسك والعبادة والصلاح وأنه كان للناس فيه اعتقاد .

(٣) هذا هو نفس اللفظ الذى استعمله السخاوى حين أشار إلى موته .

تنسكه فى دينه ، وكان يقرّ بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجهر بأنه رسول إلى العرب ويقول فى المسيح عليه السلام إنه صدِّيق ، وهذا خلاف ما تقوله اليهود لعنهم الله وخزاهم ، فما أكثر طعنهم فى أنبياء الله ورسله عليهم السلام » .

• • •

سنة خمس وأربعين وثمانمائة
من الهجرة النبوية
وما فيها من الحوادث والأخبار

• • •

أهلت هذه السنة وأول شهر الله المحرم يوم الأحد .

والخليفة : أبو الفتح داود المعتضد بالله .

وسلطان مصر والشام والحجاز وقبرص هو الملك الظاهر جقمق وليس له نائب في السلطنة بديار مصر .

والأمير الكبير أتابك العساكر : يشبك الظاهري ططر .

وأمير سلاح : الأمير تمراز القرمشي . وأمير مجلس : الأمير جرباش الكريمي المعروف بقاشوق .

وأمير آخور كبير : الأمير قرابغا الحسني .

وأمير رأس نوبة النوب : الأمير تمرباي الظاهري ططر .

ودوادار كبير الأمير تغرى بردى البكلمشي المعروف بالمؤذي .

وحاجب الحجاب الأمير تنبك .

وبقية الأمراء المقدمين تكملة ثلاثة عشر مقدما ممن ذكرناه من أصحاب الوظائف ، ومن جملتهم : المقام الناصري سيدي محمد ولد السلطان . والوزير الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ .

وكاتب السر: القاضى محب الدين بن الأشقر .

وناظر الخاص: الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم .

وناظر الدولة: الصاحب أمين الدين بن الهيصم .

وأستادار العالية: الأمير طوغان العلائى المعروف قزطوغان .

وناظر الديوان المفرد: زين الدين يحيى، قريب بن أبى الفرج المفصول من الأستادارية .

وقضاة القضاة: شيخنا العلامة حافظ العصر خادم السنة والأثر، الشهير نسبه العريق بابن حجر الشافعى، وشيخنا البحر الحبر الأمام سعد الدين الديرى الحنفى، والمالكى بدر الدين بن التنسى، والحنبلى بدر الدين البغدادى .

والمحتسب: شيخنا قاضى القضاة بدر الدين العينى .

ووالى القاهرة: الأمير قراجا العمرى البواب .

ونائب ثغر اسكندرية: الأمير أسلبغا الطيارى .

ونائب غزة: الأمير طوخ .

ونائب صفد: الأمير قانبيه البهلوان .

ونائب الشام: الأمير جلبان الكمشبغاوى .

ونائب حلب: الأمير قانباى الحمزاوى .

ونائب حماة: الأمير بردبك العجمى .

ونائب طرابلس: الأمير برسباى الذى كان حاجب الحجاب بالشام .

وقاضى القضاة بدمشق الشيخ شمس الدين الونائى، والقاضى الحنفى شهاب الدين الصفدى، وبقية القضاة والحكام على حالهم .

* * *

شهر ربيع الأول [1]

أهل بيوم الخميس .

يوم الجمعة ثانيه : أوفى الله تعالى النيل ستة عشر ذراعا ونزل من القامة لتخليق المقياس ، وفتح فم الخليج المقام الناصرى محمد ولد المقام الشريف وهو فى غاية ما يكون من الموكب العظيم من الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية . وخلع على الزردكاش والوالى بالقاهرة و بمصر وأولاد ابن الرداد الأمناء على زيادة النيل والريسا بالمراكب ، وعاد إلى القلعة فأخلع السلطان عليه كاملية صمور فألبسها لبعض من كان راكبا معه من الأمراء الألوف .

يوم السبت الثالث من ربيع الأول من هذه السنة : خُلع على الشيخ على الخراسانى [2] محتسب مصر واستقر محتسب الديار المصرية عوضا عن شيخنا قاضى

(١) يلاحظ أن المؤلف هنا استهل أحداث سنة ٨٤٥ هذه مباشرة بما وقع فى شهر ربيع الأول ، وهذا أيضا هو الذى حدث من أبى المحاسن ، فقد بدأ هو الآخر هذه السنة مباشرة بأحداث ربيع الأول مما يدل على أن الصيرفى اعتمد فى تدوينه لهذه الأحداث على ما جاء فى النجوم الزاهرة ، وإن كان ذلك يدعو الى التفكير فى مسألة أخرى هى هل كان كل منهما يعتمد على ما جاء فى المقريزى الذى مات فى هذه السنة .

(٢) هو الشيخ يار على بن نصر الله الخراسانى العجمى الطويل كما جاء فى النجوم الزاهرة ٧ / ١١٩ وإن قال السخاوى فى الضوء ٦ / ١٢٩ إن هذا اسم من أسمائه فهو يعرف بيار على المحتسب ، كما يعرف بالشيخ على الطويل ، وكان مولده سنة ٧٨٠ تقريبا فى خراسان التى نشأ بها ثم خرج سائحا على طريقة فقراء العجم المتكدين ، ثم قدم القاهرة ماشيا و بيده عكاز ، ثم نزل فى صوفية خانقاه سرياقوس ، ويستفاد من ترجمته الواردة بالضوء اللامع أنه ارتكب فى توليته الحسبة بالديار المصرية « مظالم صار عليه وزرها ووزر من تبعه عليها الى يوم القيامة ، كما كان كثير الخدمة للأكابر ، شديد التعاظم على الفقراء والسوقة ، كثير البطش بهم والطمع فى أموالهم » ، وكانت وفاته سنة ٨٦٢ .

القضاة بدر الدين العينى بحكم صرفه . وهذا الشيخ على مشهور أيضا ببيار على ، ولما حضر إلى القاهرة كان ملبسه لبادا ، ولحيته محلوقة ، ونزل عند الشيخ محب الدين ابن الأشقر فى سرياقوس فشغرت بها وظيفة فنزله بها ، وترقى إلى أن وصل إلى الحسبة .

يوم الخميس التاسع[1] من ربيع الأول خلع على أبى الربيع سليمان أخى الخليفة المعتضد وتلقب بالمستكفى بالله ، واستقر خليفة فى الأرض عوضا عن أخيه [المعتضد داود]، وبايعه السلطان ، وبايع هو أيضا بعد ذلك السلطان بحكم وفاة المعتضد .

وفى يوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الأول : خُلع على القاضى عز الدين البغدادى واستقر فى قضاء القضاة الحنابلة بالشام عوضا عن القاضى زين الدين ابن مفلح بحكم عزله عنها .

* * *

جمادى الأولى

أهل بيوم الأحد .

يوم الاثنين التاسع منه : خُلع على الأمير تمكار الزرد كاش ليتوجه قاصدا إلى نائب كركر بخلعته ، وكان قد أظهر العصيان فتوجه ومثلما راح مثل ما حضر ،

---

(١) اذا أخذنا بما ذكره المؤلف فى ص ٢٣٥ س ٣ ، س ٩ كان الخميس هو الثامن لا التاسع من ربيع الأول ، ولكن هذا التاريخ هو الذى ذكره أبو المحاسن (طبعة بوبر) ٧ / ١١٩ س ١٩ مما يدل على أن الصيرفى كان ينقل من أبى المحاسن ونسى ما ذكره هو من تحديده هو نفسه لبداية هذا الشهر مما يخالف فيه صاحب النجوم .

ولم يقدم توجهه شيئا فإنها قلعة حصينة منيعة مانعة ، فما ساءه إلا أن أخرب المدينة لما لم يقدر على أخذ القلعة .

يوم الاثنين سادس[1] عشره خلع على الشريف على [ابن حسن بن عجلان] أخى بركات أمير مكة ، واستقر عوض أخيه فى سلطنة مكة بحكم عزل أخيه عنها ، وعُيِّن معه من المماليك السلطانية مائة وخمسون مملوكا للتوجه فى خدمته ونصرته ومعاونته ودفع أعدائه ، وأنعم عليه السلطان بمبلغ من الذهب جملته خمسة آلاف دينار ليقيم بها بركه ومصالحه ، هذا عدا ما اقترضه من التجار ، وهو شئ عظيم .

والسبب فى ولايته هو أن السلطان استدعى بركات [ابن حسن] إلى القاهرة فامتنع من الحضور وتعلل بأعذار باردة ، وقال : « أنا لست بعاص ، والبلاد بلاد السلطان ، إن رسم اقمتُ وإن طلبنى أرحل » .

رابع عشرين شهر جمادى الآخرة الذى هو الخميس[2] : سافر الشريف على [ابن حسن ابن عجلان] بمن معه من المماليك السلطانية وتوجه صحبته اليها من الأمراء العشرات يشبك الصوفى .

• • •

(١) فى الأصل « سابع عشره » ، والصواب ما أثبتناه لأن المؤلف نقل من أبى المحاسن ، وقد نسى الصيرفى أنه جعل أول هذا الشهر الأحد .

(٢) هكذا فى الأصل وكذلك فى النجوم الزاهرة ٧ / ١٢٠ س ١٠ ، وهذا مما يدل على أن المؤلف نقل من أبى المحاسن ، وقد نسى الصيرفى — مرة اخرى — أنه جعل أول الشهر الأحد الذى بمقتضاه يكون الرابع والعشرون منه هو الأربعاء وليس الخميس .

شهر رجب

أهل بيوم الأربعاء .

يوم الاثنين سادسه : قدم الأمير برصباى[١] [بن عبد الله بن حمزة الناصرى] نائب طرابلس فتلقاه السلطان إلى المطعم[٢] وأكرمه وأدناه وخلع عليه ورجع من عند السلطان فأنزل فى دار أعدّت له ، وقدم له الأمراء المألوفات والمطاعم والمشارب .

سابعه : قبض على الأمير قزطوغان أستادار العالية ، ومسك معه زين الدين يحيى ناظر الديوان المفرد وسلمهما السلطان للأمير دولات باى الدوادار الثانى ليحاسبوا على مال السلطان ، فخدم زين الدين يحيى أعيانُ المملكة وساعده الصاحب كريم الدين وقدم الأمير دولات باى ووعده بالمال فساعده وصار يتكلم فى مباشرة الديوان ، إلى يوم الخميس السادس[٣] عشر من رجب خلع على زين الدين عبد الرحمن[٤]

---

(١) واجع ما ورد عنه فى السخاوى : التبر المسبوك ص ٦ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، وكذلك الطباخ : إعلام النبلاء ٢ / ٥٠٤ ، والضوء اللامع ٣ / ٥ ، والنجوم ٧/ ٣١٢ — ٣١٤

Sauvaire: Description de Damas (Journ. Asiat.), 1895, II, pp, 229, 230, 254; Corpus. Inscript. Arab (Syrie) No, 27, Ibid., (Egypte), No 225.

(٢) المسمى بمطعم الطيور .

(٣) فى الأصل « التاسع » .

(٤) هو عبد الرحمن بن داود بن عبد الرحمن بن العلم الكركى ، الشوبكى الأصل ، المصرى المولد سنة ٨٠٥ ، وكان قد نشأ بزى الجند ، وارتفعت به الأحوال زمن الأشرف برسباى الذى استقر به دويدارا ثالثا ثم ولاه نيابة الاسكندرية عام ٨٤٠ ، ثم ولاه الاستادارية الصغرى عوضا عن جوهر السيفى سنة ٨٤٤ ، ثم الأستادارية الكبرى بعد عزل قزطوغان العلائى وكان ذلك فى رجب سنة ٨٤٥ كما جاء فى إنباء الغمر ، أو فى حدود سنة ٨٤٦ كما فى أبى المحاسن والضوء اللامع ٤/ ٢٢٤ ، راجع أيضا ابن اياس : بدائع الزهور ٢/ ٢٣، ٢٦ ، ٢٧٤، ٨٣، ١٠٠ .

ابن الكويز واستقر أستادار العالية عوضا عن قزطوغان المذكور ، وخلع على زين الدين يحيى بنظر الديوان المفرد وصار هو المشار إليه والتزم بسداد الأحوال[١] واشتهر بين العسكر وأعيان الدولة ، ورسم بإخراج طوغان قز الأستادار المعزول من القاهرة إلى حلب على إمرة حلب يأكل مغلها بها ، وذلك في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب .

يوم الاثنين سابع عشريه : خلع على الأمير أحمد بن على بن إينال واستقر في نيابة ثغر اسكندرية عوضا عن الأمير أسنبغا الطيارى بحكم صرفه عنها ودخوله القاهرة على تقدمته[٢] .

• • •

في سلخ شهر شعبان أو مستهل شهر رمضان المعظم قدره : كان مقدم الشيخ شمس الدين [محمد] الحافى [الحنفى] إلى القاهرة المحروسة من سمرقند ، فخرج للقائه والسلام عليه أعيانُ المملكة من المباشرين كالمقر الكمالى ابن البارزى والمقر الكمالى ناظر الخواص الشريفة وناظر الجيوش . ولما استوطن بالمسجد الذى بحارة الروم أقبل عليه العلماء فسلموا وهرع[٣] إليه الطلبة ، ثم إن سعد الدين بن عويد[٤] السراج لما رأى سكن الشيخ بجواره أخذه إليه واكتنفه وصار يقوم بما

(١) أى النفقة وما يطلبه منه السلطان من الأموال .

(٢) وهى أمير مائة مقدم ألف .

(٣) فى الأصل « هرعوا » .

(٤) هو سعد الدين ابراهيم القبطى ، أبو غالب ، وقد وصفه السخاوى فى الضوء اللامع ١١ / ٢٧٥ بأنه كان أحد الكتبة وممن اختص بخدمة الدوادار دولات باى ، وكان حسن المحاضرة يتجنب النصارى ، محمودا فى عقله وأدبه وكرمه ، ومات سنة ٨٥٦ .

يتعلق بمطعمه ومشربه وملبسه ، وأرسل السلطان إليه نفقة ، واشتغل عليه بعض طلبة عصرنا فانتفع [بـه] ، وكان من المعظمين عند شاه رخ بن تيمورلنك .

• • •

شـــوال

يوم الثلاثاء ثالث[1] عشرين شـوال قبض السلطان على جانبك المحمودى أحد رءوس النوب وحبس فى برج القلعة ، وكان جبروتاً عاتيا غشوما ذميم الأخلاق[2] ، إلى يوم الاثنين التاسع[3] والعشرين من شوال جهز لسجن اسكندرية .

• • •

ذو الحـــجة

يوم الجمعـة حادى عشرين ذى الحجة : قبض على الأمير أقطوه[4] [الموســوى

(١) فى الأصل « خامس عشرين » وقد صحح التاريخ إلى ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة وكذلك بناء على ما يذكره المؤلف بعد قليل من أن الاثنين هو ٢٩ منه ، انظر فيما بعد حاشية ٣ صفحة ق

(٢) يفسر أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٢٢/٧ أن امساك السلطان أياه كان يقصد به أن تظهر أية حركة من خجداشيته المؤيدية ، ولكن الواقع الذى حدث هو أنهم خافوا من حركة السلطان نحوه .

(٣) إذا أخذنا بما قد ورد فى الأصل (انظر حاشية رقم ١ هنا) من أن الثلاثاء كان يوم ٢٥ شوال وجب أن يكون يوم الاثنين التالى له : إما أول رمضان أو ثانيه ، ولكن اتفاق كل من الصيرفى وابن تغرى بردى على أن الاثنين ٢٩ شوال يوضح خطأ الصيرفى .

(٤) هو أقطوه الموسوى الظاهرى برقوق ولم أجد فى ترجمته الواردة فى الضوء ١٠٢٢/٢ ما يشير من قريب أو بعيد الى ما يذكره الصيرفى فى المتن ، ولكن يبدو أن المؤلف نظر فى هذا الى ما جاء فى ترجمته فى النجوم الزاهرة ٣١٦/٧ ، وان خلا قسم الحوادث من هذا الجزء من الإشارة الى ذلك .

الظاهرى] أحد الأمراء الطبلخانات ورسم بنفيه إلى الشام ، فشفع[1] فيه الأمراء فرسم بنفيه إلى دمياط .

وفى هـذا اليوم ضرب ابن الطبلاوى نقيب الجيش بين يدى السلطان ضربا مبرحا نحوا من مائتى عصاة ، وذلك بسبب أمور صدرت عنه فى حماقته وتعاسته ودناءة نفسه ومدّ يده فى الأخذ من الخصوم .

وفى هذه السنة حج الناس ، وكان أمير المحمل الأمير تغرى برمش الزردكاش ، وأمير الركب الأول يونس البواب .

• • •

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

(٨٣٣) — أمير المؤمنين أبو الفتح داود المعتضد بالله ، [مات] فى يوم الأحد الرابع من ربيع الأول ، وصُلى عليه صبيحة يوم الاثنين فى مصلى المؤمنى . صَلى عليه شيخنا شيخ الاسلام حافظ عصره فى الأنام قاضى القضاة الشافعى ، ونزل السلطان فصلى عليه وأعيانُ المملكة وقضاة القضاة والأمراء والمباشرون ، ودُفن فى تربتهم بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وتولى الخلافة بعده أخوه [المستكفى بالله] سليمان . وقد ذكرنا ذلك ، فمن أراد الوقوف عليه فلينظر إلى الوريقات التى قبل هذه .

(٨٣٤) — [ومات] القاضى زين الدين عبد الرحمن الحنفى أحد النواب ، كان لابأس به .

---

(١) فى الأصل « فشفعوا » .

(٨٣٥) — وفى يوم السبت[1] الحادى والعشرين من رجب توفى الشيخ محب الدين بن الأوجاقى الشافعى . كان يظهر النسك ويترك الاجتماع بالناس ، ولم يكن خاليا من بعض علم وذكاء .

(٨٣٦) — [ومات] الشيخ تقى الدين أحمد بن عبد القادر المقريزى الشافعى ، وأصلهم من مدينة بعلبك ، فتحول أبوه منها إلى القاهرة وولى بها بعض ولايات من أمور القضاة ، وولى التوقيع فى ديوان الإنشاء ، وكان مولده فى سنة ٧٦٦ . قال شيخنا الحافظ ابن حجر رحمه الله[2] «ونشأ نشأة حسنة وحفظ كتابا فى مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه تبعا لجده لأمه الشيخ شمس الدين بن الصايغ الأديب المشهور، ثم لما ترعرع وجاوز العشرين ومات أبوه سنة ٧٦ تحول شافعيا وأحب اتباع الحديث فواظب على ذلك حتى كان يتهم بمذهب ابن حزم ولكنه لا يعترف به ، ونظر فى عدة فنون ، وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئا كثيرا ، وصنف فيه كتبا ، وسمع من شيوخنا وممن قبلهم قليلا كالطبردار ، وحدث ببعض مسموعاته ، وكان أكثر ولعه بالتاريخ فحفظ كثيرا منه ، وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة ، وحج كثيرا وجاور مرات . وقد رأيت بعض المكيين قرأ عليه شيئا من تصانيفه ، وكتب فى أوله نسبه إلى تميم بن المعز بن المنصور بن القاسم ابن المهدى عبيد الله القائم بالمعزية . والمعز هو الذى بنيت له القاهرة ، وهو أول من ملك من العبيديين فالله أعلم ، ثم إنه كشط ما كتبه "المكى" ذلك من أول المجلد ، وكان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه عبد الصمد بن تميم ، ووقفت على ترجمة جده عبد القادر الشيخ تقى الدين بن رافع وقال « من أين له ذلك ؟ » ،

(١) الوارد فى النجوم ٧/٢٧٧ أنه مات يوم الاثنين ثالث عشرى «رجب بعد مرض طويل » .

(٢) الكلام بعد هذا حتى ص ٢٤٣ س ٣ لابن حجر .

وذكر لي ناصر الدين أخوه أنه بحث عن مستند أخيه في الانتساب إلى العبيديين فذكر له أنه دخل مع والده جامع الحاكم قال له وهو معه في وسط الجامع : « يا ولدي هذا جامع جدك » انتهى كلام شيخنا العلامة حافظ العصر ابن حجر .

وتولى الشيخ تقي الدين المقريزي الحسبة بالديار المصرية مرارا ، كان ابتداء ولايته بها آخر دولة الملك الظاهر برقوق ، ثم عُزل بقاضي القضاة بدر الدين العيني ، ثم تولاها مرة أخرى في أيام الأمير سودون ابن أخت الملك الظاهر الدوادار الكبير عوضا عن القاضي بدر الدين العيني .

وعمل أجزاء على صحيح مسلم ، فجاءت شرحا مليحا إلى الغاية ، وفاق أقرانه في التاريخ ، وكان الناس يترددون إليه وهو لا يتردد إليهم إلا في النادر ، وكان شيخنا العلامة حافظ العصر يكرمه ويبجله ويعظمه ويتوجه إلى داره ويقيم عنده ، وهو الذي كان سببا في اشتغال الجمالي يوسف بن تغرى بردى في التاريخ ، فإنه أقرأه ودرّبه وأطلعه على أمور ، وأمره أن يذيل على كتابه في التاريخ وهو معترف له بذلك في مصنفاته ، فإنه يقول فيه : « منه أخذت ، وبه انتفعت ، وعليه اعتمدت » ، وفي الواقع لم يخلفه أحد في هذا العصر بعده في التاريخ .

وكانت وفاته رحمه الله — كما ذكر شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر — في يوم الخميس تاسع عشر رمضان[1] . ورأيت بخط قاضي القضاة بدر الدين العيني في تاريخه أن وفاته في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر شعبان ، فالله أعلم بحقيقة الحال ، وأيد قول حافظ العصر ابن حجر المقامُ الجمالي عين المؤرخين حفظه الله

(١) الوارد في النجوم الزاهرة ٢٧٨/٧ ، ص ٤ « الخميس ١٦ رمضان » .

فإنى وقفت على كتابه المسمى بالكواكب الباهرة والنجوم والزاهرة ، فعلى هذا ما قاله الحافظ شهاب الدين هو الأصح .

وفى كتاب شيخنا الجمالى المذكور أملى علىّ نسبه ابن أخيه الناصرى محمد إلى أن رفعه إلى على بن أبى طالب ، ولما كتب ترجمته قال : « إمام المؤرخين ، تقى الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم المقريزى الحنفى الشافعى » انتهى كلامه .

(٨٣٧) — القاضى جمال الدين عبد الله بن الدمامينى قاضى قضاة سكندرية المالكى المذهب . باشر هذه الوظيفة مرارا وصُرف عنها ، ولم يكن له اشتغال ولا غيره ، قال شيخنا بدر الدين العينى : « ولم يكن ممن له الاشتغال بالعلم ، وكان يخدم الناس كثيرا خصوصا الظلمة الذين لا يستحقون شيئا من ذلك ، لكنهم كانوا ينفعونه ويساعدونه ويبالغون فى مساعدته [1] » حتى إن السلطان خلع على ابن علو المالكى فلم يدعوه يقيم بها أكثر من مسافة الطريق .

(٨٣٨) — الشيخ الصالح المعتقد الواعظ ، الأريب الحافظ الربانى ، محمد المشهور بابن زين ، مادح النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا الرجل من أهل الخير والدين ، مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأربعة عشر ألف بيت وخمسمائة قصيدة ، وجدت ذلك بخط شيخ الاسلام بدر الدين العينى فى تاريخه . وله ثلاث قصائد فى قصص الأنبياء وغيرهم .

توفى يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول فى البحيرة ، وولد بطندتا [2] وعمره تسعون سنة .

---

(١) فى الأصل « ينفعوه ويساعدوه » .

(٢) هى مدينة طنطا الحالية من كبرى مدن الوجه البحرى فى مصر وعاصمة محافظة الغربية .

ومن محاسنه وما افتخر به على أقرانه ويدل على خيره ودينه ، أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه تسعمائة مرة وكان سريع الدمعة ، نحيف الجسد . كف بصره فى آخر عمره فوجبت له الجنة رحمه الله تعالى . ولم يخلف بعده [مثله] دينا وعفة وخيرا وزهدا وصلاحا .

فصل فى شيء من حوادث سنة ست وأربعين وثمانمائة الهجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

* * *

أهلت هذه السنة بشهر الله الحرام ، أوله السبت .

والخليفة : أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان المستكفى بالله ، وسلطان مصر والشام والحجاز وقبرص : الملك الظاهر أبو سعيد محمد جقمق ، حسبما سمى نفسه بذلك وأمر أن تضرب رنوكه[1] على الدور والسفن ، وأن يسمى محمدا .

وغالب الأمراء على حالهم وكذلك النواب والمباشرون .

وسنذكر إن شاء الله تعالى ما يرد من أمورهم ، وما وقع لهم إن شاء الله تعالى .

* *

تاسعه : خلع على يحيي المغربى المالكى الذى قدم من الشام [وصار] قاضى اسكندرية عوضا عن جمال الدين بن الدمامينى بحكم وفاته .

خامس عشريه : ندب السلطان عدة من الأمراء والخاصكية يركبون البحر فى خمسة أغربة ويكتشفون أخبار الفرنج اللئام .

* * *

---

(١) فى الأصل « رنوكه » والصواب ما أثبتناه ، إذا أن الرنك هو شعار للشخص يوضع على ما يخصه من مبنى وغيره وكانت بعض الرنوك تماثيل كما يذكر المقريزى فى الخطط ٢ / ١٤٦ — ١٤٧ من أن السلطان الناصر أمر بهدم قناطر السباع التى عمرها بيبرس حتى يمحو السباع التى « كانت رنك بيبرس » .

شهر صفر

أهل بيوم السبت[1] .

خُلع على جمال الدين قريب عبد الحميد المنسوب إلى الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى رضى الله عنه ، واستقر قاضى القضاة الحنفية عوضا عن القاضى شهاب الدين الصفدى بحكم صرفه عنها .

سابع عشر من شهر صفر : وثب[2] المماليك الجلبان الذين بأطباق القلعة وعلوا على أسطحة الأطباق ، وصاروا يرجمون من أراد الدخول إلى القلعة أو الخروج منها حتى يمتنع الناس ، وبلغ الخبر السلطان فاحتد وغضب وأراد القتل فمنعه[3] الأخصاء من ذلك ، ثم إنه اقتضى رأيه أن يطلب الأمراء فطُلبوا ، فرسم لهم أن يقاتلوهم فامتنعوا من ذلك .

ليلة الاربعاء : هجم[4] المماليك الجلبان على الزردخانة السلطانية فنهبوا ما فيها من السلاح واللبوس ، وقيمة ذلك عشرون ألف ألف دينار ، فزاد غضب السلطان وحدته ، وتكرر طلبه الأمراء وحثهم على الركوب على مماليكه فامتنعوا وقالوا : « هذا لا يكون ، وهم أكثر عددا من ألفى نفر » . ولم يزالوا يتلطفون[5] به ويمنعونه من ذلك حتى بالغوا وقالوا له : « هذا نقص فى حق المملكة ! » .

---

(١) الوارد فى جدول سنة ٨٤٦ بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٢ ، أن الاثنين هو أول صفر من تلك السنة ، وإذا أخذنا بما ذكره النجوم الزاهرة ٧ / ١٢٣ ، س ١ من أن الاثنين هو ١٦ صفر كان أول الشهر هو الأحد . ويلاحظ أن التواريخ مضطربة هنا فى هذه السنة .

(٢) فى الأصل « وثبوا » .

(٣) فى الأصل « فمنعوا » .

(٤) فى الأصل « هجموا » .

(٥) فى الأصل « يتلطفوا » .

ولكن الأمراء خرجوا إليهم ولا طفوهم فلم يرجعوا بل زاد أمرهم، وتقاتلوا مع مماليك المقام الناصرى سيدى محمد بن السلطان وافترقوا فرقتين ، فرقة فى أعلى الأطباق ، وفرقة فى أسفله ، ولم يزالوا يقتتلون مع مماليك المقام الناصرى حتى قتل منهم ثمانية، أعنى من مماليك ابن السلطان : ومن الخاصكية ثلاثة أنفس، ومن العوام أكثر من ثلاثين .

وضُرب القاضى كمال الدين بن البارزى كاتب السر بالدبابيس من المماليك الجلبان، فإن السلطان استدعاه فطلع إلى القلعة من باب الميدان من الرميلة خوفا على نفسه من رجم الأحجار من الأطباق ، فاحتاطوا به تحت القلعة، وضرب فسقط عن فرسه وأشاعوا موته، ولكن الله سلم . ثم إن الأمراء نزلوا إلى دورهم يوم الخميس، والجلبان على حالهم من الأذى، لكنهم خمدوا قليلا، إلى يوم الجمعة انفصل أمرهم ووُعدوا بعمل ما يطلبونه[1] .

* * *

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الثلاثاء .

عاشره : قدم نائب الكرك الذى هو الأمير مازى [الظاهرى برقوق] فى جمع كبير من أتباعه وخدمه فخلع عليه خلعة سنية، ثم رسم له بالنزول فى الميدان الكبير، وأرسل إليه السلطان سماطه الذى عمل له ذلك اليوم فى قدوره، وكذلك المشروب .

---

(١) فى الأصل « يطلبوه » .

يوم الاثنين حادى عشريه : خلع على الأمير قراجا[1] [الظاهرى] الخازندار، ورسم بإقطاع قراجا اتنبك .

وفيه خلع على ولد الشيخ عز الدين الحاضرى ، واستقر قاضى القضاة الحنفية بحلب عوضا عن القاضى محب الدين [محمد] بن الشحنة بحكم عزله .

ولما كان يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر برز المرسوم الشريف السلطانى للأمير تغرى برمش أن يتجهز إلى قيسارية[2] ويأخذ صحبته آلات الحصار كالمدافع والمكاحل والمنجنيق والسهام وغير ذلك ، فأسرع فى تجهيز ما أمره به السلطان وسافر إلى حلب وأقام بها أياما ، ثم ورد عليه المرسوم الشريف برجوعه إلى القاهرة وكان فى يوم الأحد الثانى عشر من ربيع الآخر قدم سودون المحمدى من مكة وبجسده عدة جراحات .

• • •

ليلة الخميس الثالث والعشرين منه : حشدوا جماعة من مماليك الأمير تغرى بردى المؤذى البكلمشى عليه وراموا الفتك به وطالبوا منه زيادة الجامكية والعليق

(١) ذكر أبو المحاسن فى المنهل الصافى أربعة سمى كلا منهم باسم « زين الدين قراجا » أما أحدهم فقراجا بن ذلغادر التركمانى وهذا ليس له دخل فى موضوع هذا الخبر ، وأما ثانيهم فقراجا الأشرفى المتوفى سنة ٨٤٩ ، والثالث هو قراجا الظاهرى ولكنه مستثنى من الكلام عنه هنا لأنه مات قبل هذه الأحداث بما يقرب من ثلاث وثلاثين عاما أعنى سنة ٨١٣ ، ورابعهم يشاركهم نفس الاسم وظل حيا حتى سنة ٨٥٤ ، والمد فعل كل من الثانى والرابع الخازندارية وتكلم أبو المحاسن عن أولهما فى النجوم الزاهرة ٦ / ٦٧٥ ، وأشار إلى الثانى ابن اياس فى بدائع الزهور ٢ / ٤٢ .

(٢) كانت من إحدى بلاد الروم الكبرى واسمها اللاتينى هو Caesarea Mazaka ويذكر لى سترانج فى كتابه بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٧٤ ، أنها كانت ثانى مدن سلطنة سلاجقة الروم ، وأشار الى أن القزوينى عدها قاعدة ملكهم .

والخيل وحاصروه بالسهام والطعان وهو محتجب في الحريم ، فأرادوا الدخول عليه فأرجفوا إرجافا من كثرة رمى السهام وصياح الحرم والنساء، ووصل الخبر إلى السلطان بذلك فأرسل إليه عدة من رءوس الخاصكية فقبضوا على عدة منهم، وضربوهم ضربا مبرحا وأودعوا في المقشرة صحبة الوالى .

يوم الأحد الخامس والعشرين منه : قبض السلطان على عبد الرحمن بن الكويز الأستادار بسبب عجزه وسوء نيته وحمقه .

وفيه خلع على ابن الرسام القاضى الحنبلى واستقر ناظر الجيش بحلب عوضا عن زين الدين بن السفاح بحكم عزله .

يوم الاثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور : خلع على القاضى زين الدين يحيى ناظر الديوان المفرد واستقر أستادار العالية عوضا عن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز ،وكان له موكب جسيم عظيم بعد أن أشهد عليه السلطان مرارا بأنه يسدد الجامكية والعليق ، وهو يقول : « نعم ، نعم » .

وفى هذا اليوم خلع على الأمير آقبردى[1] الخضرى ورسم له بالسفر إلى مكة المشرفة وصحبته من المماليك[2] السلطانية عدة .

---

(١) لعله هو سيف الدين آقبردى المظفرى الظاهرى المتوفى سنة ٨٤٧ ، الذى يظهر من تاريخه فى ترجمته التى كتبها له ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى أنه كان مقدم المماليك الى مكة ، مما يتفق مع ما جاء فى المتن أعلاه .

(٢) كان الغرض من إرسال هؤلاء المماليك السلطانية هو أن يستعين بهم الشريف على صاحب مكة ، على « من خالفه » .

وفيه أيضا خلع على الأمير عبد اللطيف[(١)] مقدم المماليك السلطانية ، واستقر أمير الركب الأول بعد أن أخلع عليه .

وخُلع على تنبك حاجب الحجاب واستقر أمير المحمل .

• • •

شهر جمادى الأولى

أهل بيوم الخميس[(٢)] .

فيه قُبض على الأمير جوهر التمرازى الخازندارى وسجن ببرج قلعة الجبل ، بسبب ما بلغ السلطان عنه ، وطلب فيروز الركنى الطواشى [الرومى] واستقر خازندارا عوضا عن جوهر التمرازى بعد أن بذل مالا للخزائن الشريفة .

شهر جمادى الأول ، تاسعه : سافر عبد الرحمن بن الكويز إلى القدس الشريف منفيا بحسب المرسوم القاهرى ، ولم يترك له السلطان شيئا حتى أخذه منه .

يوم الأحد الحادى عشر من جمادى الأول : خلع على نور الدين بن سالم الشافعى أحد أعيان نواب القاضى شهاب الدين أحمد بن حجر ، واستقر فى قضاء صفد عوضا عمن كان بها .

---

(١) هو الزين عبد اللطيف الطواشى الرومى المنجكى العثمانى ألطنبغا ، وكان كثير الاهتمام بالمسائل الدينية ، ولازم خدمة الطائفة القادرية حتى وقع بينها و بين الرفاعية فوشى به البعض عند برسباى الذى استقدمه إليه وضربه وقال له : « أنت جدار أم نقيب ؟ » ثم عزله عن الجدارية وظل معزولا حتى استقر به جقمق مقدم المماليك وعينه لحج الركب الأول أكثر من مرة ، أما تسميته بالمنجكى فلأنه خدم فاطمة بنت منجك ، وكانت وفاته سنة ٨٦١ .

(٢) هكذا أيضا فى النجوم الزاهرة ١٤٦/٧ ، لكن الوارد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٣ ، أن أوله الجمعة .

يوم الأحد التاسع[1] عشر من شهر جمادى الأولى : طلب السلطان خازندار الأمير تغرى برمش الذى كان نائب حلب ودواداره ورأس نوبته فضربهم ضربا مبرحا ونفاهم ونفى من المماليك السلطانية إثنى عشر مملوكا [وهم] الذين كان عينهم إلى مكة والمدينة ، لأنهم كتبوا أسماءهم وغابوا عن العرض ثم شفعوا فيهم فرجعوا .

يوم الأثنين سادس[2] عشريه : خلع على فيروز الركنى الخازندار واستقر زمام الأدر الشريفة عوضا عن هلال الطواشى[3] بحكم صرفه عنها مضافا إلى الخازندارية .

• •

شهر رجب الأخرة

أهل بيوم السبت[4] .

يوم الأحد ثانيه : خلع على نور الدين بن أقبرص ناظر الأوقاف واستقر في مشيخة الخانقاه القوصونية بالقرافة الصغرى عوضا عن معين الدين بن شرف الدين

---

(١) إذا سايرنا المؤلف فيما ذكره من قبل ص ٢٥٢ ص ٥ ، وأكده أيضا ما جاء في نفس الصفحة ، س ١١ من أن الخميس هو أول الشهر كان الصحيح في هذه العبارة أن يقال فيها « يوم الثامن عشر » .

(٢) الوارد في الأصل « الأثنين حادى عشريه » وهو خطأ يصححه ما ورد في النجوم الزاهرة ٧ / ١٢٦ ؛ س ١١ من نصه على هذا التاريخ الذى أثبتناه بالمتن والذى يطابق الواقع من أن الخميس كان أول الشهر .

(٣) هو هلال الزينى الرومى الظاهرى برقوق الطواشى ، تنقل في الخدم من شاد الحوش إلى الزمام ، واشتغل بالزراعة والدواليب « لشدة انهماكه في الدنيا » كما قال الضوء ١٠ / ٨٩٥ ، ولقد كانت وفاته سنة ٨٦٤ .

(٤) في التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٢ ، أن أوله الأحد .

ابن الأشقر نائب كاتب السر بحكم عزله ، ولم تكذب الأمثال ، ولقد أجاد من قال :

لقد هَزِلَتْ حتى بدى من هزالها
وحتى استامها [من قومها] كل مفاس .

وقال شيخنا الشيخ الامام بدر الدين العينى الحنفى رحمه الله فى ترجمته لما ولى ابن آقبرص نظر هذه المدرسة : « فياذلة لها ، بعد الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الأصبهانى شيخ الشيوخ أكمل الدين شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى » .

يوم السبت ثامنه : قدمت[1] تقدمة الأمير جلبان نائب الشام تعلو على رءوس الحمالين فى الأقفاص[2] ما بين ثياب حرير وصوف وبعلبكى وسمور ووشق وسنجاب ، وقسى وعشر مماليك ، ومن الخيول مائتا رأس خاص ، منها ثلاثة أرؤس بسروج ذهب وكنابيش ، قال الشيخ بدر الدين العينى : « قيل إنه كان فيها عشرة آلاف دينار » .

يوم الخميس ثالث عشره[3] : خلع على الأمير إينال العلائى أحد المقدمين الألوف واستقر دوادارا كبيرا بالديار المصرية عوضا عن تغرى بردى البكلمشى المؤذى بحكم وفاته إلى الله تعالى . وكانت الدويدارية للأمير تمرباى رأس نوبة النوب فلم يصل إليها إلّا بسفارة الأمير قانباى الجركسى فانه ساعد إينال المذكور مساعدة

---

(١) فى الأصل « تقدمت » .

(٢) فى الأصل « والحمالون فى الأقفاص تعلوها على رءوسهم » .

(٣) فى الأصل « رابع عشره » ، وقد عدل الى « ثالث عشره » بناء على ما جاء فى النجوم الزاهرة ٧ : ١٢٦ من أن « الخميس ١٣ جمادى الأولى » ، ولأن الصيرفى نفسه جعل أول الشهر السبت ، كما جاء فى ص ٢٥٢ س ١٢ .

زائد ، ثم إن السلطان فى هذه الأعوام خلع على الأمير تمرباى رأس نوبة النوب فوقانيا بطراز زركش وأركب فرسا بسرج ذهب ، والقائل بزركش .

• • •

شهر رجب

أوله الخميس[1] .

يوم الخميس ثاني عشريه : خلع على شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة ابن حجر واستقر فى تدريس الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعى عوضا عن الشيخ علاء الدين [على بن أحمد بن إسماعيل] القلقشندى بحكم عزله ، وكانت ولايته مشيخة الإمام الشافعى بسفارة تمرى بردى البكلمشى كان .

يوم الخميس تاسع عشريه : حضر جماعة من عرب نجد بسؤال من السلطان لهم فى ذلك فأنزلوا فى الميدان ، وقرر لهم على قدر كفايتهم ، ورسم لهم أن يسيروا إلى مكة والمدينة ليخاصوا أهلها من حكامهم ، فإنهم رافضة وشيعة .

• • •

شهر شعبان

أهل بيوم الإثنين[2] .

يوم السبت سادسه رسم السلطان بنفى الأمير سودون السودونى الحاجب إلى

---

(١) لا يمكن أن يكون الخميس هو أول رجب و إلا كان معنى ذلك أن يكون شهر جمادى الآخرة سنة وعشرين يوما أو أربعة وثلاثين يوما ولكن الوارد فى التوفيقات الإلهامية أن أوله الاثنين .

(٢) فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٣ ، أن أوله الأربعاء وليس الاثنين كما بالمتن .

قوص لأنه كان ينهاه عن المسكر فلا ينتهى، فشفع[1] فيه الأمراء فرسم بنفيه إلى طرابلس، وخرج له إقطاع بها من إقطاع الجند، ثم شفعوا فيه فقبل الشفاعة ورضى عنه وخلع عليه واستقر حاجبا على عادته.

وفيه قدم[2] قصاد ابن شاه رخ فأنزلوهم فى البيت الذى كان[3] للأمير تغرى بردى الدوادار، ورسم أن لايدخل عليهم أحد.

يوم الإثنين ثالث[4] عشره: كانت الخدمة بالقصر الكبير وطلع[5] القصاد بعد أن أوقف العسكر من تحت المدرج إلى داخل القصر، ولم يحضر قضاة القضاة[6] غير أن أرباب الوظائف من المباشرين كالمقر الكمالى والقاضى محب الدين ناظر الجيش والوزير وناظر الخاص لما تمثلوا بين يدى المقام الشريف قبلوا الأرض، وكان لهم على يدهم كتاب فقرئ ومضمونه السلام والثناء والشكر والبقاء على محبة السلطان، فرسم بإكرامهم وشكر مرسله وأثنى عليه.

* * *

(١) فى الأصل « فشفعوا ».

(٢) فى الأصل « قدموا ».

(٣) فى الأصل « كانت ».

(٤) يعود الصيرفى للاضطراب فى ذكر التواريخ فيجعل الاثنين ١٣ من الشهر، فإذا صح هذا كان مخالفا لما ذكره هو نفسه ص ٢٥٥ س ٩ من أن أوله الاثنين وكان ذلك مطابقا لما ورد فى التوفيقات الإلهامية، انظر الحاشية رقم ٢، ص ٢٥٥

(٥) فى الأصل « وطلعوا ».

يوم الإثنين ثالث عشرى [١] شهر شوال خلع على الشريف قاسم أخى بركات واستقر أمير مكة المشرفة عوضا عن أخيه على بحكم عزله .

يوم الخميس تاسع [٢] عشرين شوال خلع على شيخنا القاضى بدر الدين العينى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن يارعلى الخراسانى بحكم توجهه إلى مكة صحبة الحاج للحج واستقر عوضه نائبا فى الوظيفة صاحبنا القاضى أفضل الدين أحد نواب الحنفية .

• • •

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الاثنين .

وصل الأمير أركماس الظاهرى الدوادار الكبير من دمياط حسب المرسوم الشريف ، وكان له مدة معوقا بها فلما صعد إلى القلعة اجتمع بالسلطان فأكرمه وحياه ورسم له أن يقيم بداره ، فنزل إليه فجهزله كاملية مخمل بسمور .

يوم الإثنين خامس عشره : برز المرسوم الشريف للقاضى كاتب [٣] السر أن يعلم شيخ الإسلام ابن حجر بلزوم [٤] بيته ومنعه من الحكم .

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٢٣ أن السبت هو أول شوال ، ومن ثم فلا يمكن أن يكون الإثنين ١٣ أو ٢٣ منه ، لكن الأصح أن يقال « الثالث » فقط .

(٢) هذا خطأ أحرى أن يكون الخميس ٢٩ شوال .

(٣) وكان إذ ذاك المقر الكمال ابن البارزى .

(٤) بين ابن حجر فى انباء الغمر السبب فى ذلك فذكر أن صرفه عن القضاء يوم الإثنين الخامس عشر من ذى القعدة كان بسبب نزاع شب بين امرأتين شاميتين فى واقف والدهما فتمرك قاضى الشافعية فى الشام بينهما ، ثم ولى الونائى بعده بقليل فحكم للكبرى دون الصغرى التى رفعت الأمر للسلطان ، وتعصب لها بعض الأكابر ، فأمر السلطان ابن حجر أن يفتى بالاشتراك بينهما ، ويقول ابن حجر فى ذلك : —

وفيه خلع على تقى الدين بن تاج الدين بن نصر الله واستقر ناظر الاصطبلات عوضا عن شمس الدين أبى المنصور كاتب اللالا المشهور بالوزة بحكم عزله، ووزن تقى الدين رسم الوظيفة .

يوم الخميس ثامن عشره : استدعى السلطان شيخ الإسلام ابن حجر وقد رضى عنه الخلع عليه على عادته فى قضاة القضاة .

تاسع عشريه : خلع على القاضى بهاء الدين [محمد بن عمر] بن حجى واستقر ناظر[1] الجيوش المنصورة بالديار المصرية عوضا عن شيخ الشيوخ محب الدين ابن الأشقر بحكم عزله وهو مسافر فى الحجاز ، وكان له[2] موكب عظيم اجتمع معه فى الموكب أعيان المملكة لأجل صهره[3] المقر الكمالى كاتب السر وكان قدومه فى يوم الأحد الثامن والعشرين قبل لبسه بيوم واحد ، وسأل فى جيش مصر والشام خمسة عشر ألف دينار فقبل ، وأحضر معه إلى مصر عدة أحمال لأجل التقادم وسكن فى بيت القاضى عبد الباسط ولكنه ما أحب مصر .

= « فلما تأملت وجدت حكم الونائى لا ينقض » ، فاعتل عليه وكيل الصغرى بأنه أسنده الى ما ثبت عنده « من تبذيرها وسفهها » فاتهمت الصغرى ووكيلها بعض الأكابر ابن حجر بتعصبه للونائى ، فلما بلغ السلطان ذلك صرح بعزل الونائى وابن حجر فلما بلغ ابن حجر ذلك أقام بمنزله لا يجتمع بأحد » . ثم إن السلطان بعث مستقدما ابن حجر وسمع منه القصة مفصلة كاملة « فاعتذر إليه وقرره فى الوظيفة » .

(١) وذلك بالإضافة الى ما بيده من نظر جيش دمشق .

(٢) الضمير هنا عائد على ابن حجى وليس على ابن الأشقر .

(٣) كان ابن حجى متزوجا من ابنة الكمال ابن البارزى .

وختم ولده سيدي يحيى[(1)] هذا الفاضل المستمل القرآن وصلى بالناس بمدرسة القاضي عبد الباسط فكان له جموع حسنة ، وفرق والده من الحلوى شيئا كثيرا لا يحصى ، فصار يوم ختمه الخلق ما يجدون موضعا يمشون فيه .

شهر ذو الحجة

يوم الاثنين رابع عشره : خُلع على الأمير طوغان العثماني واستقر في نيابة القدس على عادته بعد أن عُزل عنها وصودر ثم نفي إلى حلب ثم طلب إلى القاهرة فخلع عليه واستقر — كما قدمنا — كذلك عوضا عن ابن بهاء .

وفي هذه السنة أوفى الله النيل يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأول وركب [محمد بن السلطان] إلى البحر فعدّى من النيل إلى المقياس لخلّقه وركب ففتح فم الخليج المقام الناصري محمد ولد السلطان على العادة بعد أن ركب معه عدة من الأمراء ورءوس النوب ، وخلع على العادة وعاد إلى القلعة فخلع عليه وأخلعها على أحد الأمراء الذين كانوا في خدمته وهو الأمير تلبك حاجب الحجاب .

• • •

(١) كان النجم يحيى بن محمد بن عمر بن حجي حفيد الكمال البارزي يوم ختمه القرآن قد جاوز الثامنة من عمره بشهرين ، إذا أن مولده كان في شوال سنة ٨٣٨ ، وكان إكماله إياه عند الشهاب القرشي ، وقرأ إذ ذاك على ابن حجر حديثا أورده عنه في خطبة الختم ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٥٣٠ .

وفى هذه السنة حج بالناس الأمير تنبك حاجب الحجاب أمير المحمل والأمير عبد اللطيف[(1)] الطواشى مقدم المماليك أمير الركب الأول .

وقاسى الناس فى هذه السنة من الغلاء فى سائر الأشياء أمراً كبيراً[(2)] ، وإلى الله المصير .

* * *

ذكر من توفى فى هذه السنة

من الأعيان

(٨٣٩) — الشيخ الفقيه الفاضل العالم [عبادة بن[(3)] على بن صالح الزرزارى] ، توفى يوم الجمعة سابع شهر شوال ، وكان خيراً ديّناً مفتيا مدرّساً[(4)] ، سئل لقضاء

(١) سماه السخاوى فى الضوء اللامع ٤/٥٠٩ بعبد اللطيف زين الدين الطواشى الرومى المنجكى العثمانى ألطنبغا ، أنظر حاشية رقم ١ ص ٢٥٣ .

(٢) فى الأصل « أمر كبير » .

(٣) لم يذكر الصيرفى اسم صاحب الترجمة المتوفى ، ولكننا أثبتنا ما بين الحاصرتين بعد مراجعة وفيات هذه السنة ممن تنطابق عليهم الأوصاف التى ذكرها عنه المؤلف بما هو وارد فى المصادر الأخرى المعاصرة كأبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧/٢٨٩ ، وابن حجر فى انباء الغمر ، والسخاوى فى الضوء اللامع ٤/٦٦ . هذا وقد سماه ابن حجر حين ترجم له فى وفيات هذه السنة بعبادة بن على الزرزارى المالكى ، على أن البقاعى أضاف بخطه فى تعليق له على نسخة الانباء الموجودة بالهند فقال : « عبادة بن على بن صالح بن عبد المنعم بن سراج » وبهذا الاسم أيضا سماه السخاوى .

(٤) انظر الضوء اللامع ٤/٦٦ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٧٩ .

القضاة المالكية بالديار المصرية فامتنع من ذلك ولم يقبل واختفى وهرب من القضاء .

(٨٤٠) — عز الدين [عبد العزيز] البغدادى قاضى القضاة الحنابلة [بمصر ثم] بالشام كان . توفى فى آخر هذه السنة وهو معزول عن الوظيفة ، وكان ابن مفلح خصمه وثب عليه فى الوظيفة وهو كذلك ، وكان عز الدين رجلا متقشفا إلى الغاية حتى إن الناس كانوا إذا رأوه يضحكون[1] منه فربما لم يسلمون من لسانه مع حبه لوظيفة القضاء فإن هذا أفضل الخفيفين : العقل ، وقال الشيخ الإمام بدر الدين العينى فيه : « لم يكن طويل الباع فى العلم فكان قد تولى القضاء بالقاهرة مدة ثم — أعنى نائبا — وكان عنده الخفة جدا » .

(٨٤١) — جمال الدين [عبد الله] بن الحسن على بن محمد الأذرعى أخو شهاب[2] الدين الأذرعى أحد الأئمة بالمقام الشريف وشيخ المدرسة الباسطية وكان له نحو من ثلاثين ولدا ، وكان له ضخامة وحشمة وافرة قاصرة عليه . وكان يتكلم فى المواعظ للناس ، وحفظه مستحضرا ، يجتمع عليه الناس فى المساجد والجوامع ، وكان قد ترك نيابة القضاء مدة طويلة وانقطع لنفسه وضعف نحوا من سنة .

---

(١) فى الأصل « يضحكوا » .

(٢) يعنى بذلك أحمد بن حسن بن على الأذرعى الشافعى ، وكان المؤيد قد أعجب بصوته فى تلاوة القرآن الكريم بجامع بنى أمية بدمشق حين كان نائبا بها فاستقدمه وجعله إمامه ، « ثم استقر به وبذريته » فى إمامة جامعه المؤيد بالقاهرة حين أصبح سلطانا ، وكان موته سنة ٨٥١ بداء الاستسقاء راجع الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٧٦ .

(٨٤٢) — الشيخ جمال الدين السنباطى الواعظ أحد نواب القضاة الشافعية . توفى يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول بعد أن أذن للعصر .

(٨٤٣) — الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله [بن حسن[1] الأدكوى الفوى] توفى يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول بعد أن أذن العصر ودفن بتربته التى فى الصحراء خارج القاهرة عند ولده صلاح الدين .

وكان رئيسا محتشما كريما أكولا ، باشر عدة وظائف من وظائف المباشرين فولى نظر الخواص ونظر الجيش ، و[صار] كاتب السر وأستادارا ومحتسبا ، وكان بدؤ أمره فقير الحال فتوصل إلى أن عمل شاهدا بديوان الأمير أرغون شاه أحد الأمراء المقدمين الألوف فى أيام الملك الظاهر برقوق فاستقر عنده مدة يسيرة نحوا من شهرين ، ثم انتقل إلى خدمة مهنا دوادارا الأمير بكلمش العلائى فحسُن حاله وترقى إلى أن جاءت الأيام الناصرية فرج فكانت بداية أمره فيها ، ثم زاد ترقيه فى أيام الملك المؤيد شيخ ، ثم فى أيام الملك الأشرف برسباى تولى الوزارة والخاص ، وكان قد نهكه[2] المرض المختلف وعجزت الأطباء عن دوائه فمات كما قدمنا فى تاريخه .

(٨٤٤) — الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى الدوادار الكبير ، كانت وفاته يوم الثلاثاء الحادى عشر من شهر جمادى الآخرة وصلى عليه فى مصلى المؤمنى ، وحضر السلطان الصلاة عليه والأمراء والأعيان وأهل المملكة وقضاة القضاة ،

---

(١) هذا هو اسمه بالكامل .

(٢) ذكر أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) ١٥ / ٤٩٤ أن عقله اختلط فى أخريات أيامه .

وتقدم فصلى عليه إماما شيخنا شيخ الإسلام أحمد بن حجر الحافظ ودفن بتربة أستاذه الأمير طيبغا الطويل بالصحراء .

وكان رجلا قصير القامة ، وصار منفرداً بالكلمة فى الأيام الظاهرية فاقتنصته المنية ، وقدّم أقواما وأخّر آخرين .

وكان يحسن الخط الجيد ويقرأ المغلق ، وله ذوق فى الأقوال والعبارة ، وتحرير فى الأحكام والإشارة ، لم يكن عسوفا فى الأحكام ولا جباراً على الناس .

وأنشأ جامعا[1] بسوق الصليبة بجوار الأسا كفة وقرربه صوفيـة وشيخا ، هو الشيخ علاء الدين القلقشندى ، وخطيبا وإماما ومؤذنين وغير ذلك .

(٨٤٥) — الأمير أيتمش الخضرى ، توفى فى آخر ليلة السبت العشرين من رجب ، ودفن فى تربة الأمير قطلوبك فى الصحراء . قيل إنه سقط عليه سلم فقتله بعد يوم . وكان قد حصل له فى جسده برص فى أيام الملك المؤيد والأشرف . وتولى الأستادارية وخدم المؤيد والأشرف ، وكان قليل الدين حتى إن الشيخ الإمام العلامة بدر الدين العينى قال فى حقه : « لم يكن مشكور السيرة[2] » .

---

(١) ذكر النجوم الزاهرة (شرحه) أنه عمر مدرسة بالشارع الأعظم قرب جامع ابن طولون ، وكانت تقع عند طرف سوق الأساكفة .

(٢) وصفه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٥ / ٤٩٨ بالجهل المفرط وازدراء القوم له وتوبيخهم .

(٨٤٦) — الأمير ناصر الدين [محمد] بن ذلغادر أمير الزا كين[١]، توفى فى أوائل جمادى الآخرة ، وقيل إنه قتل[٢] على فراشه ، وكان قد قدم إلى القاهرة فى سنة ثلاث وأربعين وثمانى مائة على ما ذكرنا ذلك .

وكان من أظلم خلق الله وأكثرهم فسادا وظلما وعتوا وجبروتا[٣] ، وقد استقر ولد سليمان عوضه .

(٨٤٧) — الشاب الحسنى المشهور بالشجاعة والفروسية ، محمد ولد الأمير قانباى الجاركسى ، توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الخامس من جمادى الأولى ، وصلى عليه فى مصلى المؤمنى ، وحضر السلطان فصلى عليه ولم يتأخر أحد إلا وقد حضر جنازته من القضاة والأعيان وأصحاب المملكة .

ودفن فى تربة الأمير جركس المصارع عند دار الضيافة ، ولم يكن بالتربة إلا رأس الأمير جركس ، وانقطع عليه والده وبنى عليه قبة عظيمة ، وحزن عليه حزنا

---

(١) وكان فى الوقت نفسه صاحب ابلستين ، أما ابلستين فقد عرفت أيضا باسم البستان وفى المراجع الأجنبية Arabissus كما ذكر ذلك لى سترانج فى كتابه : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٤ ، وأضاف فى موضع آخر (نفس المرجع ، ص ١٧٨) إلى أنها تقع فى شرقى قيصرية وأنها من مدن الثغور فى أيام الروم .

(٢) رجح أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧/٢٨٨ أنه لم يمت مقتولا .

(٣) جاءت بعد هذا فى الأصل عبارة « ومات فى أوائل جمادى الآخرة » وقد حذفناها لورودها فى أول ترجمته .

كثيرا ، وخلف أولاداً صغاراً وأموالا وغلالا فتلفت هى وقماش بدنه، ولم يمكن والده أن ينظر إليها بعده .

وكان رحمه الله يسوق المحمل ، وتعين أنه أفرس وأشجع من سيدى محمد ولد السلطان .

• • •

حوادث سنة سبع واربعين وثمانمائة
من الهجرة النبوية

• • •

أهلت هذه السنة المباركة بشهر الله المحرم وأوله يوم الخميس . المبارك ، والخليفة أبو الربيع سليمان المستكفى بالله ، وسلطان القاهرة والشام والحجاز وقبرص الملك الظاهر أبو سعيد جقمق . والأمير الكبير أتابك العسا كر يشبك السيفى ططر ، وأمير سلاح تمراز القرمشى ، وأمير مجلس جرباش الكريمى الشهير بقاشق ، وأمير آخور كبير قراجا الحسنى ، ورأس نوبة النوب تمرباى السيفى ططر ، والدوادار الكبير إينال العلائى الأجرود ، وبقية الأمراء المقدمين تكملة ثلاثة عشر نفس كما ذكرناهم .

وقاضى القضاة الشافعى شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر فى الأنام أحمد ابن على بن حجر خادم السنة والأثر ، وقاضى القضاة الحنفى شيخنا شيخ الإسلام سعد الديرى ، وقاضى القضاة المالكى بدر الدين بن التنسى ، وقاضى القضاة الحنبلى بدر الدين بن ناظر القدس بن عبد المنعم البغدادى .

وكاتب السر القاضى كمال الدين بن البارزى ، وناظر الجيش ابن حجى صهر كاتب السر ، والأستادار زين الدين يحيى ، وناظر الدولة الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ، والوزير الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخات .

ونائب اسكندرية الأمير شهاب الدين بن إينال ، ونائب غزة الأمير طوخ المؤيدى ، ونائب القدس الأمير طوغان ، ونائب الشام الأمير جلبان ، ونائب حلب الأمير قانباى البهلوان ، نائب طرابلس الأمير برسباى ، ونائب حماة الأمير أقبردى ،

وقاضى القضاة الشافعى بدمشق الشيخ شمس الدين الونائى ولكنه حضر إلى القاهرة فى أول هذه السنة لأجل زيارة السلطان ، والحنفى بدمشق من يدعى أنه من ذرية الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه واسمه جمال الدين (1) وبيده حسبة دمشق أيضا ، والقاضى المالكى بها يحيى المغربى ، والقاضى الحنبلى ابن مفلح ، والقاضى الشافعى بحلب ابن الباعونى ، والقاضى الحنفى بها ابن الحاضرى ، وغير ذلك من القضاة والحكام والنواب غالبهم على وظائفهم .

وصاحب بلاد قرمان الأمير إبراهيم بن محمد باك بن علاء الدين . وصاحب برصا وجميع بلاد الآجات والبلاد التى ماوراء البحر المالح الأمير مراد بك بن الأمير كرشجى بن الأمير أبى يزيد من ذرية علان جق ، وكرسيه الذى هو موطن ملكه أدرنة ، وصاحب قرم والدست محمد خان . وصاحب ماردين الأمير حمزة

---

(1) ربما كان الأصح أن يقال فيه « نجم الدين » ، ذكر ذلك ابن طولون فى قضاة دمشق ، ص ٢٣٠ ، حيث أشار إلى أنه من ولد الإمام أبى حنيفة وإن قال فى التعقيب على ذلك « على مايزعمون » ، وترجم له فذكر أنه قدم مع أبيه من بغداد فى غاية الفقر ثم ذهبا إلى مصر وسعيا « فى أن رتب لهما شىء على مدارس الحنفية » ، وتقلبت بالإبن الأحوال وتقرب من كشيغا نائب القلعة ، ثم باشر كتابة السر عن ابن حجى بدمشق ، « وأدخل نفسه فى كل شىء » ، ثم ولى قضاء دمشق الحنفى عن شمس الدين الصفدى المتوفى سنة ٨٥٢ بدمشق .

ابن قرا يلوك التركماني . وصاحب بغداد أصبهان بن قرا يوسف الظالم الفاسق الفاجر العاتي . وصاحب تبريز وما والاها الأمير جيهان شاه بن تمرلنك صاحب المشرق، وصاحب بخارى وسمرقند وهراة و بلخ وخراسان وشيراز وغيرها من البلاد التي متصلة بأطرفها الهند والطرف الآخر إلى بلاد شاه رخ الدشت ، وصاحب الغرب مولاى عثمان من أولاد أبي فارس . وصاحب اليمن الملك الأشرف .

• • •

وفي أوائل هذه السنة نقل ابن الباعوني من قضاء حلب إلى قضاء الشام عوضا عن الشيخ شمس الدين الونائي بحكم عزله .

واستقر في قضاء حلب شمس الدين الجزري[1] الشافعي الحموي .

• • •

(١) الوارد في قضاة دمشق لابن طولون ، ص ١٧٢ ، س ١٧ « زين الدين » ، ولعل هذا هو الأصح ، فهناك اثنان كنية كل منهما شمس الدين ، أما أحدهما فشمس الدين أبو عبد الله بن الجزري ، وقد قرأ على الشيخ شرف الدين أو صدر الدين بن منصور وقد أقام بحماة مدة طويلة ، ثم سافر إلى مصر بعد الفتنة واستقر بها وناب فيها في القضاء الحنفي ، وكانت وفاته سنة ٨٢٧ بالقرية البرانية بدمشق سنة ٨٢٧ ، انظر في ذلك : النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ١/٥٥٣ — ٥٥٤ ، وليس من شك في أنه ليس ابن الجزري المقصود في الترجمة لوفاته قبل عشرين سنة من هذه الأحداث ، وأما ثانيهما فشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف المعروف بابن الجزري وليس هو أيضا المقصود في المتن لوفاته سنة ٨٣٤ ، انظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، ٤٦٦/١ ترجمة رقم ١٦ ، والضوء اللامع ٢٥٥/٩ — ٢٦٠ ، والنعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ١/١٤٨ — ١٥٠ ، وأما الثالث فلقبه زين الدين ، واسمه عمر بن أحمد ابن المبارك بن الجزري ، وهو أخو الأول ، انظر عنه الضوء اللامع .

يوم الجمعة الثانى من شهر الله المحرم أمر السلطان أن يسجن الفرنج الذين حضروا من أربدس[١] يطلبون المهادنة ومعهم تقدمة وجماعة من الأسارى المسلمين فحبسوا فى المقشرة بباب الفتوح وعدتهم نحوا من عشرين نفرا ، وكان مجيئهم فى آخر السنة الماضية بأيام قلائل .

عاشره : خلع على القاضى سراج الدين عمر [بن موسى] الحمصى الشافعى واستقر قاضى طرابلس عوضا عن ابن الزهرى بحكم عزله ، وأضيف إليه نظر الجيش بها .

وفيه عاد الشيخ شمس الدين الونائى إلى دمشق على وظيفة القضاء وكان قد حضر[٢] القاهرة لزيارة السلطان .

يوم الثلاثاء تاسع[٣] عشر صفر : خلع على يارعلى العجمى الخراسانى واستقر فى حسبة القاهرة ، وكان معه حسبة مصر فجمع بينهما عن القاضى بدر العينى بحكم صرفه عنها .

• • •

(١) يعنى بذلك رودس كما ذكر المؤلف نفسه ذلك فى الصفحة التالية سطر ٤ .

(٢) هنا يظهر التضارب الشديد بين مؤرخى هذه الحقبة ، إذ الوارد فى قضاة دمشق — نقلا عن تقى الدين بن قاضى شهبة الأسدى — أنه فى آخر يوم السبت ٥ محرم وصل من مصر صاحب بولاية القاضى جمال الدين الباعونى ، ويشير ابن حجر فى الجزء الرابع من الإنباء (تحت الطبع) أن حضور الونائى كان فى ٢٣ ذى الحجة سنة ٨٤٦ حيث استقر فى مصر مستعفيا من ولاية القضاء الشافعى بدمشق ، ويلاحظ أن ابن تغرى بردى لم يتعرض لشىء من هذا فى أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ، بل اختصر أحداثها كلها فى ثلاث صفحات .

(٢) فى النجوم الزاهرة ٧ / ١٢٨ (الثلاثاء ثانى عشر صفر) .

ذكر الغزوة التى جهزها الملك الظاهر إلى أريدس وتسمى أيضا رودس

وسببها أن السلطان لما جهز جماعة يكشفون الأخبار ورجعوا بعد أن نهبوا من قرى أريدس عده ونهبوا وأسروا وصاروا يقولون لو كنا جمعا لأخذنا(١) رودس، وقصد السلطان أن يكون له ذكر فى العالمين إلى يوم الدين كما تقدم للملك الأشرف برسباى فى فتح قبرص التى لم يتفق لأحد من المتقدمين — سوى فى أيام معاوية رضى الله عنه — فقوى عزمه على ذلك وأمر بإنفاق الأموال فى مصروف السفن، وتقدمت الصناع فقدموا من القاهرة واستمروا فى العمل على جانب شاطىء النيل ببولاق، فغرم السلطان أموالا جزيلة، ولما تجهزت المراكب وتكملت بعددها وعُددها، وعدتها نحـوا من ... ...(٢) عين السلطان جماعة من أمراء المقدمين وهم: الأمير إينال [العلائى] المؤيدى الأجرود والدوادار الكبير وجعله باشا ويتكلم فى العسكر وإليه المرجع والمشورة، وغير ذلك. والأمير تمرباى رأس نوبة النوب. ومن الأمراء الطبلخانات سودون قرمش وقانم(٣) التاجر وغيرهم. ومن المماليك السلطانية زهاء ألف وتكملوا بالأسلحة من اللبوس والرماح

(١) فى الأصل «جمع».

(٢) بياض فى الأصل بقدر ثلاث كلمات.

(٣) هو قانم من صفرخجا الشركسى المؤيدى شيخ ويعرف بقانم التاجر، وكان فى الأصل من مشتروات المؤيد شيخ محمودى ثم أطلقه وجعله من المماليك السلطانية. وتوجه فى بعض السفارات إلى الدولة العثمانية، وقد أنشأ مدرسة قرب جامع ابن طولون وصار أتابك العساكر، وكان موته سنة ٨٧١.

والسهام ومعهم الزرد كاشية بسبب رمى المناجنيق والمكاحل وسافروا على ظهـر النيل فى السفن[١] التى أعدت لهم فى يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول ، وقد انضم إليهـم جمع كبير من العشران وأولاد الناس والمطوعين ، وفيهم عدد كثير سافروا على البر ووصلوا إلى ساحل البحر المـالح واجتمعوا إلى يوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر فأقلعوا بالمراكب وعزموا متوكلين على الله تعالى ، ووصل الخبر بذلك إلى السلطان مع الأمير سودون المحمدى فخلع عليه وأنعم له بمركوب من خاص مراكبه .

ثم إن العساكر لمـا وصـــل إلى ساحل أريدس خرج[٢] عدة من المماليك السلطانية ونزلوا بالقرب من سور رودس ، وذلك بعد أن حصنوا المراكب بجمع كثير من المماليك ووكلوا بالسور الذى عليها — جمعا[٣] كبيرا من المقاتلة فصاروا يحمونها[٤] بالرجال ورمى السهام وغير ذلك فتفرقت العساكر فى قراها ونهبوا وغنموا وأسروا وقطعـوا أشجار البساتين . وأما المفسدون[٥] منهـم فانهمكوا على شرب الخمور والفسق والفجور فكيف يحصل النجاح أو النصر على الأعداء ولم يرض[٦] أحد من المماليك يطيع الأمراء فلم يحصل لهم المقصود ، فاجتمعوا وركبوا المراكب

---

(١) فى الأصل « الذى » .

(٢) فى الأصل « خرجوا » .

(٣) فى الأصل « جمع كثير » .

(٤) فى الأصل « يحموها » .

(٥) فى الأصل « المفسدين » .

(٦) لم رضى » بكسر الراء والضاد وسكون الياء ، تعبير مصرى دارج معناه : لم يرض .

وساقوها إلى ساحل سكندرية ودمياط وقدموا القاهرة يوم الخميس الثاني عشر من رجب ومعهم بعض أسرى من قرى رودس وما نهبوه منهم، ودخلوا القاهرة فكان لهم يوم[1] مشهود في يوم الخميس الثاني عشر من رجب من السنة التي هي سنة ثمان وأربعين وثمانمائة .

وكان قبل وصولهم جاءت الأخبار أنهم في غاية التشويش ، وأن أهل رودس متحصنون ، وهم في الرى متمكنون[2] على المسلمين ، فعيّن السلطان من الأمراء العشرات ثمانية نفر، وعيّن من المقدمين الأمير شاد بك وأن يكون باشتهم ، وعيّن من المماليك السلطانية خمسمائة نفر ، وإذا وصلوا إلى العسكر يكون الكلام للأمير إينال الذى هو الباش، وخرجوا للسفر ووصلوا إلى سكندرية وأولادوا ركوب البحر المالح وإذا بالمراكب وصلت وفيها العساكر إلى سكندرية عدة ، وإلى دمياط عدة ، وإلى رشيد عدة ، وآخر أمرهم لما دخلوا القاهرة في التاريخ المتقدم ذكره عاد الأمير شاد بك بمن توجه معه من الأمراء والمماليك.

وأخبر العسكر الذين وصلوا إلى رودس أن جماعة من المماليك السلطانية نحو العشر نفر هربوا ودخلوا إلى رودس وصاروا نصارى فإن أصلهم منهم .

وهرب من المسلمين أيضا إلى الفرنج بهادر الترجمان وارتد — أخزاه الله ولعنه — هذا مع أن أولاده وزوجته ورزقه بالقاهرة .

وقتل من المسلمين في القتال مع الفرنج ما يزيد على مائة نفس وقتل محمد الزرد كاش . وأما الجرحى فأكثر من خمسمائة نفس ، ومن جملة الجرحى الأمير تمراز [النوروزى] ومات في رشيد .

(١) في الأصل « يوما مشهورا » .

(٢) في الأصل « متحصنين ... متمكنين » .

شهر جمادى الأولى

أهلّ بيوم الثلاثاء .

يوم الخميس ثالثه : قدم القاضى زين الدين بن السفاح كاتب سر حلب ، والأمير حطط نائب قلعتها ، والأمير غريب أستادار السلطان بها حسب المرسوم الشريف بطلبهم محتفظا بهم محتاطون بهم حتى تمثلوا بين يدى المواقف الشريفة فأمر بأن يفترقوا ، ثم طلب منهم حساب الأموال التى تصرفوا فيها ، وطلب من ابن السفاح ثلاثين ألفا ، ومن الأمير حطط خمسين ألف دينار ، ومن الأمير غريب الأستادار أضعاف ما طلب ممن تقدمه .

وفى يوم السبت خامسه : خلع على شهاب الدين أحمد بن الرسام واستقر كاتب سر حلب عوضا عن ابن السفّاح بعد أن قرر عليه أموالا يحملها للخزانة ، وأضيف له نظر الجيش أيضا ونظر القلعة بها .

وخلع على الأمير شاهين أحد مماليك السلطان واستقر فى نيابة قلعة حلب عوضاً عن حطط بحكم عزله ومصادرته .

يوم الخميس سابع عشره : خلع على عبد الرحمن بن شمس الدين الديرى واستقر ناظر مدينة القدس ومدرسة الخليل عليه السلام عوضا عن غرس الدين السخاوى بحكم صرفه عنها بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

ثامن عشريه : خلع على عز الدين بن البساطى واستقر قاضيا مالكيا بدمشق عوضا عن يحيى المغربى بحكم عزله .

• • •

شهر جمادى الآخرة

أهّل بيوم الأربعاء .

يوم السبت رابعه : عزل عز الدين الهساطى ومنع من التوجه إلى دمشق فكانت سفرته قريبة ، ويا فرحةً لا تمّتْ .

يوم الثلاثاء سابعه : كان مقدم القاضى زين الدين عبد الباسط [بن خليل] إلى القاهرة ، ولم يتأخر بمصر أحد من الأعيان وقضاة القضاة والأمراء والمباشرين حتى خرجوا للقائه ، فمنهم من لاقاه من قطيا ، ومنهم من لاقاه من الصالحية ، ومنهم من بلبيس ، وغالبهم ليس على حقيقته بل رياءً ووجاهة ، وتمثّل بين يدى السلطان صبيحة يوم الأربعاء (١) فأخلع عليه وأكرمه ونزله إلى بيته

(١) يستفاد من رواية أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧/١٢٨ — ١٢٩ ، أن السلطان لم يرحب الترحيب الواجب بعبد الباسط وأولاده ، فقد قال له — كما ذكر ابن تغرى بردى — « أهلا » بصوت خفى ولم يزد على ذلك « وإن لم يمنعه ذلك من أن يلبسه هو وأبناءه الخلع ، وبعد يومين من ذلك قدم عبد الباسط تقدمته الضخمة « على أن ذلك كله » لم يحرك حظ عبد الباسط عند السلطان ولا تجمل معه بوظيفة من الوظائف بل أمره بالسفر بعد أيام قليلة » ؛ ويشير ابن حجر فى معرض حديثه لهذا الخبر فى إنباء الغمر إلى أن عبد الباسط استأذن بعد حضوره للقاهرة فى زيارة السلطان فأجيب إلى ما سأل ، فحصل له بسط زايد وابتهاج ، وعاد بغير شىء ، ثم تكرر ذلك إلى أن أظهر أنه لا أرب له فى ولاية من الولايات وإنما يريد أن يشتى بالقاهرة ويصيف بالشام ، فسكت عنه . ثم بدا له (أى لعبد الباسط) أن يستأذن فى الرجوع فأذن له فودّع وسار قبل أن يستهل رجب . ويلاحظ مدى الاختلاف بين رواية أبى المحاسن ورواية ابن حجر فى مبارحة الزين عبد الباسط مصر إلى الشام فبينما يردها الأول إلى أن السلطان هو الذى « أمره بالسفر » إذ بالثانى يشير إلى أن عبد الباسط هو الذى « استأذن » فى العودة .

فى موكب جسيم وقد اجتمع[1] أهل مصر لرؤيته وهم يدعون له ، فما قدر فرسه أن يدوس ولا يمشى من كثرة الخلائق .

ثم إن غالب من تقدم ذكرهم من الأعيان أرسلوا له الهدايا والخدم ، وبالغوا فى إكرامه واحترامه إلى يوم الجمعة عاشره قدّم للسلطان هدية حافلة سنية وهى من الخيول عدة مائتين وأربعين فرسا ، منها إكديشان خاصان مسروجان بالذهب ، ومنها عشرة مشدودة بالبركستوانات الملونة البرد والسروج المفرقة ، ومنها ثمانية سروج بيض للأكرة . ومن جملة الهدية فاخر عباء على ظهور الخيل ، ومن البغال ثلاث قطر ، ومن الجمال البخاتى قطار واحد ولكنه خاص .

وأما غير ذلك من الأقمشة الحرير والمخمل والمكفف والسمور والوشق والصوف والسنجاب والبعلبكى الخاص والخوذ والقرقلات والدبابيس المكفتة والسيوف المسقطة بالفضة ما جملة ذلك وعدّته أربع وأربعون حمّالا مردوم على بعضه بعضا . وهو مع ذلك — أعنى السلطان — لم يزدد فى عبد الباسط إلا بغضا فى الباطن ، وفى الظاهر يظهر له الوداد والأنس والقرب ، ويستشيره فى الأمور ويسأله ، ولكنّ سؤالا غير مؤكد فى أن يستقر فى أى وظيفة أراد ، وعبد الباسط يتحقق أن ذلك منه على غير القصد والمراد ، لأن السلطان تحقق أن عبد الباسط هو الذى ولاه السلطنة ، فخشى أن يفعل بغيره كما فعل به .

يوم الاربعاء العشرين منه : قدم الأمير غرس الدين خليل [بن شاهين الشيخى] نائب ملطية إلى القاهرة وتمثل بين يدى السلطان فأخلع عليه باستقراره على عادته ، وكان صحبته هدية فقدمها للسلطان وقبلت .

---

(١) فى الأصل « اجتمعوا » .

يوم الاثنين سابع عشريه : قدم قاصد من القان شاه رخ بن تيمور كوركان ، ووافق حضور قاصد آخر من عند جيهان كير متملك تبريز ، وشاع الخبر أن السلطان يهتم على قاصد شاه رخ ، وكثرت الأقاويل .

* * *

شـــهر رجب

أهل بيوم السبت .

يوم الاثنين ثالثه : خلع على الأمير خليـل الدين الذى هو نائب ملطية ، واستقر أتابك العساكر بحلب عوضا عن قزطوغان الذى كان أستادارا بالقاهرة بحكم غضب السلطان عليه .

* * *

شـــوال

يوم الاثنين العشرين من شوال : استدعى السلطان القاضى محب الدين بن الأشقر فخلع عليه واستقر ناظر الجيش عوضا عن بهاء الدين بن حجى بحكم عزله ، وكانت ولايته الجيش عن القاضى محب الدين المذكور فى السنة(1) الماضية فى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة ، فكانت مدة ولايته الجيش عشرة أشهر واحدا وعشرين يوما .

يوم الاربعاء تاسع عشريه : خلع على بدر الدين محمد بن القاضى فتح الدين المحرق ، واســـتقر ناظر الجوالى بالديار المصرية بحـكم ضعف والده وعجزه

(1) راجع ماسبق ص ٢٥٨ س ٦ وما بعده .

عن المباشرة ، وأضيف له مابيد والده من الوظائف كمباشرة سعيد السعداء وغيرها .

يوم الخميس سلخه : قدّم القاضى بهاء الدين بن حجى للسلطان تقــدمة على اثنين[1] وأربعين حمالا من الأقفاص ومن ثياب بعلبكى وسمــور وسنجاب وقسى حلقة .

* * *

يوم الاثنين : رابع ذى القعــدة خلع على القاضى بهــاء الدين [بن حجى] واستقر ناظر الجيش بدمشق على عادته ، وأضيف له نظر الجوالى ونظـر القلعة [بدمشق] .

وفى غضون هــذه الأيام حصــل للسلطان ضعف ثم عوفى منه وركب ونزل من القلعة إلى البحر ، فدعا له الناس وفرحوا[2] بسلامته وعافيته .

* * *

شهر ذى الحجة

أهل بيوم الأحد .

يوم الاثنين ثانيه : قدم الأمــير جلبان نائب الشام فركب السلطان لأجله ونزل عند المصطبة التى هى مطعم الطيور ، وخلع عليه خلعة ســنيه ، وقدّم له فرسا خاصا بسرج ذهب وكنبوش زركش ، فركبه وعاد مع السلطان حتى صعد

---

(١) فى الأصل « إثنان » .

(٢) فى الأصل « فدعوا » .

إلى القلعة وأنزل فى دار أعدّت له على بركة الفيل وأرسل إليه السلطان السماط .

يوم الثلاثاء رابعه : قدّم تقدمته وهى من السمور خمسة أبدان ، ومن الوشق بدنان ، وقاقم : خمسة أبدان ، وسنجاب خمسون بدنا ، وقوضيات خمسون قوضية ، وثياب صوف ملونة مائة ثوب ، وثياب عاتكى أربعمائة ثوب ، وبطائن خمسمائة ثوب ، وثياب موصلى مائة ثوب ، وقسى حلقة شامى ثلاثمائة قوس ، منها خمسون قوسا خاصا ، وطبول باز عشرة أعداد ، وأطبار خمسة ، وستة وخمسون سيفا ، ودبابيس مائة دبوس ، وخيول مائتا رأس منها بسرج ذهب واحد ، وثلاثة كتابيش بسروج مفرقة وبغال : ثلاث قطر.

وذكر أن من جملة الهدية ذهب عشرون ألف دينار .

وقدّم أيضا للأمير دوادار السلطان بالشام - وكان قد حضر صحبة النائب - تقدمته فى هذا اليوم ، وهى سمور خمس قطع ، ووشق قطعتان ، وقاقم عشرة قطع ، وسنجاب عشرون بدنا ، وصوف ثلاثون ثوبا ، وقوضيات خمسون قوضية وثياب بغدادى خمسون ثوبا ، وطبول باز ثمانية ، وأطبار خمسة . وقسى خمسون قوسا ، وأنطاع سردا فى ، وشقق حرير خمسة .

وقدّم كاتب السر أيضا سمورا : بدنين ، وسنجاب سمور بدنين ، وسنجاب عشرون بدنا ، وصوف عشرة أثواب ، وشقق حرير ثلاثة ، وثياب بعلبكى أربعون ثوبا ، ومخمل خمسة أثواب ، وقسى عشرة ، وأربع علب سكر نبات مقدار قنطار شامى .

وقدّم القاضى الحنبلى بدمشق أيضا — الذى هو ابن مفلح — سمورا: بدنين ووشقا: بدنين، وسنجابا: خمسة أبدان، وقمبى حلقة خمسة، وصوفا ثمانية وسبعين ثوبا، وحرير أطلس ستة، وثيابا بعلبكيا أربعين ثوبا.

* * *

يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة: جاءت الجزية من صاحب قبرص: الصوف والذهب، ووصلوا إلى بيروت وحملوها[1] على دواب الناس بالظلم والسخرة بلا أجرة.

* * *

الأسعار فى هذه السنة

على حالها: الأشرفى بمائتين وخمسة وثمانين بالصرف، ومن المعاملة بمائتين وتسعين. والمثقال من الذهب بثلاثمائة وثلاثين، وخمسة وثلاثين، وأربعين.

والفضة كل درهم بأربعة وعشرين درهما من الفلوس، وكل درهم من الفلوس عدده ثمانية أفلاس ولكنها مخلوطة برؤوس المسامير وبقطع الرصاص والنحاس، ولم يقع مثل هذا فى زمن أحد من الملوك المتقدمين، وفسدت المعاملة بين الناس وزاد التطفيف فى موازين السوقة بل وغيرهم. ووقع الخلف فى الموازين، وهذا كله لعدم من ينظر أحوال المسلمين.

وأما القمح فوصل فى وسط السنة إلى ثلاثمائة درهم الأردب، لكنه اليوم بأقل من مائتين.

---

(١) فى الأصل « حملوهم ».

وبقية الأشياء على ما كانت عليه فى السنة الخالية .

• • •

ذكر خبر قاصد الحبشة

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رجب قدم جماعة من عند ملك الحبشة ، وفيهم شيخ كبير عظيم موصوف بالفروسية والشجاعة ، ومنهم عبد الرحمن الكارمى ، وحضر صحبتهم من الرقيق مائتا رأس ، فمات منهم فى الطريق سبعون رأسا .

يوم الثالث شهر شعبان الذى هو الاثنين : طلع القاصد إلى السلطان فقبّل الأرض وكان ذلك بالحوش ، وقدّم تقدمته منها سبعون جارية ، وطشت ، وإبريق من ذهب ، ومهماز من ذهب ، وسيف سقط بذهب ، وحياصة من ذهب ، وأشياء مصاغة من الذهب ، وكتاب نسخته :

« من مكناسيون بن داود ، عبد المحب الصادق زرع يعقوب المكنّى بقلسطنطين من نسل سليمان بن داود عليهما السلام ، بن عبد سون ، بن سيف أرعد ابن داود ملك سلاطين الحبشة وصاحب الغزاة بالمملكة النجاشية » .

« أما السلاطين فهم سلطان هاجر وتحت يده نواب وسلطانهم طاجة ، وتحت يده نواب .

وسلطان سرجا وتحت يده نواب .

وسلطان دارا وتحت يده نواب .

وسلطان حرابا وتحت يده نواب .

وسلطان دركا وتحت يده نواب .

وسلطان كاشار وتحت يده نواب .

وسلطان دنجا وتحت يده نواب .

وسلطان شدى وتحت يده نواب .

وسلطان أشير وتحت يده نواب .

وسلطان أكاراو وتحت يده نواب .

وسلطان كجما وتحت يده نواب .

وسلطان أكراد وتحت يده نواب .

وسلطان أيدكار وتحت يده نواب .

وسلطان ارجبل وتحت يده نواب .

وسلطان يدكارى وتحت يده نواب .

وسلطان يشكر النجاشى وتحت يده نواب .

وسلطان تدور سطير وتحت يده نواب .

وسلطان أدكار وتحت يده نواب .

وأما نوابه الذين هم تحت يده فهم : نائب أرغيد، ونائب الفرشة، ونائب كردا، ونائب دارا ، ونائب سكن ونائب مرجيلو، ونائب فر كلا، ونائب وتر، ونائب داناى ونائب ريسكاى روا ، ونائب نادل ، ونائب كرت ، ونائب نميسوا ، ونائب أرسلوا ، ونائب ملكا ، ونائب كرلا ، ونائب مسترس ، ونائب بشكانا ، ونائب لاهو ، ونائب جينر ، ونائب ماطا ، ونائب أبرنتى ، ونائب

تكلو ، ونائب شرر ، ونائب كبيشة ، ونائب بلى ، ونائب أبـغى ، ونائب حسادام ، ونائب برقا ، ونائب حبروت ، ونائب بكراد كاط ، ونائب كات ، ونائب كارة ، ونائب دبلحسا ، ونائب ملكا ، ونائب ابردرا ، ونائب جبر ، ونائب نروف ، ونائب نعشير ، ونائب لار ، ونائب لالجا ، ونائب جرار ، ونائب جرشة ، ونائب تركز طيفشوا ، ونائب سموت ، ونائب كرك ، ونائب سحرت ، ونائب دل وهو صاحب المدن التى فيهـا تجار المسـلمين وهى : أجاجا وواحل وقبدوت وغزاز وشرخاسكة وغير ذلك من بلاده مما غزاه منه الجهات الشرقية والقبلية : قريبها وبعيدها إلى البحر المحيط .

وذكر فى كتابه بعد ذلك : « خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته ونصر جيوشه وعساكرهم » .

« إلى المقام الشريف العالى الأوحدى ، السلطان الملك الظاهر جقمق سـلطان المسلمين والإسـلام بمصر والشام ، سـيد الأنام ، الخاص منهـم والعوام ، أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره ، وجعل الفضل والعدل شعاره ، ومحا بعدله وأحكامه أسباب الظلم وآثاره . أما بعد فنحمد الله سبحانه وتعالى شكرا أن رضى ملكه لمن يشاء من عباده ، وخالص المعتقد لأوليائه ، القـائمين بأمره ومراده ، ونحمده على ما أولانا من جزيل نعمائه ، ونشكره شـكرا يزيد فى آلائه وأفضاله ، له الإعانة على الأنام بما يرضيه ، بمـا خولنـا من الممالك الواسعة والمنزلة العالية الرفيعة ، إنه على كل شىء قـدير ، و بالإجابة جدير ، وهو حسبى ونعم الوكيل » « سـلام عليكم سلاما جزيلا وافرا على ما يليق بعظمة سلطانكم وعلى أفراد دولتكم الأعزاء ، وأخصائكم ومقدمى جيوشكم ، وعلى قضاة الشرع الشريف .

انه قد اتصل الينا جميل أخباركم أنكم – حفظكم الله – أمرتم بإبطال المظالم من سائر العام ، ودفعتم القوم الظالمين ، ورفعتم أسباب النصرة عن الرعايا بكل البلاد والأقاليم ، وتعففتم عمن له حرمة ، وافتقدتم آثار المفسدين ، ورحمتم ذوى الفاقة من الفقراء والمساكين ، الذين بهم وجبت لكم دعوات صالحة صريحة ، وبها يفتح الله لكم الحصون المنيعة ، وانقادت لطاعتكم الخلائق الغير مطيعة ، زادكم الله من هذه الأوصاف المشكورة ، ويزيدكم أيضا من هذه الطريق الممدوحة ، والشمائل الجليلة المشروحة ، التى بها صرتم ممن نظر الله إليه بعين الجلالة ، ولنمض إلى قوله وارجع فيسأل رأيه بالأخذ من مشورته ، ويرجع إليه فى الأمور العظام فى مقام من مضى إلى الملوك الأعزاء الأبناء الأقرباء ، مطوقى الأرض بالعدل والانصاف ، إذ أنتم مثلهم ونظيرهم فى سيرتهم العادلة الفاضلة ، كما أن أولئك رفع بهم الحمد والثناء وسناء الذكر بجميل أفعالهم ، كذلك وجب عليكم أن تصيروا بهذه المنزلة الشريفة النقية الصافية النيرة ، ولمسالك هذه النعوت الزكية ، والأوصاف المرضية فى ذكركم الشريف ، والمدح ليس فى مقامكم فقط بل فى سائر الأرض باق ما دامت المياه تجرى ، والرياح تسرى ، والسحب تمطر ، والأرض تنبت ، والشجر يثمر ، والحيوان ينسل ، مادام الكون باقيا سبحان الله ، العظيم الإحسان ، الذى خصكم من عنده بأفضل زيادة ، له الحمد بلا نهاية .

«ولما بلغ إلينا ما أنتم عليه من الخير استنشقنا منه عرفا طيبا وطابا يفوق كل طيب وقصدنا تجديد ما سبق من العهود بين الملوك المتقدمين من بلادنا وبلادكم ، إتباعا لآثارهم المشهورة والمشكورة ، وقصدنا تجديد ماسبق من العهود بين الملوك المتقدمين من بلادنا وبلادكم ، إتباعا لآثارهم المشهورة والمشكورة ، وقصدنا إعلامكم

ذلك بشارة لكم كون ذلك العهد مستمرا بلا انحراف، والاتصال بيننا وبينكم بلا خلاف ، وآخر ذلك ما كان فى أيام الشهيد الظاهر برقوق ونجله الناصر ، سقى الله عهديهما صنوف الرحمة ، وأمام والدنا وجدّنا من المحبة والمودة ما أظهرت بها المصاحف من أخبارهم الجيدة بسيرتهم المرضية ، التى من اقتفى آثارها كانت له مفيدة ، لأنهم كانوا قائمين بالعدل خصوصا من إخوتنا النصارى ، متوصين، فيرجعوا عنهم القوم المقاومين، ويمكنوا من طلب الرزق ، فمنهم كتاب مشتغلون مسترزقون يتولون مباشرة دولتهم الشريفة لما يحققوه من فى خدمتهم وذلك فى بيوت الأمراء والأكابر العارفين وعلى إقطاعاتهم مؤتمنين . وكان عادتهم أن لا يمنعوا من كنائسهم ، ولا يثقل عليهم وعلى من فى الكنائس الأقسية والرهبان ، وذلك بما يحققون من مناصحتهم فى خدمتهم ، وكان عادتهم أن من يموت منهم يدفن ولا يتعرض له أحد ، وإن كان لا وارث له وخلف شيئا من الموجود يتولى أمره أبونا البطريك ليستعين به على كلف الواردين والمقطعين ، وقد بلغنا الآن أن هذه القواعد قد تغيرت عن قبل يوم كانوا عن طريقة البذل حائدين ، وفى طريق الظلم خائضين ، والآن إذا مات أحد من إخواننا النصارى لا يدفن إلا بعد مشقة كبيرة لأهله وأقاربه ، ويؤخذ منهم ما لم تجر به عادة فى أيام الملوك السالفين ، والله تعالى لم يعذب أحدا من خلقه بقطع الرزق ، وإذا وجد منهم أحد على غير الطريق وهو يباشر شيئا لا يليق به يؤدب بمفرده ولا يشاركه [أحد] ، لأن الله تعالى لا يطالب الولد بأبيه ، ولا الأب بولده ، وإنما كل أحد بعمله .

« ثم بلغنا أيضا أن ثم من يتعرض لهم فى كنائسهم فى أوقات صلواتهم وفى أيام أعيادهم ، يقطعون مصالحهم ، ويأخذون مالا يستحقون أخذه ، وأنهم فى غاية

الضيق من ذلك ، وأنتم حفظكم الله عارفون ما يلزم الراعى من النظر فى حال رعيته وأن الله يطالبه بذلك . وأبونا البطريك وأخوتنا النصارى الذين هم الآن تحت من سلطانكم ومملكتكم الشريفة نفر قليل جدا ضعفاء الحال مساكين من كل الجهات ، ولا يمكن أن يكونوا قدر قيراط من المسلمين القاطنين بإقليم واحد من بلادنا ، وأنتم حفظكم الله ليس يخفى عليكم ما فى بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا ، ونحن لهم ولملوكهم ما الكون، ولم نزل نحسن إليهم فى كل وقت وحين ، ومن تقدم من آبائنا وأجدادنا لم يزالوا بهم مستوصين ، ولأنفسهم وأموالهم حافظين ، سامعين من أقوالهم ، رادعين من يتعرض لهم على ما كان آباؤنا سالكون فى طريقهم ولا متعرضين لإقامة مساجدهم ولا إلى أيام أعيادهم وأيام مواسمهم ، فملوكهم عندنا يلبسون التيجان الذهب ، راكبون الخيول المسومة ، وعامتهم فى أسبابهم آمنون ، مطمئنون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، راكبون البغال فى أحسن الأحوال ، ولا نأخذ منهم جزية لا قليلا ولا كثيرا ، ولا نشوش عليهم . ولو أخذنا منهم جزية ووزن كل أحد منهم درهما ذهبا لاجتمع من الأموال ما لا يحصى ، وإن كنتم فى شك من ذلك فاسألوا التجار والمترددين إلى بلادنا ليخبروكم بذلك بالصدق والحق ، ومن نقل إليكم غير ذلك فهو من الكارهين الذين يقصدون رمى الفتن التى هى أشدّ من القتل عند العارفين ، فليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم أن بحر النيل يجرى إليكم من بلادنا ، ولنا الاستطاعة أن نمنع الزيادة التى تروى بها بلادكم عن المشى إليكم ، لأن لنا بلادا تفتح لها أماكن فوقانية ، فينصرف منها إلى أماكن أخر قبل أن يجىء إليكم ، ولا يمنعنا من ذلك إلا تقوى الله والشفقة على عباد الله . وقد عرضنا على مسامعكم ما ينبغى

إعلامه ، فاعملوا أنتم ما يلزمكم وما يقذفه الله فى قلوبكم ، ولم يبق لكم عذر تبدونه سوى ما يسكم عنه ، ومن صدق مودتكم وفضلكم مايثنى عن تكرار السؤال ، وما قصدنا بهذا إلا أن يكون بيننا و بينكم الصلح كما بين الملوك السالفين ، وليكن جسر المودة ممتدا بغير انصرام ، وستعلمون صحة ذلك ، واسألوا الجبرتية الذين هم مقيمون بالجامع الأزهر كم لهم سلطان من المسلمين » .

• • •

وأما سلاطينهم النصارى فقد ذكر أكثر من ثلاثين سلطانا معدودين بأسمائهم وعدد نوابهم ، ومن جملة ما قاله فى كتابه :

« كان والدى داود أرسل رسلا إلى السلطان الملك الظاهر برقوق ، وهم القاضى عيسى وزرع همنانون وغيرهما فقابلهم بالإكرام والاحترام ، وردوا داعين شاكرين ناشدين ، وبسبب ذلك كان فهم إثبات العهود والمواثيق إلى أن توفاه الله ، ولما أراد الله تعالى بجلوسنا على تخت والدى أرسلنا رسولا إلى الملك الأشرف ليتجدد العهد بيننا و بينه ، فأكرم قصادنا وأحسن إليهم وقابلهم بما كنا أردنا منه ، والآن فقد أرسلنا لعظمة سلطانكم رسلا ، وهم : الحاج الجليل عبد الرحمن والأمير عنوسا وغيرهما ، والمسئول بروز أمركم بقبول ما أرسلناه من شىء يسير وعودتهم إلينا سريعا ، ومهما فعلتم من الاحسان نحن فاعلون أضعاف ذلك ، وتصير المودة بيننا و بينكم كما كانت بين الملوك السالفة ، وقد بلغنا أن عظمة سلطانكم رسم للفرنج بعمارة فى القدس الشريف ، وكذلك لملك الكرج . فمن هم هؤلاء ؟ ونحن أقرب إليكم منهم .

«والمسؤول من صدقاتكم الشريفة بروز أمركم بعمارة قبر مريم عليها السلام ، إن أحسنتم فما جزاء الاحسان إلا مثله وأضعافه . وقد بلغنا أن دير المغطس هدم

وهو من أيام الملوك السابقة ، ومن إحسانكم بروز أمركم الشريف بعمارة ذلك ونحن مقيمون على العهد القديم . من أيام أجدادنا وآبائنا فى إقامة جوامعهم ومساجدهم وأذانهم ، وأنتم أيضا تأمرون بالنداء أن لا يقول أحد للنصرانى « يا كلب » ، فإنالله تعالى يقسم الأديان ويعامل كل أحد على قدْر دينه . وأما نحن فنقول للشريف يا شريف ، وللقاضى يا قاضى ، وللشيخ ياشيخ ، فإن لم تصدّقوا فأرسلوا لنا إنسانا جيدا ديّناً يرى ذلك ويسمع .

« وبلغنا أن الحبوش القاطنين بالقدس الشريف قصدوا عمارة قبر على ميت بالأرض مدفون ، ومنعهم من عمارته نائب القدس . والقصد من عظمة سلطانكم بروز أمركم لنائب القدس أن يرسم للحبوش بعمارة ذلك فنحن فى سائر ممالكنا نأمر بإجهار النداء بعمارة الجوامع والمساجد ، والقصد من عظمة سلطانكم أن تتوصّوا غاية الوصية بإخوتنا النصارى ، لتصير بيننا المودّة ، وتفرح فى أيام سلطنتكم الرعية ، بعد السلام الوافى التام على المجلس الشريف السلطانى وعلى محبّيه وعلى أمرائه وعلى قضاة الشرع الشريف وعلى كل من هو فى مملكتكم العالية ، والله حسبي وعليه توكلى والحمد لله رب العالمين » .

• • •

وفى يوم السبت السادس من ربيع الآخرة كسر الخليج ، وذلك بعد أن أوفى سنة عشر ذراعاً فى أمسه ، وتولى فتح الخليج وتخليق المقياس المقام الناصرى محمد ولد المقام الشريف الظاهر ، وكان له موكب جسيم ، وركب معه فيه عدة من الأمراء ورءوس النوب والحجاب والخاصكية وغالب المماليك السلطانية .

وفى هذه السنة حج بالناس الأمير شاد بك الظاهرى ططر أحد الأمراء المقدمين ، وكان أمير الركب الأول الأمير سونُج بغا[1] الناصرى أحد الأمراء العشرات وأحد رءوس النوب ، أخو الأمير أرنبغا .

• • •

ذكر من توفى فى هذه السنة
من الأمراء والمشايخ والرءوساء
رحمهم الله تعالى

(٨٤٨) — المقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الظاهرى جقمق : توفى ليلة السبت الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام من هذه السنة ، وصلى عليه شيخه شيخ الإسلام ابن حجر خارج باب القلعة بقلعة الجبل ، وناهيك بموت مثل هذا ، فاجتمع للصلاة عليه أهل المملكة وأهل العلم وأهل الصلاح وأهل الفضل وأهل الأدب ، فإنه جمع بين ما ذكرنا .

ودفن فى تربة عمه جركس المصارع بالقرب من دار الضيافة ، وكان الأمير قانباى الجاركسى دفن فيها ولده محمدا واهتم بعمارتها فبنى فيها قبة عظيمة وحوشا واسعا وجامعا وخطبة وقاعات ورواقات ومكتبا الأيتام ، وحفر فى الجبل إلى أن وصل إلى الماء .

---

(١) هو « سونجبغا » اليونسى الناصرى فرج ، وكان متزوجا أخت السلطان جقمق ومن ثم أمّره فى أول دولته ، وتعددت مرات سفره أميرا للحمل وقد مات مقتولا سنة ٨٥٧ ، راجع الضوء اللامع ٣ / ١٠٩٣ ، أما أخوه أرنبغا فقد جعله الظاهر جقمق من جملة الطبلخانات ومات قبل أخيه بقليل وإن كان فى نفس السنة ، فورث أخوه سونجبغا منه ثروة طائلة ، انظر نفس المرجع ٢ / ٨٤٢ .

وكان المقام الناصرى محمد حصل له ضعف أولا من عظم السمن[1] فعالجه الأطباء بعدم أكل الخبز وصاروا يفطرونه[2] على الخل وأمور أخر فضعفت معدته ، وقيل إنه سُمَّ ، وعند الله تجتمع الخصوم . ثم انتهك فى المرض مع صحة العقل ، وطالت علته وعجزوا عن دوائه .

وكان مفننا عارفا فاضلا ، بلغ أعلا رتب الكمال فى العلوم العقلية ، فإنه قرأ الكشاف على شيخنا الشيخ الإمام عمدة الأنام أبى عبد الله محمد الكافيجى الحنفى ، وكان يحضر دروسه عدةٌ من الفضلاء والأعيان كالشيخ شمس الدين القاياتى غالبا وكذا الشيخ زين الدين قاسم الحنفى ، وأخبرنى شيخنا الشيخ زين الدين قاسم الحنفى أنه هربت له جارية قيمتها عشرون دينارا فتنكّد من ذلك وتوجه إلى المقام الناصرى عند العصر فوجده يطالع فى حواشى الكشاف فقال له : «ياشيخ زين الدين ساعدنى على المطالعة ، فإن الدرس غداً وهو صعب جداً» فأجابه بما وقع له فقال له : «علىّ ثمنها إن طالعتَ معى فإن هذا العجمى لا يطاق فى هذه الأمور !» .

هذا لفظ الشيخ قاسم لى ، فطالع معه ، وأنعم عليه بثمن الجارية .

وأما شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فأخذ عنه الرواية والدراية وصار يحضر إليه فى الجمعة أياما إمّا ثلاثة أو يومين ، وكذا شيخنا الشيخ سعد الدين الديرى قرأ عليه فى الفقه ، وكان له مجلس[3] عنده إما يومين فى الجمعة أو أكثر .

---

(١) فى الأصل «فعالجوه» .

(٢) فى الأصل «يفطاروه» .

(٣) فى الأصل «مجلسا» .

وترجمه شيخنا القاضي بدر الدين العيني فقال : « وكان له صيت عظيم وحرمة عظيمة يتردّد إليه الناس ولا سيما القاضي الشافعي شهاب الدين بن حجر والقاضي سعد الدين الديري في كل جمعة مرتين وثلاثا في بعض الأيام ، وكانا يقاسيان بشدة في طلوع السلالم الطويلة لأنه كان ساكنا بالقلعة في مكان يسمى بالغور ، ويقاسيان أيضا مشقة الطلوع على المدرج أمام القلعة ، وكل هذا من عدم حرمة حفظ العلم ، وكان الناس يسمونهما ويعدونهما من فقهاء الأطباق ، وكان في أملهما وأمل من يتردد إليه أن يتولى السلطنة عن قريب سواء كان في حياة أبيه أو بعد موته ، ولكن القضاء أتى بعكس مافي خواطرهم ، والله يتولى الأمور » . انتهى كلام شيخ الإسلام العيني .

قلت : الحق عندي أن المقام الناصري لو طلب الشيخ بدر الدين كما طَلَبَ من تقدم وأقبل عليه لصار عنده هذا من أعظم المهمات ولانتفع في أمور الدنيويات كما وقع للقاضيين [1] ، فإنهما كانا واصلين إلى مرادهما من السلطان وغيره بواسطته ومساعدته .

وكان [المقام الناصري محمد بن جقمق] كثير الإنعام على أهل العلم ، بالخصوص الشيخ محيي الدين الكافيجي ، حتى إنه حج في سنة من السنين فتكلم مع والده وأنعم عليه بمال جزيل .

وكان في الواقع نادرة أولاد الناس ، محبا للعلم وأهله ، ملازما للاشتغال لا على منهم ، ويتصور ويعيد الجواب بصحة وإتقان . وأما العلوم الأدبية فصارت طباعه وسليقته وسجيته ، اجتمع بالشيخ شمس الدين محمد بن علي بن حسن النواجي وحظى

(١) في الأصل « والقاضيان » المقصود بهما ابن حجر والديري .

عنده وصار يبيت عنده بالقلعة فى الجمعة يوما واحدا ، ومدحه فأكرم جائزته ، ومدحه ابن أقبرس بعدة قصائد وغيره من الشعراء الفحول .

ولم يظهر والده بعد موته عليه أسفا عظيما بل ولا يوم موته ظهر عليه البكاء، وأظهر التجلد . رحمهما الله تعالى .

(٨٤٩) — الشيخ الأستاذ الصالح المعتقد الصوفى محمد [بن حسن المعروف بالشيخ] الحنفى الذى كان أولا يبيع الكتب ،ثم حصل له وجد وجذب فاعتزل عن التردد إلى الناس وترك البيع والشراء ودخل فى زمرة المتصوفة وانتهى أمره إلى أن صار يقصده[١] الناس فى أمورهم وأحوالهم وحوائجهم ، ولم يكن هو يقصد أحدا من الناس إلا أنهم يحضرون[٢] إليه فيقضى حوائجهم ، وكان يعطى الفقراء العطاء الجميل والبذل ، سيما من يعرف حاله الفقر ، وكان سماطه للواردين والقاطنين ، وكان عنده جماعة من الفقراء يطهون[٣] لهم الغذاء والعشاء ، رحمه الله تعالى . آمين .

وكانت وفاته فى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر[٤] .

(٨٥٠) — الشيخ أبو بكر بن[٥] إسحق بن خالد الكختاوى شيخ خانقاه شيخون، [كانت] وفاته ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الأولى وصلى عليه فى

(١) فى الأصل « يقصدره » .

(٢) فى الأصل « يحضروا » .

(٣) فى الأصل « يتهون » .

(٤) فى النجوم الزاهرة ، ٧ / ٢٨٩ « ربيع الأول » .

(٥) انظر عنه ابن العماد الحنبلى · شذرات الذهب ٧ / ٢٦٠ ، هذا ويعرف الشيخ أبو بكر هذا بالشيخ باكير الحنفى .

مصلّى المؤمنى ، ونزل السلطان من القلعة فصلّى عليه ودفن فى الفسقيّة التى فى جامع شيخون التى دفن فيها جماعة من المشايخ كالشيخ عز الدين الرازى والشيخ زادة ، واستقر عوضه فى مشيخة شيخون شيخنا العلامة كمال الدين بن الهمام .

قال قاضى القضاة بدر الدين العينى فى ترجمة الشيخ أبى بكر المذكور: «وفى سنة خمس وثمانين وسبعمائة لما قدمت إلى كختا كان أبو بكر صبيًّا أمرد، وسمع علىّ شيئًا من التصريف ، ثم فى سنة سبع وثمانين قدم أبو بكر إلى مدينة عينتاب وأقام فيها مدة ، وقرأ علىّ أيضا من التصريف وغيره، ثم فى سنة تسعين وسبعمائة فإنه قدم إلى القاهرة وأنا بها فنزل فى مدرسة برقوق ، وكان بها حينئذ الشيخ علاء الدين السيرامى الذى هو شيخى وحضر دروسه فى جملة الحاضرين من الطلبة المنزلين وغيرهم ، وكتب التلويح بخطه وصححه ، ثم بعد ذلك ركب هواه واشتغل بما يزيل العقل حتى بلغنى أنه كان يجتمع مع اليهود على ما لا يرضى الله تعالى ، وآل أمره إلى أن باع كتبه وغير ذلك حتى أصبح فقيرًا ، وألجاه الفقر والتهتك إلى أن سافر إلى بلاد الروم، وأقام فى بلاد ابن عثمان يتردّد من بلد إلى بلد يحضر من دروس علمائهم، وبعد مدة سافر وجاء إلى حلب وأقام فيها حتى تعيّن بين الطلبة، ثم لما سافر إبراهيم بن السلطان الملك المؤيد إلى بلاد ابن قرمان فى التاريخ الذى قدّمناه، وكان كبير العسكر الذى مع ابن المؤيد الأمير ططر. وكان عنده ذوق من العلم وميل إلى الاجتماع بأهل العلم، واجتمع به أبو بكر المذكور وساعده حتى تولّى قضاء الحنفية بحلب ، وكان إذ ذاك فى حلب من العلماء شخص يقال له بدر الدين ابن سلامة الماردينى وكان من أكابر الحنفية ، وكان ينكر على أبى بكر أكثر أحكامه لأنه كان عاريا عن فقه أبى حنيفة رضى الله عنه ، وكان يفتى من غير

علم ، وربما كان يخطئ خطأ فاحشا ؛ وجمع الشيخ بدر الدين [بن سلامة الماردينى] عنده من فتاويه جملة فيها خطأ فاحش وجواب لا يقتضيه مذهب أحد . ولما قدمتُ حلب مع الملك الأشرف رحمه الله تعالى فى التاريخ الذى ذكرناه اجتمع بى بدر الدين وأعطانى تلك الفتاوى ، ثم لما توفى الشيخ بدر الدين المقدسى شيخ خانقاه شيخون فى ثالث ربيع الآخر من سنة ست وثلاثين وثمانمائة طلب الأشرف أنه يولّينى عوضه فما رضيتُ بذلك ، فنهض ابن مزهر كاتب السر وذكر أبا بكر المذكور فطلبه السلطان من حلب ، فلما حضر ولّاه ، ولم يزل فيها إلى أن أدركَتْه الوفاة » .

(٨٥١) – القاضى فتح الدين صدقة الشهير بالمحرّقى أحد أخصاء الملك الظاهر جقمق ، قدّمه ورقاه وولاه الجوالى وصارت له حرمة وكلمة .

توفى ليلة الخميس سلخ شوال من هذه السنة ، ودفن بالصحراء خارج باب الحديد . وكان رجلًا ساكناً ديناً خيرا ، ترجمه شيخنا البدر العينى فى تاريخه فقال : « كان رجلًا عاريا عن العلوم ، مشهورا بالمباشرات ، ولم يظهر بين الناس إلّا بعد خدمته لابن سنقر أستادار الأمير قلمطاى رحمه الله . وقرّره شاهداً عند قلمطاى ، ثم ترقى حاله عند الظاهر جقمق حتى حصل ما حصل له من الوظائف » . انتهى كلام شيخنا .

وتولى ولده وظائفه بتمامها وكمالها فى حال حياته لما تحقق منه عدم الرجا فى الحياة .

(٨٥٢) — غرس الدين خليل [بن أحمد[1] بن علي] السخاوي أحد أخصاء الملك الظاهر جقمق ومباشره — وهو أمير — إلى أن تسلطن فقربه وأدناه وصار يتقاضى حوائج الواردين والناطقين ، فاشتهر بذلك بين العالمين، إلى أن تولى نظر الحرمين : القدس والخليل . وكان يمشي في نظر القدس والخليل على هيئة الوزارة وكتابة السر . قال الشيخ الإمام عمدة الأنام « إنه كان جابيا يجبي وعلى كتفه خُرْج ، ولم يكن له يد من طرف علم من العلوم بالكلية ، بل كان يعد من العوام » انتهى كلامه .

وترجمه الجمالي يوسف بن المرحوم الأتابكي تغرى بردى عين المؤرخين بمصر والشام في تاريخه ترجمة تتضمن إنه كان[2] ... عند الزين بن الفمني وأمثال ذلك ، فوقف ولده على ترجمة أبيه وقطع الورقة من كتابه .

وفي الواقع أنه كان قليل الشر والخير ، وخلف مالا فتلف .

• • •

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ٣/٧٣٥ .

(٢) ورد بعد هذا ثلاث كلمات غير مقروءة ولم نستطع الاستدلال عليها ولا على مقصود المؤلف ، لا من النجوم الزاهرة ولا من الضوء اللامع ، هذا وقد ورد في ترجمته التي ذكرها أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ٧/٢٩٠ — ٢٩١ « أنه كان من أطراف الناس ، وأحد من رقاه الملك الظاهر جقمق ، وكان في مبدأ أمره يبيع الحلوى ثم صار جابيا للأملاك ، ثم خدم جماعة كبيرة إلى أن حسنت حاله وصار يركب بغلة برجل » .

ذكر شيء من حوادث
سنة ثمان وأربعين وثمانمائة
من الهجرة النبوية المحمدية

• • •

أهلت هذه السنة بشهر الله المحرم وأوله الاثنين .

والخليفة أبو الربيع سليمان المستكفي بالله ، وسلطان القاهرة ومصر والشام والحجاز وقبرص الملك الظاهر أبو سعيد جقمق .

وأتابك العساكر الأمير يشبك السيفي ططر ولكنه متضعف ويبرأ وينتكس حتى أشيع واستفيض أنه سُمّ ، والله العليم بحاله .

وبقية الأمراء المقدمين على حالهم ماخلا المقام الناصري ولد السلطان .

وقضاة القضاة والمباشرون والنواب على حالهم ، غير أن الأمير ألطنبغا[1] اللفاف

---

(١) هو ألطنبغا الظاهري برقوق المعلم المعروف باللفاف ، وقد صار في أيام السلطان الملك الأشرف برسباي من جملة معلمي الرماح ، وكبرت منزلته عنده لحسن دفاعه عنه ضد قرقماس الشعباني الخارج على السلطان ، فزاد برسباي من إقطاعه وجعله أمير عشرة ثم أمير طبلخاناة حتى بلغ مرتبة نائب اسكندرية فرأس نوبة النوب ، ولما ضعف لزم بيته حتى مات سنة ٨٥٦ .

تولى ثغر اسكندرية عوضا عن أحمد[١] بن على بن إينال أستاذ السلطان بحكم عزله ، وكان أحمد المذكور تولاها عن الأمير أسنبغا الطيارى .

وفى هذا الشهر قوى الفناء بالطاعون وكان ابتداؤه من أواخر شهر ذى الحجة من السنة الماضية واستمر إلى أوائل شهر ربيع الأول ثم ارتفع ، وكان زحمه[٢] فى شهر صفر فوصل فيه الموت إلى خمسمائة وستمائة وسبعمائة وثمانمائة ، ثم بلغ ألفا وهو يزيد وينقص وغالبه فى الأطفال والعبيد والجوارى .

يوم الجمعة ثانى عشر المحرم ركب يار على العجمى الخراسانى المحتسب فى جمعه إلى بولاق فكبس على المعصرة التى تقابل بيت المقر الجمالى ابن البارزى ، فاجتمع عليه أهل المعصرة والعبيد والجوارى وأشبعوه سبا ورجما الحجارة ، ولولا أن لطف الله به وهرب فدخل بيت القاضى كمال الدين بن البارزى وإلا كانوا قتلوه فإنه[٣] هو الذى خلصه منهم ، وصاروا يسبونه : « يا ملعون ، يا رافضى » وهو قد تسلط عليهم وعلى غيرهم فصار يأخذ ما عندهم ويقطع مصانعتهم .

---

(١) أما وقد أوشكت المخطوطة على الانتهاء قبل إيراد ترجمة أحمد بن إينال اليوسفى الذى مات سنة ٨٥٥ ، ولما كان قد ورد اسمه فى أول هذا الجزء من نزهة النفوس فنقول إن السلطان جقمق أخذه اعترافا بحق أبيه وجميله عليه ثم جعله نائب اسكندرية كما أنعم عليه بإمرة طبلخاناة ، ولما مات صلى عليه السلطان بنفسه فى سبيل المؤمنى .

(٢) الوارد فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٧ / ١٣١ أن الطاعون أخذ يتزايد فى كل يوم حتى بلغ فى صفر عدة من يموت به خمسمائة إنسان يوميا ، لكنه لم يصل إلى الرقم الذى ذكره الصيرفى .

(٣) أى ابن البارزى .

ذكر من نُفى فى هذه السنة ومن شُفع فيه

كسباى (١) [الششمانى] الشهير بالدوادار [نفى] يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر صفر إلى صفد ومعه مملوك آخر يسمى شاهين (٢) ، وشُفع فيهما فلم يقبل السلطان شفاعتهما .

ونفى يونس أحد الأمراء آخورية فى يوم الجمعة مستهل ربيع الأول .

ونفى سودون السودونى الحاجب إلى قوص فى يوم السبت التاسع من ربيع الآخر ، وكان السلطان قد نفاه قبل هذا مرتين وشفعوا فيه فعاد إلى حلب .

ونفى سودون الأشقر الذى كان مملوك طوغان أمير آخور الملك المؤيد فى يوم الأحد ثالث ربيع الآخر ، وكان قد اتصل بالسلطان وتقرّب منه حتى ولّاه عدة أنظار ، وكان فى وقت مرسوم السلطان بنفيه فى الجامع الأزهر يأمر وينهى ،

---

(١) هو كسباى الششمانى الناصرى ثم المؤيدى ، وكان أحد معلمى الرمح ، وبلغ مرتبة الدوادارية فى حكومة جقمق ، ونالته منه محن ونفى للبلاد الشامية غير مرة بدون ذنب يقتضيه ، كما قال السخاوى ، وقد ساق المحمل المصرى باشا ، وكانت وفاته سنة ٨٧٠ ، وكان على الرغم من أعجميته يجالس العلماء كالقاضى سعد الدين بن الديرى حيث رآه السخاوى وهو بين يديه يقرأ كتاب الشفا للقاضى عياض ، ووصفه السخاوى بأنه كان « رأسا فى أنواع الفروسية كالرمح والرمى وضرب السيف » انظر الضوء اللامع ٦/٧٨٢ .

(٢) لعله شاهين الطوغانى طوغان الحسنى الذى كان من دوادارية الناصر فرج واتصل بجقمق قبل سلطنته ، فلما تسلطن جعله أحد دوداريته الصغار ، وقد وصفه السخاوى فى الضوء اللامع ٣/١١٣٨ بأنه كان « أحق بخيلا أحوانا » .

والدهّانون عمّالون فى دهان المحراب والأعمدة ، وكان قد تولىّ نظـــر الجـــامع [الأزهر] قبل هذه العشرة أيام عوضا عن تانى بك العـلائى حاجب الحجاب الذى هو تنبك العلائى ، وصدق القائل « لا تعتمد على الملوك » ، لأنّ هذا كان خصيصاً عند الظاهر [جقمق] جدا .

ورُسم بنفى الأمير أقطوه إلى طرسوس قبل العيد بأيام ، ثم شَفع فيه الأمير يشبك الأتابكى وبالغ فى ذلك حتى أعيد إلى دمشق .

يوم الاثنين خامس ربيـع الأول : رسم بنفى شمس الدين بن العطار أحد الصوفية بخانقاه شيخون إلى ملطية وتوجهـوا به إلى سرياقوس ثم وقعت فيه الشفاعات فردوه إلى القاهرة ، وسبب هذا لأنه صار بينه وبين الشيخ شهـاب الدين الكاتب الرومى مخاصمات وصار يؤسى عليه ، فرفع أمره إلى السلطان .

• • •

شهر ربيع الآخر

أهل بيوم الجمعة[1] .

يوم الأحد ثالثـه : ضرب أبو البركات الهيثمى أحد أعيان نواب قاضى القضاة الشافعية ابن حجر بين يدى السلطان ضربا مؤلماً وأمر بكشف رأسه من بين يديه إلى أن وصل إلى باب القلعة وهو فى تسليم الوالى ، ورسم بسجنه فى المقشرة ونزل القاهرة وهـو راكب مع الوالى ثم أطلق بعد هـــذا فى يومه أو غده .

---

(١) بداية هذا الشهر عند أبى المحاسن هى يوم السبت وليس الجمعة كما عنـد الصيرفى ، ويتفق التاريخ الوارد فى النجوم الزاهرة مع بداية الشهر فى التوفيقات الإلهامية ، ٤٢٤ .

وسبب هذا أن شخصا من أرباب الدنيا مات وخلف مالا واسعا وورثة ، فآل أمره إلى بيت القاضى الشافعى لأجل أولاده الصغار ، وأثبت القاضى المسمى صداق إحدى زوجاته ، فوثب شخص من الأوصياء وشكاه إلى السلطان فوقع له ما وقع . ولما بلغ شيخنا الحافظ قاضى القضاة ابن حجر ذلك[1] عزل نفسه فبلغ السلطان ذلك من عزل ابن حجر ، فأرسل إليه شمس الدين [الرومى] الكاتب فتلطف به واجتمع به وأصبح السلطان من الغد فاستدعى شيخ الإسلام ابن حجر فأخلع عليه واستقر به على عادته .

ومن العجيب أن أبا البركات الهيثمى كان له ما يكفيه من الدنيا حتى قيل إن له الستمائة درهم فى كل يوم وهو لا يرجع عن القضاء . والعجيب أنه توصل بالسفطى إلى السلطان وتدخل عليه وكتب أحاديث مما يتعلق برضا السلطان وطلع إليه حتى رضى عنه وألبسه خندة صوف .

وفى هذا اليوم خلع على الأمير سودون المحمدى واستقر نائب قلعة الشام عوضا عمن بها[2] ، ورسم لنائب القلعة أن يستقر حاجب الحجاب بالشام عوضا عن سودون[3] بحكم وفاته .

(١) الواقع أن ابن حجر لم يعزل نفسه بل الذى عزله هو جقمق نفسه ، بدليل ما ذكره هو ذاته من أنه فى يوم الأحد ثالثه حضر إليه بعض الدوادارية من عند السلطان « يأمره أن يلزم البيت » . وهى كناية عن العزل ، ثم لم يلبث إلا ساعة أو دونها حتى حضر إليه الشيخ شمس الدين الرومى جليس السلطان فذكر أن السلطان ندم على ذلك وقال « لم أرد بذلك العزل » .

(٢) كان الشخص الذى يتولى نيابة القلعة بها هو جانبك الناصرى دوادار برسباى الحاجب

(٣) هناك ثلاثة يعرف كل منهم بسودون النوروزى ، ولعل المقصود فى المتن أعلاه هو الذى تولى حجوبية دمشق وهو الذى صار فى أيام الأشرف برسباى دوادار السلطان بحلب ، ثم لما ولى جقمق السلطنة نقله لحجوبية دمشق الكبرى ، وإن كان السخاوى فى الضوء اللامع ١٠٨٩/٣ قال إنه مات فى سنة ٨٤٢ ولكن « ظلنا » .

وفيه أيضا خلع على قنصوه الأشرفى الذى جرى له ما جرى وكان أميراً وهرب مع إينال الجكمى واستقر نائب ملطية عوضا عن قرطوغان الأستادار الذى كان أتابك العساكر بحلب، وكان قانصوه هذا المذكور له مدة بطالاً ببيت المقدس .

وفى هذا اليوم رسم السلطان للأمير شاد بك والأمير طوخ المشهور بغليظ[1] الرقبة أن يتوجها إلى الصعيد لأجل فساد العربان من الكنوز[2] ، وعين معهما عدة من المماليك : وكان قبل هذا عين السلطان الأمير أيتمش شاد الشرابخاناه ومائة وخمسين[3] مملوكا إلى الصعيد بسبب ذلك .

(١) وكان يعرف أيضا بنى مازق أى غليظ الرقبة ، وكان قد ولى أتابكية حماة وجاء إلى مصر صحبة الظاهر ططر وأصبح فى عهد برسباى رأس نوبة ثم صار أمير طبلخاناة ثم رأس نوبة ثانى ومات سنة ٨٧٢ ، راجع الضوء اللامع ٤ / ٢٩ .

(٢) الكنوز من أتباع جماعة عربية من بنى ربيعة التى استطاعت تكوين أول إمارة عربية واتخذت من أسوان مقرا لها ، أما زعيم بنى ربيعة فقد ألقى القبض على أبى ركوة الثائر الأموى الأندلسى الذى كان قد فر إلى الصعيد مما أرضى الحاكم بأمر الله فلقبه بكنز الدولة ومن ثم عرفت الجماعة بهذا الاسم ولكنوز . ويقول المقريزى إن زعيمهم كان يدعى بمسروق وإليه ينسب كنز الدولة حامى أسوان ولم يزل زعيما على ربيعة حتى مات ، فقام فى رياستهم بعده ولده أبو المكارم هبة الله بن الشيخ أبى عبدالله محمد بن على ويعرف بالأعوج المطاع ، وهو الذى ظفر بأبى ركوة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه فأكرمه الحاكم إكراما عظيما ولقبه « كنز الدولة » وهو أول من لقب منهم بذلك ، انظر المقريزى ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب (تحقيق عبد المجيد عابدين) ، سنة ١٩٦١ ، ص ٤٥ — ٤٦ .

(٣) فى الأصل « خمسون » .

وكان في يوم الاثنين الرابع من ربيع الآخر[1] خلع على الأمير سودون[2] البردبكي أحد الحجاب الصغار ، واستقر في ولاية دمياط عوضا عن طوغان بحكم عزله .

يوم الثلاثاء خامس شهر تاريخه : خلع على الأمير دولات باى الدوادار الثاني واستقر ناظر الجامع الأزهر عوضا عن سودون[3] [الأشقر] الذي نفى إلى الشام.

يوم الخميس حادى عشرين شهر جمادى الأولى: خلع على شيخنا شيخ الإسلام وقاضى القضاة ابن حجر واستقر ناظرا على جامع عمرو بن العاص عوضا عن الأمير فيروز الركنى بحكم عزله ، وكان فيروز قد تولى نظر الجامع أياما يسيرة عوضا عن تنبك حاجب الحجاب بحكم خروج النظر عنه .

* * *

شهر رجب

أهل بيوم الأربعاء .

يوم الخميس ثانيه : حضروا برءوس على رماح من الكنوز .

يوم الخميس تاسعه[4] خلع على ماماى[5] خازندار يلبغا الذي كان أميرا كبيرا ، واستقر دوادارا ثانيا عوضا عن كسباى المنفى إلى الشام .

---

(١) في الأصل « الثاني » .

(٢) انظر عنه الضوء اللامع ٣ / ١٠٥٣ .

(٣) راجع ما سبق ص ٢٩٩ س ١٠ وما بعده .

(٤) في الأصل « عاشره » ، لكن المؤلف يذكر أن الأربعاء هو أوله مما لابد معه أن يكون الخميس هو « تاسعه » ، وفي جدول سنة ٨٤٨ في التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٤ ، أن الأربعاء هو أوله .

(٥) هنالك ثلاثة أوردهم السخاوى في الضوء اللامع ٦ / ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ باسم « ماماى » ولكن ليس في ترجمة أحدهم ما يدل على أنه كان خازندار يلبغا . أما إثنان منهما فاسم أحدهما ماماى —

وفى رابع رجب قدم الأمير بردبك العجمى [الحكمى] نائب حماة إلى القاهرة وتمثل بين يدى المواقف الشريفة ، فلما رآه السلطان سبّه ولعنه ورسم بسجنه بالبرج ، ثم فى غده رسم بنقله إلى الاسكندرية فسُيِّر فى وقته واعتقل بها .

وسبب هـذا أنه وقع بينه وبين أهل حماة شر كبير أفضى إلى قتال عظيم بينه وبينهم ، فقتل من أهـل حماة مائة وعشرين نفسا ، منهم من وسّطهم هو [ذاته] وقُتل من مماليكه نحو من عشرين نفسا ثم انهزم منهم فتوجّه إلى العربان ودار أياما وهو فى حيرة وهوان وذل ، فأرسل إليه نائب الشام وحلف له أن السلطان لا يمسه بسوء ، فحضر إليه فأرسله إلى السلطان ، فوقع له ما ذكرناه .

ولما بلغ السلطان ما وقع له مع أهل حماة وانهزامه منهم ولى نيابة حماة الأمير قانباى [الأبو بكرى] البهلون نائب صفد ،وتولى صفد الأمير بيغوت [المؤيدى الأعرج] نائب حمص .

* * *

يوم الاثنين الخامس[1] من رجب خلع على الأمير تنم[2] [من عبد الرزاق] أمير عشرة واستقر نائب اسكندرية عوضًا من الأمير ألطنبغا [المعلم] اللفاف بحكم

= ابن حزة الظاهرى الذى صار أمير عشرة فى زمن السلطان قايتباى ومن ثم فهو متأخر زمنيا من أحداث هذه السنة ، وأما ثانيهما فاسمه « ماموية الأشرفى قايتباى » الذى عمل الدوادارية الثانية ، ولكن نسبته الى قايتباى تجعلنا نسقطه هو الآخر من أن يكون هو المقصود فى المتن وإن كان دوادارا ثانيا مما يتفق مع مرتبة المشار إليه فى المتن ، على أن الثالث اسمه ماموية السيفى إينال المظفرى وربما كان هو الذى يقصده الصيرفى رغم أنه كان دوادارا ثالثا إذ ربما كان الترقيم العددى لمكانه من الدوادارية فيه سهو ، إما من الصيرفى أو من السخاوى ولكنه شغل وظيفة الدوادارية زمن السلطان جقمق مما يطابق فترة هذه الأحداث .

(١) الصواب فيه أن يقال « السادس » .

(٢) المقصود به تنم من عبد الرزاق الجركسى المؤيدى ، انظر عنه الضوء اللامع ٢/١٨٢ .

عزله ، وأنعم عليه السلطان بدورة البحيرة لكونه عُزل ، ثم إن السلطان قدمه وجعله من الأمراء المقدمين الألوف بالديار المصرية وأمره السلطان أن يسكن في بيت نوروز بالرميلة .

يوم الاثنين الثانى عشر من شهر شعبان قدم الأمير على باى الأشرفى من دمياط وكان منفيا من أول سلطنة الظاهر فخلص من السجن وحضر إلى القاهرة بشفاعة الأمير قانباى الجاركسى ، واستمر في القاهرة .

يوم الاثنين عشريه [(١)] : قدم بهاء الدين بن حجّى إلى القاهرة وطلع القلعة وتمثّل بين يدى السلطان في مستهل شهر رمضان ، وكان قد قرر معه المباشرون أن يستقر ناظر الجيش بالديار المصرية عوضاً عن ابن الأشقر ، وطلعوا بخلعته فلم يتأخر ابن الأشقر عن الطلوع ، فلما رآه السلطان رق له [(٢)] وأشفق عليه وقال : « لا أُوَلّى غيرك هذه الوظيفة ولو أعطيت ثلاثين ألف دينار » ، فرجع ابن حجى وقد فات عليه مطلوبه ولم يظفر بشيء .

وكان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين [(٣)] من شعبان أرسل قانباى الحمزاوى نائب حلب إلى السلطان تقدمة صحبة دواداره وهى من الخيول : مائة رأس ، ومن الشقق المخمل : ستون شقة وسنجاب وقاقم : عدة ثمانون بدناً ، وثياب بعلبكى : ثمانون ثوباً فقبلت .

---

(١) الأصح أن يقال فيه « تاسع عشره » .

(٢) فى الأصل « راق به » .

(٣) الأصح أن يقال فيه « العشرين » ويلاحظ كثرة اضطراب التواريخ لهذا الشهر عند الصيرفى .

يوم الخميس رابع[1] رمضان قدم رسل ألقان شاه رخ بن تمرلنك وعدتهم نحو المائة نفس أو أكثر ولهم أتباع كثيرون جدا ، ومعهم بخاتى هدية وصناديق محمولة أيضا على البخاتى، قيل إن فيها كسوة للكعبة ، وكان قاصد شاه رخ لما حضر فى العام الماضى استأذن الملك الظاهر فى ذلك فأذن له ، قال الشيخ بدر الدين العينى : «ذلك من عجز السلطان» . وكانت معهم امرأة عجوز ذكروا أنها زوجة تمرلنك حضرت لتحج فأقامت بدمشق وتصدقت بصدقات كثيرة .

وأما القصاد فإنهم أُنزلوا بالحجازية المجاورة لدار الأمير جمال الدين الأستادار، وصُنع لهم كلف كثيرة وعلاقات زائدة، حتى قيل إن عبد الله — كاشف بلبيس — تكلّف لعليق دوابهم فى ليلة واحدة أربعة وعشرين[2] إردبا من الشعير، وذبح لهم سبعة وعشرين خروفا، وفوقًا[3] من مائتى طير ودجاج ، وخرج للقائهم أمراء مصر وقضاة القضاة الأربعة والمباشرون ، لأن فيهم شخصاً[4] زعموا أنه قاضى شاه رخ ، وقيل إنه رجل من أهل العلم مشهور ببلادهم .

[وفى] يوم الاثنين الثانى عشر من رمضان طلعوا إلى السلطان، وكانت الخدمة بالحوش خدمة عظيمة جداً مع تقدم المناداة للمماليك السلطانية وأجناد الحلقة أن أحدا منهم لا يغيب عن الخدمة ، ورتبت من أسفل القلعة إلى الحوش

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة (طبعة طرخان ١٥ / ٣٦٥) « يوم الاثنين ١١ رمضان » وكلا التاريخين عند أبى المحاسن والصيرفى معتل ، ولا يستقيم التاريخان إلا إذا اعتبرنا عبارة المتن أعلاه كالتالى « الخميس رابع عشر رمضان » . ومع ذلك فإنه بالرجوع إلى جدول سنة ٨٤٨ بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٤ ، نجد أن أول رمضان من تلك السنة كان السبت .

(٢) فى الأصل « عشرون »

(٣) فى الأصل « شخص » .

السلطانى ، ولما تمثلوا بين يدى المقام الشريف وقعت القالة الكثيرة ، وكانت الكسوة قد طلعوا بها صحبتهم وغيرها من التقادم على سبعة أقفاص ، فأمر السلطان بإدخالها إلى البحر ، ورجع[1] والقصاد بشر كبير ولم يصلوا إلى باب القلعة حتى أهينوا وضُرب بعضهم وخُوفوا ، وفى أثناء هذا الأمر وثب[2] المماليك الأجلاب بالطباق ونزلوا ، فانضاف إليهم الزعر والعوام فنهبوا ما معهم من القماش والذهب والخيل وكل ما يملكونه ، حتى أنهم ذكروا أن فى جملة مانهبوه من الذهب العين شيئا كثيرا ، ومن النوافج : المسك ، ومن اللازورد والحرير واللؤلؤ والفصوص وغير ذلك من حلى بلادهم .

ولما بلغ هذا الأمر المسامع الشريفة رسم للأمير إينال الأجرود والدوادار وللأمير حاجب الحجاب ولبعض رءوس النوب بأن يبادروا بأنفسهم إلى هذا الخطب الجسيم ، فاحتاطوا بالمكان وبمن تأخر فيه من النهابين من العوام والأتراك وغيرهم من المفسدين ، فوضعوا فى الجنازير .

• • •

ثم فى يوم الثلاثاء فعل[3] الأمراء كعادتهم فى أمسية يوم الأربعاء ، طلعوا بجماعة من العوام الذين نهبوا قصاد [شاه رخ] بن تمرلنك فضُربوا بين يدى السلطان ، منهم مَن ضُرب بالمقارع ، ومنهم من ضُرب بالعصى ، ونزلوا مع الوالى مشهورين ويُنادى عليهم : « هذا جزاء من ينهب حجاج بيت الله الحرام » .

---

(١) فى الأصل « ورجعوا » .

(٢) فى الأصل « وثبوا » .

(٣) فى الأصل « فعلوا » .

وأما المماليك الأجلاب ومن يتشبه بهم فلم يتعرضوا لهم لا بضرب ولا بسؤال ولا بكلام .

وحصل عنده[1] من الحدة الزائدة مالا يعبر عنها ، واحتاج أن سألهم عن كية ماعدم لهم ودفعه إليهم على نقدات ، وهون عليهم ، ووعدهم بكل جميل وأوفى ، وتفضل وزاد لما توجهوا الى بلاد الحجاز الشريف ، وأمر الأمراء بضيافتهم والاحسان إليهم فصار كل أمير من المقدمين يضيفهم ضيافة عظيمة مصروفها نحو المائتين دينار ، وآخر الأمر يركبهم الخيول بالسروج الذهب والكنابيش والكوامل المخمل ، كل ذلك ليزول ما عندهم ويتعوضوا ما فقدوا .

* * *

يوم الثلاثاء حادى عشر شوال : خُلع على القاضى سراج الدين الحمصى[2] واستقر قاضى القضاة الشافعية بحلب عوضا عن [شمس الدين] الجزرى[3] الحموى بحكم عزله .

* * *

سادس عشره : ورد الخبر من بلاد ابن عثمان أن بنى الأصفر[4] الملعونين قاتلوه فقاتلهم قتالا عظيما فظهر بهم ونصره الله عليهم ، بعد أن قُتل من المسلمين عشرة آلاف نفس .

---

(١) أى عند السلطان .

(٢) فيما يتعلق به راجع ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٦٧ .

(٣) راجع ما سبق سنة ٨٤٧ ص ٢٦٩ وحاشية رقم ١

(٤) يشير الصيرفى هنا إلى ما تمخض عنه التحالف الأوروبى ضد الدولة العثمانية فى بداية الأمر من إنزال الهزائم الساحقة المتلاحقة بالجيوش العثمانية حتى بلغت فى مجموعها أربعا ، مما حمل الأتراك على طلب الصلح مع أعدائهم فكانت من ذلك معاهدة زيجيدين Szegedin فى ١٢ يوليو ١٤٤٤ ؛ —

وأما بنو الأصفر فقتل منهم أضعاف ذلك وانكسروا كسرة فظيعة شنيعة، وقبض على خمسة من أكابرهم الذين هم الأعيان . وأما الأسرى الذين أسرهم فعدتهم عشرة آلاف . وأما الذهب والفضة فلا يمكن ضبطهما لكثرتهما، خارجا عن الخيول والجمال والبغال والبقر والأغنام، خارجا عما نهبة[1] العساكر، وغنم المسلمون مالا يحصى ولا يحصر .

يوم الخميس تاسع عشره : خرج المحمل الشريف وأميره هو الأمير تمربای رأس نوبة النوب ، وقد أبطل السلطان ما كان فى العادة من زينة البلد واجتماع

= وأقسم الطرفان المتصالحان على كتابيهما : القرآن والإنجيل باحترام بنود هذه الاتفاقية التى اتفقوا على سريانها بينهم لمدة عشر سنوات ، كما قبل السلطان مراد أن يعيد مقاطعتى الصرب والهرسك إلى جورج برانكوفتش J. Brankovic مع الاستقلال التام ، وأن تصبح الأفلاق تحت سيادة المجر . غير أن هذه الاتفاقية ما لبثت أن نقضت على يد الأوربيين أنفسهم وذلك تحت تأثير الدعاية الكريهة ضد الأتراك والمسلمين والتى غذاها المندوب البابوى الكردينال جون شيزارنى John Cizarnil كان ، هنياد وقع تحت الاغراء بتاج بلغاريا ، ومن ثم خرج فى أول سبتمبر على رأس جيش مجرى عبر به بلاد الأفلاق وتقدم حتى بلغ أبواب مدينة « فارنا » Warna ، وحينذاك دفع الغضب السلطان مراد الثانى للخروج من عزلته التى كان قد فرضها على نفسه وارتضاها عن طيب خاطر من جراء الهزائم التى منى بها جيشه مما أدى الى ضياع كثير من هيبته فى نظر الشعوب والبلاد الخاضعة له ، وكذلك بسبب حزنه الشديد على موت ولده علاء الدين ، فأعاد جيشه من آسيا الصغرى وخرج هو على رأسه واصطدم الشرق بالغرب ، والإسلام بالنصرانية فى حرب صليبية يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٤٤٤م عند فارنا واشتد القتال واستحر القتل فى الجانبين والقى كثيرون من رجالات جيوش أوربة مصارعهم فى هذه المعركة ، كما وقع فى يد مراد كثير من الأسرى ، كما أنه كان من بين القتلى المندوب البابوى نفسه وكذلك ملك المجر الجديد فلاديسلاف ، انظر فى ذلك J . A . Mariott . The Eastern Question 4 th, ed., 1969, Oxford, PP. 69 - 71

(١) فى الأصل « نهبوه » .

غالب أهلها على الفسق والفجور والخمور، وفساد المماليك والحرم من إفساد المردان وغير ذلك من المساوىء القبيحة ، الظاهرة الصريحة .

و[وكان] أمير الركب الأول قانم التاجر .

* * *

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الإثنين .

فيه خلع على القاضى محب الدين [محمد] بن الشحنة واستقر قاضى القضاة الحنفية بحلب وناظر الجيش وكاتب السر بها — ثلاث وظائف هى المملكة — وكل ذلك بمساعدة الشيخ ولى الدين السفطى فإن ابن الشحنة تزوج ابنته مع ما وعد به أن يحمل من الذهب عشرة آلاف دينار ، وعزل ابن الوسام وغيره .

يوم الثلاثاء سادس عشره : قدم الأمير زين الدين يحيى الأستادار ثلاثمائة رأس من الخيول الخاص ، أقل ما فيها يساوى خمسين دينارا وستين دينارا[1] وسبعين دينارا ، ما بين فحولة وحجورة وأكاديش .

خامس عشريه : قدم عبد الباسط من دمشق بطلب حثيث من السلطان له فخرج للقائه من يرتجيه ومن يرائيه ، فمنهم من توجه إلى قطيا ، ومنهم من توجه إلى بلبيس .

ونزل [الزين عبد الباسط] فى بيته واستراح يوم الجمعة وصلاها فى مدرسته بإشارة السلطان ، وفى غد تاريخه طلع القلعة فرحب به السلطان وأكرمه إكراما جزيلا ، وخلع عليه كاملية صوف أبيض بسمور خاص ، وركب معه الأمراء وأعيان المملكة بأسرهم والمباشرون بأجمعهم ، فكان لهم موكب عظيم

(١) فى الأصل « خمسون دينارا وستون دينارا وسبعون دينارا » .

لا يوصف ولا يحكى لكثرة من ركب معه من الأعيان ، ولدعاء الخلق له ، وفرحهم وسرورهم به .

وفي خامس المحرم[١] قدّم القاضي عبد الباسط تقدمة السلطان وهي من الخيول الخاص أربعون فرسا ، منها عشرة بسروج مفرق ، ومنها أربعة بسروج ذهب ، وثلاثون قفصا ما بين سمور وسنجاب وقاقم وثياب بغدادي وغير ذلك ، وطبق مغطى لم يدر ما فيه ، لكن ذكر بعض الخازندارية أنه فيه أكياس مملوءة ذهبا وفضة .

* * *

سادس عشره[٢] خرج قراقجا الحسني أمير آخور كبير وصحبته من الأمراء العشرات ستة أمراء ، ومن المماليك السلطانية نحو المائتين ، ونزلوا ببرّ الجيزة ليتوجهوا إلى البحيرة بسبب العربان وإفسادهم في البلاد والعباد .

يوم الثلاثاء ثاني عشرين الشهر المذكور[٣] : وصل أمير من أمراء صاحب الروم ومعه جماعة من الأمراء الذين انكسروا من بني الأصفر وهم ملبسين على هيئة بلادهم ، وعدتهم ستة عشر نفرا ، فلبوسهم زنودهم غائصين في الحديد

---

(١) هكذا في الأصل ، والصواب أن يقال « ٢٥ ذو القعدة » ؛ راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية ، تحقيق طرخان) ٣٦٧/١٥ .

(٢) هكذا في الأصل مما قد يفهم منه أن الشهر هو ذو القعدة ، ولكن الصحيح هو ما جاء في النجوم الزاهرة ٣٦٧/١٥ ص٦ — ٧ حيث أورد هذا الخبر .

(٣) يعني شهر ذي الحجة ، ولكن كان ينبغي أن يقال « يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة » فقد جاء في النجوم الزاهرة ٣٦٧/١٥ أن الخميس هو السادس عشر منه ، هذا وقد جاء في جدول سنة ٨٤٨ بالتوفيقات الإلهامية أن الثلاثاء هو أول ذي القعدة والخميس هو أول ذي الحجة من تلك السنة .

والفولاذ ، وخوذهم من الطشوت على رؤسهم ، وهم على ظهور الخيول . فخرج أهل مصر للقائهم وكان يوما أعظم من يوم المحمل .

وأرسل مراد بك بن عثمان هؤلاء لينظر المسلمون والأتراك شجاعته وشجاعة عسكره ، وكذلك أرسل إلى شاه رخ بن تمرلنك منهم جماعة ، وأرسل إلى صاحب تبريز وبغداد . وأرسل إلى السلطان [جقمق] هدية سنية وهى خمسون مملوكا من الحسان ، وخمس جوارى الخاص ، وأشياء كثيرة من القماش والحرير والمخمل ، وحضروا بين يدى السلطان فى سلخ ذى الحجة .

* * *

وكسر الخليج وخُلِّق المقياس فى تاسع عشر ربيع الآخر ، وتولى ذلك المقام الفخرى عثمان ولد المقام الشريف السلطان وهو مراهق البلوغ ، وركب فى موكب عظيم جسيم مثل الأمير تنبك العلائى حاجب الحجاب والأمير قانباك الجاركسى وغيرهما وسائر المباشرين ، وكان له يوم[1] مشهود وجمع محمود ، وخلع على أرباب الوظائف وأصعدوا إلى والده ، فخلع عليه خلعة فألبسها للأمير قانباى الجاركسى وفرح السلطان به .

* * *

ذكر من توفى من الأعيان
والمشاهير فى هذه السنة

(٨٥٣) ـــ الشيخ شمس الدين الحموى الواعظ ، توفى يوم الأربعاء ثالث شهر ذى القعدة ، وكان عارفاً بصناعة الوعظ ، ويعظ الناس بعدة أماكن مختلفة

(١) فى الأصل « يوما مشهودا وجمعا محمودا » .

من الجوامع ، ولم يكن عنده إلا الوعظ . وكان بيده خطابة المدرسة الأشرفية، فقرر فيها ولده وهو قليل البضاعة حتى فى الخطابة .

(٨٥٤) — فيروز الطواشى الجاركسى ، توفى يوم الأربعاء الرابع عشر من شعبان من هذه السنة ودفن فى مدرسته التى عند فندق فخر الدين التى أنشأها . قال شيخنا العلامة البدر العينى : « وكان عنده طمع زايد ، وكان الأشرف برسباى ضربه ونفاه إلى المدينة الشريفة فأقام فيها مدة، ثم حضر إلى القاهرة ، فلما تسلطن الملك الظاهر جقمق جعله زمام الدار ، ثم لما هرب الملك العزيز بن الأشرف من القلعة نسب إلى التقصير فى أمره ، فعزله السلطان وأراد نفيه فوقعت فيه الشفاعة، فنزل ولزم بيته إلى أن توفى فى هذا التاريخ المذكور » ، وكان قد أوصى إلى الأمير قانباى الجركسى، ولما شرع فى ضبط موجوده رسم السلطان لأبى الخير النحاس المتجدد من النعمة والرياسة فى أيام السلطان هذا ، فغضب الأمير قانباى من حضور هذا معه وترك التكلم على موجوده .

(٨٥٥) — الأمير حمزة بن قرايلوك [عثمان بن طرعلى] صاحب ماردين وغيرها من البلاد ، مات فى هذه السنة ، ووصل الخبر بذلك إلى القاهرة يوم العشرين من شهر شعبان : وأراح[1] الله منه البلاد .

* * *
* *
*

(١) وصفه ابن حجر — حين ترجم له فى الجزء الرابع من أنباء الغمر (تحت الطبع) بقوله « وكان قبيح السيرة » .

ذكر شيء من حوادث

السنة التاسعة والأربعين بعد الثمانمائة

من الهجرة النبوية

أهلّت هذه السنة بشهر الله المحرم وأوله الجمعة[1] .

وأتابك العساكر : يشبك [السيفى ططر] الأمير الكبير وهو يضعف ويستكين ، والخليفة والسلطان على حالهما ، وبقيـة أصحاب الوظائف من الأمراء والقضاة والمباشرين على وظائفهم .

ونائب اسكندرية : الأمير تنم ، ونائب غزة : الأمير طوخ، ونائب صفد : الأمير قانباى الحمزاوى، ونائب حماة : الأمير قانباى البهلوان .

وقاضى القضاة الشافعية بالشام : الباعونى ، وبحلب : عمر الحمصى .

* * *

ليلة الجمعة الثامن منه : سقطت مئذنة المدرسة الفخرية القديمـة التى بجوار سوق الجوارى على الفندق والربع المجاور لهـا إلى أن صيّرتهما كوما كالجبل العالى ، وهـلك من المسلمـين والبهـائم من الخيـل والجمال والبغال والحمـير ، وبلغ هـذا الأمر إلى السلطان فسأل من هو الناظر على هـذه المدرسة فقيل له شخص يسـمى نور الدين القليـوبى أحد نواب القاضى الشافعى وأمـين الحكم، فرسم بإحضاره ، فلما مثل بين يديه رسم بتوسيطه بعد أن سبه بقبائح الإساءة ، ورسم

---

(١) يتفق هذا التاريخ مع ما هو وارد فى جدول هذه السنة بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٥ .

بتوسيطه ، فشفع فيه الأمير الدوادار الكبير وألزم بمال كثير . والواقع أنه فقير الحال جدا ، غالبا لا يملك قوت يومه ، وسلّمه السلطان إلى الدوادار الكبير فصار فى نصب ، وخوطب قاضى القضاة بخطاب فنُكِىَ بسبب هذه الواقعة[١] ، فإن السلطان سأل : « هل القاضى الشافعى اطّلع على أن هذه المنارة كانت آيلة للسقوط وتأخر عن هدمها ؟ » فوشى إليه بذلك أعداء وحساد ، فرسم بعزله من القضاء وعزل جميع نوابه ، وطلب منه مالا فلم يطاوع عليه ، واستمر معزولا من هذا اليوم إلى آخر يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر تاريخه ، ولم يتول الوظيفة غيره ، إلى يوم الخميس الرابع عشر من المحرم استدعى السلطان الشيخ شمس الدين القاياتى وقرر فى قضاء الشافعية فدخل إلى القضاء وامتنع[٢] من لبس الخلعة .

قال البدر العينى : « لأن المال الذى يفصّل منه ناظر الخاص الخلعة حرام » ، واستقر عوضا عن شيخ الإسلام ابن حجر ونزل من عند السلطان فقدّم له بغلة من الاصطبل السلطانى فركبها وهو بطيلسانه ، وركب معه خلق عظيم

(١) يشير ابن حجر حين عرض لهذا الخبر إلى أن السلطان غضب أشد الغضب لما جرى من هلاك الكثير من تحت الردم ، وحينذاك استقدم نور الدين القابونى ، وظن أنه ينوب عن القاضى الشافعى أى ابن حجر نفسه ، فبسط لسانه فى صاحب إنباء الغمر « إنكارا عليه فى التفريط فى مثل ذلك » . وإذا صح هذا الخبر — ولا شك أنه صحيح — فالعجب أن يأخذ السلطان جقمق القابونى بجريرة ليس له فيها يد و يأمر بتوسيطه عجزا منه عن النيل من ابن حجر لمكانته كقمة من قمم رجال الدين والقضاء ، على أن الأمر مالبث أن وضح « وانكشف الغطاء أن القاضى ليس له فى ذلك ولاية ولا نيابة ولا عرف بشىء من ذلك منذ ولى و إلى تاريخه » .

(٢) كان امتناع القاياتى عن لبس الخلعة تورعا واحتراما لسالفه ابن حجر ، وكان الظن به أنه سيكون القدوة فى الورع والتقشف ، لكنه مالبث أن خالف الظن حين مال إلى جانب أصحاب ذوى النفوذ والكلمة .

من أعيان الدولة منهم الأمير إينال الأجرود والدوادار الكبير والأمير تنبك صاحب الحجاب والمباشرون وقضاة القضاة إلا ابن التنسى المالكي (١) وكان مسافرا بمكة المشرفة ، وتوجه إلى الصالحية (٢) وهو فى هذا الموكب العظيم فقدمت له دعوى فلم يسمعها لأنها مفتعلة ورجع إلى بيته فأظهر عفة وصرامة وحرمة ، وطلب حساب الأوقاف . وركب إليه آخر النهار الحافظ ابن حجر إلى داره فسلم عليه ، وكان بلغه أن الشيخ شمس الدين القاياتي يقول إنه حزن لدخوله فى القضاء ، فقيل إنه أنشد من لفظه بيتين (٣) ، وقيل بل أنشدهما للقاضى كمال الدين ابن البارزى واشتهرا بالقاهرة وهما :

عندى حديث عجيب بمثله يتغنى
من قاضيين : يعزى هذا ، وهذا يهنى
هذا يقول استرحنا وذا يقول حزنا
ويكذبان جميعا ومن يصدق منا

---

(١) فى الأصل « المباشرين » .

(٢) المقصود بها المدرسة الصالحية التى بناها الملك الصالح أيوب وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة سنة ٦٣٩ ، وأمر بأن تدرس فيها المذاهب الأربعة ، ومن العجوب أنه لما مات نجم الدين أيوب هذا لم يكن قبره سوى حفرة إلى جوار المكان المخصص للمالكية ، ومن ثم خاطبه — ميتا — أحد الشعراء بقوله :

بنيت لأرباب العلوم مدارسا لتنجو بها من هول يوم المهالك
فضاقت عليك الأرض لم تلق منزلا تحل به إلا إلى جنب مالك

راجع السيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ٢ / ٢٦٣ .

(٣) الواقع أن الشعر أربعة أبيات وليس بيتين ولكن الصيرفى جعل كل بيتين بيتا واحدا فى الكتابة فعم عليه الأمر .

وكان الشيخ شمس الدين القاياتى من أعظم أصحاب ابن حجر ومن المترددين إليه والسامعين عنده ، وكان ينعم عليه كل سنة بمال جزيل ؛ ومع ذلك نخاصمه بسبب الأوقاف وطلب حسابهم . وحسابهم على الله .

* * *

يوم الاثنين تاسع[1] عشر المحرم خلع على الأمير يلخجا[2] [من مامش الساقى] رأس نوبة ثانى واستقر نائب غزة عوضا من طوخ [الأبو بكرى] المؤيدى بحكم قتل العرب له ولدواداره فى وقعة هناك ، وجرح معه نائب القدس طوغان ، وقتل من الترك ستة عشر نفرا ، وكذا من العربان الطائعين الذين ساعدوا طوخ على العاصين ثلاثين نفسا ، فإن هذه العربان العاصين أفسدوا فى البلاد وصاروا يؤذون المسافرين ويقطعون الطريق فى غزة والرملة .

وفى أواخر هذا اليوم قدم الوزير[3] من بلاد الصعيد وكان مسافرا[4] مدة ثلاثة أشهر وأحضر معه شيئا كثيرا من الأغنام والأبقار ومن الخيول نحو المائتين وسبعين رأسا فقدمهم إلى السلطان ، أعنى الخيول خاصة .

---

(١) إذا أخذنا بما قاله الصيرفى فى تحديد تاريخ مستهل هذه السنة من أنه كان يوم الجمعة ، وهو ما يتفق معه فيه صاحب التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٥ فالواجب أن يكون يوم الاثنين هو « الثامن عشر » .

(٢) كان السلطان برقوق مع أبوى يلخجا من مامش الساقى ، ثم أنعم بالثلاثة على ولده المنصور عبد العزيز ، وقد تردد يلخجا فى الوظائف المملوكية المختلفة فى عهد فرج والمؤيد وططر ، وكانت وفاته سنة ٨٥٠ ودفن بغزة ، وقد نص السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ١١٤٠ على تخطئة البدر العينى فيما ذكره من أن وفاته كانت بالقدس ، على أننا لو رجعنا الى أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٧ / ٨ ٣ — ٣٠٩ لوجدناه هو الآخر يقول فى هذه المسألة ما قاله العينى .

(٣) المقصود بالوزير هنا الأستادار زين الدين يحيى .

(٤) فى الأصل « مسافر » .

يوم السبت ثالث عشرين المحرم: قدم المحمل الشريف صحبة أمير الحاج تمر باى رأس نوبة كبير، وقاسى[1] الحاج فى الرجعة بلاء عظيما من موت الجمال حتى إنهم أكروا الشقة من المدينة إلى ينبع بمائتين وثلاثين أشرفيا، وأما غالب الناس مشاة .

يوم الاثنين خامس عشرينه : غضب السلطان على الأمير قراجا[2] العمرى البواب الذى كان أمير الرجبية ووالى القاهرة ، فرسم بنفيه إلى حلب بسبب أمر بلغه عنه .

* * *

شهر صفر

أهل بيوم الأحد .

ثانيه[3] يوم الاثنين : خلع على ماماى[4] أحد الدوادارية ، ورسم له أن يتوجه إلى طرابلس ويحاسب ناظر الجيش بها على ما فى جهته من مال السلطان .

* * *

يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول : توجه[5] الأمير زين الدين يحيى الأستادار إلى بلبيس ومعه عدة من المماليك السلطانية بسبب العربان الذين

---

(١) فى الأصل « قاسوا » .

(٢) هو قراجا العمرى الناصرى فرج ، ولم يرد فى اسمه كلمة « البواب » المذكورة بالمتن ، وقد ظل فى الفاصكية حتى ولاه جقمق ولاية القاهرة وذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٦/٢٢٠ أنه « حج رجبيا فلم تحمد سيرته » .

(٣) يلاحظ أن هذا هو الخبر الوحيد الذى ساقه الصيرفى من أحداث هذا الشهر .

(٤) سبق ذكره والإشارة إليه انظر ما سبق ، ص ٣٠٢ ، حاشية رقم ٥ .

(٥) لم يورد الصيرفى من أحداث ربيع الأول سوى هذا الخبر .

تجمعوا هناك يقطعون الطريق و يفسدون فى الأرض ، فغاب إلى يوم السبت سابع عشرينه وحضر إلى القاهرة ومعه عدة من العربان فى باشات وجنازير ليس لهم ذنب ولا جناية فتسلمهم الوالى ، وخلع عليه خلعة عظيمة ونزل إلى داره .

* * *

شهر ربيع الآخر (١)

وفى العشر الأخير من شهر ربيع الآخر ولدت امرأةٌ صبيةً لها رأسان : رأس فوق رأس ، إحداهما بشعر والأخرى ليس فيها ، وعينُها بالغَصْب تُرى ، وفى فمها نابان بارزان من عند شفتها العليا ، كل ناب قدر إصبع ، ورِجْلها مثل رجل المساعز .

يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الآخر وصل الخبر من نائب الشام أنه وقع بين العرب و بينه مقتلة عظيمة وقتال شديد طول النهار ، وقتل من الأتراك ستة أنفس ، منهم مملوكان من مماليك النائب ، ومن العرب خلق كثير .

وفى هذا اليوم ورد الخبر من حلب أن شاهين نائب القلعة لما أخذ أنظار الأوقاف التى بحلب قطع ووصل وزاد ونقص وغيَّر و بدَّل ، فكثر عليه الكلام من أهل حلب فتكلم [هو] بكلام أدّى منه إلى الكفر فرجمه (٢) أهل حلب وسبّوه وصعد (٣) منهم جماعة إلى المآذن ونادوا بكفره ، فلما سمع السلطان [جقمق]

---

(١) ابتداء من هذا الشهر يدأب الصيرفى على ذكر أحداث بقية السنة متتابعة دون النص على اسم الشهر فى العنوان ، ومن ثم فعناوين الشهور هنا من عندنا لتيسير الاستيعاب .

(٢) فى الأصل « فرجموه » .

(٣) فى الأصل « وصعدوا » .

بذلك ورسم بحضور قضاة حلب ليستخبرهم عن الواقعة ، وقيل إن القاضى الحنبلى أفتى بكفره .

ثم فى أثناء هذا حضر محضر مثبوت على قضاة حلب بما وقع فيه نائب قلعة حلب شاهين ، فرسم السلطان لأحد البريدية أن يتوجّه إلى حلب و يقبض على الحنبلى و يسجنه بقلعة حلب عند شاهين المذكور .

* * *

يوم الاثنين العشرين من ربيع الآخر : خلع على الأمير شاد بك [الجكمى] أحد المقدمين الألوف واستقر نائب حماة عوضا عن الأمير قانباى البهلوان ، ورسم لقانباى المذكور أن يستقر فى نيابة حلب عوضا عن قانباى الحمزاوى بحكم عزله إلى القاهرة ، ورسم للأمير يونس البواب — أحد الطبلخانات — أن يكون مسفر نائب حلب .

* * *

شهر جمادى الأولى

يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الأولى غضب السلطان على الأمير عليباى [العجمى] المؤيدى ، ورسم بنفيه إلى صفد بطالًا فتوجّه من فوره ، ثم شفع فيه الأمراء أن يتوجّه إلى الشام بطالا ، فقُبِلت شفاعتهم .

يوم الثلاثاء العشرين منه : خلع على قاضى القضاة شمس الدين القاياتى واستقر ناظر مدرسة خانقاه بيبرس وشيخها عوضا عن شيخ الإسلام ابن حجر بحكم عزله ، فتعلل على السلطان بأن معه مشيخة وظيفة سعيد السعداء ، فقال :

«دع أحد أولادك يحضرها» ، فامتثل ذلك وحضر البيبرسية فكان له يوم مشهود [(١)] وجمع محمود . ولما فرغ من الحضور نادى له بالجامكية ، وكانت لكل صوفى ثمانين درهما فرسم أن يكون لكل صوفى مائة وعشرون درهما ، وحلوى : لكل صوفى رطل ، وباب الزيادة مفتوح ، فحصل على شيخ الإسلام [(٢)] من ذلك هم كبير وامتنع من الإملاء بها وكان القائم بهذا الأمر وسبب ولاية القاياتى وزيادته للصوفية ولى [(٣)] الدين بن تقى الدين البلقينى .

يوم السبت رابع عشريه : برز المرسوم الشريف بنقل على سلطان مكة من برج قلعة الجبل إلى اسكندرية فاعتقل بها بعد أن سجن بالقلعة سنة وذلك لذنوب عدها السلطان عليه .

يوم الأحد خامس عشريه : قبض السلطان على الأمير بيبرس بن بقر وسجنه ببرج قلعة الجبل ، وكان من حين شفع فيه مع الخليفة وهو بطال فى بيته ، وعدد السلطان له ذنوبا توجب ذلك .

* * *

شهر جمادى الآخرة

يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة : قدم الأمير قانباى الحمزاوى المعزول عن نيابة حلب المطلوب إلى القاهرة .

* * *

---

(١) فى الأصل «يوما مشهودا» .

(٢) المقصود بذلك ابن حجر .

(٣) هو ولى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن عمر بن رسلان البلقينى المولود بالقاهرة سنة ٨١٢ والمتوفى بدمشق سنة ٨٦٥ ، وقد تفقه وهو صغير على يد جماعة من شيوخ العصر كان منهم ابن حجر العسقلانى لكنه بارزه «بما نقمه عليه أهل الديانة» ، انظر الضوء اللامع ٢/١٩ .

شهر شعبان

يوم الخميس الثالث من شهر شعبان خلع على الأمير إينال [العلائى][1] الأجرود والدوادار الكبير واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير يشبك [السودونى] السيفى ططر بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى .

وخلع على الأمير قانباى الجاركسى شاد الشرابخاناه واستقر دوادارا كبيرا عوضاً عن إينال المذكور .

وخلع على الأمير يونس[2] البواب واستقر شاد الشرابخاناه عوضا عن قانباى الجركسى .

يوم الخميس العاشر من شهر شعبان : خلع على الأمير إينال [العلائى] واستقر ناظرا على المارستان المنصورى ، وخلع على الأمير قانباى الجاركسى واستقر ناظرا الأحباس المبرورة بالديار المصرية ونظر المدرسة المؤيدية ومدرسة الأشرفية والجامع الذى استجده الأشرف بالخانكاه .

• • •

---

(١) هو الذى سيتولى سلطنة مصر فيما بعد .

(٢) هو يونس الأقباى أقباى المؤيدى نائب الشام ويعرف بالبواب كما يعرف بالمشد ، وقد عرف بالبواب لأنه كان بوابا فى الأشرفية ، وقد ارتفعت مكانته عند الظاهر ، كما اتصل بخدمة المؤيد شيخ محمودى ثم صار خاصكيا ، وكان يحب مجالس العلماء والصالحين « ويتأدب معهم » وبنى لنفسه تربة بالصحراء دفن بها يوم موته ٢٢ رمضان سنة ٨٦٥ ، وقد وصفه السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ١٢٢٠ بقوله « إنه كان شجاعا مقداما عارفا بأنواع الفروسية وغيرها ، ذا ذوق وحشمة مع الشكالة الحسنة والهيئة الجميلة والطول الفائق حتى عد من حسنات زمنه » .

شهر رمضان

يوم السبت خامس عشر رمضان استقر الشيخ محب الدين بن الشيخ زادة الأقصرائى فى مشيخة المدرسة الصرغتمشية عوضا عن محمد بن التفهنى ، وفيها درسان أحدهما درس الفقه كان فيه الإمام قوام الدين الأتقانى ، والآخر درس الحديث كان فيه الشيخ علاء الدين مغلطاى شارح البخارى ، قال قاضى القضاة بدرالدين العينى رحمه الله عند ذكر هذه الترجمة وفى تولية الشيخ محب الدين : « فانظر إلى حوادث الزمان كيف بلغت بالإنسان ماترى ! » .

• • •

شهر شوال

يوم السبت ثالث شهر شوال : قدمت تقدمة السلطان محمد بن مراد بك ابن عثمان ، وسببها أن مراد بك نزل عن السلطنة فى حال حياته اولده محمد مرسل هذه الهدية ، فصعدوا بها إلى القلعة فى خمسة وعشرين[1] قفصاً ، فى خمسة أقفاص [منها] أوانٍ كلها فضة من الأقداح والصحون والسكارج ونحو ذلك ، وفى خمسة فيها ثياب صرف ، وفى خمسة أيضا ثياب مخمل مذهب ، وفى خمسة شقق حرير مزهرات ، وفى جملة التقدمة جوارٍ بيض روميات : عدة خمسة .

• • •

يوم الثلاثاء أو يوم الاثنين قدم[2] المغاربة الحاضرون من المغرب لأجل الحاج

(١) فى الأصل « وعشرون » .

(٢) فى الأصل « قدموا المغاربة الحضرين » .

للسلطان ثلاثين فرسا خاصا ، وغالبهم بجرة مجلاة بجلاجل(١) على عادتهم . وأول التقدمة من الخيول بلجام ذهب وسلسلة ذهب ومرج ذهب، وعشرين قفصا ضمنها القماش من أنواع الخز المغربي ، وهذه التقدمة حضرت صحبة الحرة زوجة مولاى أبي فارس التي حضرت لتحج حجة الإسلام وفي خدمتها أتباع كثيرون من خيالة ورجالة ، وكانت هي مقيمة ببر الجيزة ، فلم تُعَدِّ إلا في ليلة الأربعاء الرابع عشر من الشهر المذكور ، ونزلت بالميدان . فأرسل السلطان [جقمق] إليها ما تحتاج إليه من المآكل والمشارب والعليق والخدمة ونحو ذلك ، وقال شيخنا البدري العيني : « هذه زوجة مولاى فارس . وصاحب المغرب اليوم مولاى عثمان حفيد مولاى فارس » .

• • •

شهر ذى القعدة

يوم السبت الخامس عشر من ذى القعدة : قدم الأمير زين الدين يحيى الأستادار للسلطان أربعمائة رأس من الخيول ، منها ستون رأسا بسروج مفرقة وثياب مخمل ملونة كاملة العدد ، ومنها أربعون فرسا بسرج غزاوية وعبي ملاح خاص كاملين ، والباقي وهم ثلاثمائة فرس بعبي خاصات ولجم ، فأخلع عليه السلطان كاملية مخمل بوجهين بطراز يلبغاوى ذهب ، وأركبه فرسا من خواص مركوبه مسروجاً بذهب وكنبوش زركش .

---

(١) الأرجح أنها « بجلاجلهم » ، والجلاجل حلى توضع فى رقاب الخيل .

وفى هـذا اليوم توجه(١) جماعة من المماليك الأجلاب الأشرار إلى حارة النصارى بقنطرة سنقر ليأخذوا منهم خمرا ، فاجتمع(٢) النصارى ودافعوهم ، فحضر أيضا من المماليك عشرون مملوكا ، ووقعت بينهم وقعة قتل فيها ثلاثة من المماليك ودفنوا .

* * *

وفى أواخر شهر ذى القعدة رسم السلطان لأربعة نواب من المذاهب الأربعة أن يسيروا إلى الطور صحبة الأمير إينال الذى كان دوادار سيدى محمد بن السلطان [جقمق] ليهـدموا ما علا من الكنائس على الجوامع ، وقال القاضى بدر الدين العينى فى تاريخه : « وكان بعض من يتقرب إلى السلطان بالفضول أخبره أن سقوف هـذه الكنائس مطلية كلها بطبقة بالرصاص الكثير نحو ألفى قنطار وأكثر ، وأنه يساوى عشرة آلاف دينار ، ولما سمع السلطان بذلك طمع » ، قلت : القايل له [هو] أبو الخير النحاس .

وطلب السلطان القضاة الأربعة وعقد مجلسا بسببه ، فلم يحصل لهم اتفاق ، ثم عقدوا مجلسا ثانيا فى الصالحية ولم يفد منه شيئا .

ثم أن السلطان طلب الشيخ سعد الدين الديرى وأمره بالحكم فامتثل وحكم بهدم العلو من الكنائس والأخذ منها أيضا قدرْ ذراع تكون أسفل من الجامع ، قال البدرى العينى : « وحكم أيضا بأن النقض يكون لبيت المال ، وأن الأراضى التى حول « الطور » التى ينتفع(٣) بها النصارى ويزرعونها(٤) يكون لبيت المال ، وطالبوا النصارى بجملة من خراج تلك الأراضى ، ثم كتبوا على النصارى أجاير الأراضى .

---

(١) فى الأصل (توجهوا) .
(٢) فى الأصل « فاجتمعوا » .
(٣) فى الأصل « ينتفعوا » .
(٤) فى الأصل « يزرعوها » .

ولما مضى هذا الأمر طلب السلطان النواب المتقدم ذكرهم ، ودُفع لكل واحد منهم عشرون أشرفيا بسبب النفقة ، وأمر لهم بأن يركبوا الهجن من الاصطبلات الشريفة، فساروا حتى وصلوا إلى «الطور» فكشفوا، وكتبوا محضرا مضمونه أنهم وجدوا بالطور ثلاث كنائس ، الأولى تسمى « كنيسة سيدة» تعلو على الجامع بقدر ثلاثة عشر ذراعا ونصف ذراع بذراع العمل مشرفة على سطح الجامع .

والثانية تسمى « كنيسة مار يوحنا » تعلو على الجامع قدر خمسة أذرع . والثالثة تسمى « كنيسة الكرج » متصلة برحاب الجامع ، وبناؤها أعلا من بناء الجامع بثلاثة أذرع ونصف ذراع خارجا عن الجملون ، وبها قنطرة قلالى يسكنها الرهبان ، وفيها تصاوير وتماثيل ، فعند ذلك أمر أحد النواب وهو شرف الدين بن التبانى الحنفى بعد تقدم دعوى شرعية واستيفاء الشروط بحضور جماعة من النصارى هناك ، وجماعة من الرهبان بهدم هذه الكنائس المذكورة والقلالى المذكورة ، وأن تَقْضَ الجميع يكون لبيت المال . وكان ذلك فى يوم الخامس عشر من شهر ذى الحجة .

• • •

وفى هذه السنة ظهر أمر عجيب لم يسمع بمثله وهو أن جماعة كثيرة من العبيد الغلمان تجمعوا فى الربيع ببر الجيزة ونصبوا عليهم سلطانا وجعلوا له خيمة وضعوا فيها دكة خشب عالية وبسطوا فيها بسطا .

(١)
... ...

صلى الله عليه وسلم واستقر عوضه فارس الطواشى الذى كان بالمدينة كبير الخدام .

• • •

هذا كتاب من تأمله دخلت عليه المسرة من كل باب فى علم التاريخ ، رحم الله مؤلفه ومن قرأه ونظره ولكل المسلمين أجمعين . يا أرحم الراحمين .

---

(١) واضح أن هنا سقطا ولم نستطع الاستدلال عليه .

فهرست الكشـــاف (★)

فهرست الأعـــلام
» الأماكن البلدان
» الوظائف والرتب والألقاب
» الملابس والأقمشة والحلى
» الكتب والعلوم والفنون
» العقـــوبات والجرائم
» طبقات المجتمع والطوائف والقبائل والشعوب
» العادات والتقاليـــد والصفات
» الأدوات والآلات

★ ★ ★

المصادر والمراجع العربيـــة والأجنبية المســتعملة فى حواشى كتاب نزهة النفوس والأبدان

★ ★ ★

★ ★

★

(★) قام بعمل هذا الفهرست كل من : السيدة/ ايزيس زكا قرياقص والآنسة/ بثينة فتحى السيد .

فهرست الأعلام

(ب)

(ت)

(ش)

(ك)

(ن)

فهرست بالأماكن والبلدان والمواقع الجغرافية

فهرست الوظائف والرتب والألقاب

(ب)

(ت)

(ج)

فهرست الملابس والأقمشة والحلى

فهرست الكتب والعلوم والفنون

فهرست العقوبات والجرائم

فهرست طبقات المجتمع والطوائف والقبائل والشعوب

فهرست العادات والتقاليد والصفات

فهرست الأدوات والآلات

المصادر والمراجع العربية والأجنبية
المستعملة في حواشي كتاب
نزهة النفوس والأبدان

ابن اياس : (محمد بن أحمد اياس الحنفي المصرى) ·
بدائع الزهور (مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة ١٤٣٨ هـ)

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ٨٧٧ هـ) :

١ ــ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى (ج١ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، مطبعة دار الكتب المصرية) ·

٢ ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا · (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠) ·

ابن حجر (أحمد بن على ··· العسقلانى ، ت ٨٥٢ هـ) :

١ ــ انباء الغمر بأبناء العمر (ج٤) تحقيق حسن حبشى تحت الطبع) ·

٢ ــ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (٥ أجزاء) تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ١٩٦٧ ·

٣ ــ رفع الأصر عن قضاة مصر (ج١ ، ٢) نشر حامد عبد المجيد (ومخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ) ·

السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ··· ، ت ٩٠٢ هـ) ·

١ ــ الذيل على رفع الاصر ، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبيح ،الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة (بلا تاريخ) .

٢ ــ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٢ جزءا) نشرته مكتبة القدسى بالقاهرة ، سنة ١٣٥٥ ·

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١ هـ) ·

حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ·

الطباخ : (محمد راغب بن محمود بن هاشم) ·

اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٧ أجزاء) المطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ .

ابن العماد الحنبلي (عبد الحي ، ت ١٠٨٩ هـ) :
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٦ ، ٧ نشرته مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠ .

القلقشندي (أحمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ) :
صبح الأعشى في صناعة الانشا (١٤ جزءا) . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩١٣ ـ ١٩١٩ .

لسترانج (جي) :
بلدان الخلافة الشرقية (من مطبوعات المجمع العلمي العراقي) ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤ .

محمد رمزي :
١ ـ القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٣ أجزاء ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .

٢ ـ فهرس القاموس الجغرافي ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٨ .

محمد مختار :
التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١١ هـ .

المقريزي (أحمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ) .
السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق . سعيد عبد الفتاح عاشور .

Dozy (R.) :

Supplement aux Dictionnaires Arabes 2 Vols.

Le Strange (G.) :

Palestine under Moslems London 1890.

Weit (Gaston) :

Les Biographies du Manhal Safi, (Memoires Présentés à l'institut d'Egypte, t XIX, Le Caire 1973).

Van Berchem :

Materaux pour un Corpus Inscriptionum (Egypte).

H. Habashi :

Egyptian Expeditions against Rhodes and Castellrasse.

J. A. Marriott :

The Eastern Question (4th 1969, Oxford).

Herz :

Catalogue Sommaire des monuments exposés dans le musée national de l'art.

التصـويبات

ص	سطر	الخطأ	الصواب
٢٢	١٠	النبر	التبر
٢٢	١٧	للزاهرة	الزاهرة
٢٤	١١	أردده	أورده
٢٤	١٧	برسياى	برسباى
٤٣	١٤	الراقع	الواقع
٨٧	١٨	لنفى	لنفى
١٠٩	٨	الثــاى	الثانى
٢٣٠	١٦	مزيد	مزيد
٢٤٩	٦	الدن	الدين
٢٥٧	١٦	أخر	آخر
٢٦٠	١٦	الانياء	الانباء
٢٧٤	١٨	المغرى	المغربى
٣٠١	١٩	الشخصى	الشخص
٣٠١	٢٠	المقصو٠،	المقصود